

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَارَتْ هَذِهِ الطَّيْعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ، بِحَيْثُ تَلَاَقَتْ
فِي هَذَا الشَّحْرِ بِجَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَايِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

المجلد الرابع

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليبر بن لشكروز سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة ،
 وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
 وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليبر إليها :
 كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِيحَّةَ الْمُقْلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرَى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ ^(١)
 لَهْنِكَ أَوْلَى لَا تَعْمِ بِمَلَامَةٍ ، وَأُخْوَجُ يَمِّنَ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ ^(٢)
 تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ تَجِدِي مِثْلِي ^(٣)
 مُحِبٌّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ ^(٤)
 وَبِالشَّمْرِ عَنْ شَمْرِ الْقَيْسِ غَيْرِ أَتْنِي جَنَاهَا أَحِبَّائِي وَأَطْرَافَهَا رُسُلِي ^(٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى بالقوم وأخوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) منك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيت به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسر عن الرماح السر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالعرالي . يقول : فالمعالي هي أحبائي ورسلي التي تفرق بيني وبينها : هي الأسنة - الرماح - يريد : أني أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فَوَادًا لَمْ تَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ إغْيِرِ الثَّنَائِيَا الْفُرَّ وَأَلْخُذِ النَّجْلَ^(١)
فَمَا حَرَمْتَ حَسَنَاهُ بِالْمَجْرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقْتَهَا مِنْ شَكَى الْمَجْرِ بِالْوَصْلِ^(٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَصْبُ الْعُلَى فِي الصَّغْبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ^(٣)
تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْمَعَالَى رَخِيصَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ^(٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والفِر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو طي قلب يميل إلى الحسان بالعدم - القدر - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للمعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة التانيات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغتها ؛ ومن شكى المهجر هو العاشق : أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن العرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقفاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المهجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ فجرمتك وصلها فضلا عن تبليغك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلي ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهي التي لم يبلغها أحد - في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعني لا يدرك من المعالي ما تجلي قيمته إلا بتسكف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمة - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدني أن أدرك المعالي رخيصة - أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابي :

حَذِرْتُ عَلَيْنَا الْمَوْتَ وَالْخُلَيْلُ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَىِّ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرَيْتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامَ دَلِيلِ بْنِ لَشَكَرٍ وَزَّيِّ ^(٢)
تُمْرُ الْأُنَابِيدُ الْخُـوَاطِرُ يَدْنُنَا ، وَنَذْكَرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلُّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود ^(١)
هذا : وقال الواحدى : قرئ على التنبى لقيان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والحيل تلتقى : يروى والحيل تدعى : يريد أصحاب الحيل ؛ والجملة حالية ؛
والادعاء فى الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلًا : يقول : تخافين
علينا الموت عند اتحام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبرى : يشير إلى الموقعة التى
شهدها فى الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا المددوح إليها .

(٢) الغبين - - الغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبه فى
البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت ههنا : ابتعت ، وروى شريت ، « ودلير »
و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
والسعود ، وقال اليازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
كانت علينا ، وكنت أنا من جملة المهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجحاً
مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا المددوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح اليم - وضيمها -
والأنابيد : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كمينين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاضرة بيننا وبين أعدائنا
نصبر مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للمرارة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد غاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي^(١)

يَا رَبِّ سَدِّدْنِي لِنَحْتِ قَوْيِي فَإِنَّهَا مِنْ لَذَّتِي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْيِي وَلَدِي وَعِرْيِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حمى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبله في واديه حمض وشوحط فلما ربه نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط نابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَا رَبِّ سَدِّدْنِي لِنَحْتِ قَوْيِي فَإِنَّهَا مِنْ لَذَّتِي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْيِي وَلَدِي وَعِرْيِي *

أَنْحَتُ صَفَرَاءَ كُلُونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءَ لَيْسَتْ كَالْقِسِيِّ النَّكْسِ

حتى إذا فرغ من نختها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هَنْ رَبِّي أَشْهُمٌ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهِ الْبَنَانُ

كأنا قومها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان

إِنْ لَمْ يُعْقِنِي الشُّومُ وَالْحَرَمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قنطرة له - القنطرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى غيراً منها ، فألقته . وأورى السهم في الصوانة نارا ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعُوذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرَمَانِ

مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ فِي الصَّوَّانِ *

وقد قال البحرى

* إن سَبَرَ الخليط حين استَقْلا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقل ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو فى « تحلولى » ردف لأنها
ساكنة قبل حرف الروى . وليس فى هذه القصيدة قافية مرفوعة غير هذه ، وهذا عيب
عندهم ، يد أنه جاء فى الشعر القديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصو

يُورى شرارَ النارِ كالعِقيانِ أخلفَ ظنِّي ورجا الصبيان

ثم وردت الجر ثانية فرمى غيرها منها فكان كالمضى من ربه فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القدر لا برك الرحمن فى أمِّ القُتر

ألمِطُ السهمَ لإرهاقِ الضرِّ أم ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظر

* أم ليسَ يعنى حذرٌ عند قدرٍ *

« المِط والإمطاط : سرعة النزع بالسهم » ثم وردت الجر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من ربه فقال :

إنى لشؤمى وشقائى ونكدٌ قد شَفَّ منى ما أرى حرَّ الكيدِ

أخلفَ ما أرجو لأهلى وولَدَ *

ثم وردت الجر رابعة ؛ فكان كما مضى من ربه الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الجُباحِبا قد كنت أرجو أن يكون صائبًا

إذ أمكن العيرُ وأبْدَى جانبًا فصار رأبى فيه رأيا كاذبا

ثم وردت الجر خامسة ؛ فكان كما مضى من ربه ، فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عَدها أحملُ قوسى وأريدُ رَدها

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ^(١)

وإن بَابُ أمر عليك التوى فشاور ليبياً ولا تعصب^(١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علماً ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سبباً لمجيء المدوح إلينا والتخلي بقرية : ل زاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال المبكرى : يشير إلى الوعدة التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أُخْزِي إِلَهِي لِيَنَاهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجِي مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه قطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا لَبَسْتُ خُصِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْمِي
(١) وبعدها :

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلَسِ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصِرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَأِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَاقُ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصِهِ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخَّرَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ

وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصي : يعني من مخرجه الذي قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الرِّاقَيْنِ فِتْنَةً دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ أَخْلُوقِهِ وَالْحِلَّ^(١)
ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُولَنَا نُجْرَدُ ذِكْرًا مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْهَضَلِ^(٢)
وَتَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنْ أَمِّكَ فِي الْوَغَى بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَابِنَا وَمِنْ النَّبْلِ^(٣)
فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ^(٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والحدوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والمحل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الحدوف بسطوتك والجذب بمجود راحتك :

(٢) أنبي : جعلها نايبة لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تفاذها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فننفذت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء . وإن لم يجر لها ذكر . وسكن الباء في « نواصيها » للضرورة . والوغى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا مئناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن أَمِّكَ سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنهم بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغَ لِي الشَّرَابُ وَكَفْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ^(١)

(١) هو ليزيد بن الصقع ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذْ أَوْقَعْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغَ لِي الشَّرَابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصاً - من باب تمب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يلمعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس بمراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبَ قَبْلَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالشُّبْلِ^(١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرَّنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ^(٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَغْبَتَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَنْفِلِي^(٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ^(٤)
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ^(٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت أتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهمى حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد وعليها المراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لا ترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا امررتنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا الرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدَ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : اطرير واثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرأيد : الذي يرسله القوم يطلب لهم السكلا وساقط الفيث . وقوله رأيد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو في داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر يبلده لا يتعنى بنشدان الموضع للمطر ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزي : أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا بِمَنْ يَدْعِي الشُّوقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَاجُ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ^(١)
أَرَادَتْ كَلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِذَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَغَى الشُّوَيْهَاتِ وَالْإِبِلِ^(٢)
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبُّ الْخَيْثَ مِنَ الْأَكْلِ^(٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتاج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذباً في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدح لو تأخر عن المجد إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتاج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذَى مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهُوَ قَرِيبٌ

(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمى المدح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشويهات جمع شوية ، تصغير شاة . يقول : إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؛ يعنى أنهم ليسوا أهلاً لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، ويأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأثنى ضبة ، والعرب تستقدر الورد ، وهو دابة على خلقة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب للاء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرَدًا

وَصِلِّيَانَا بَرَدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« صرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على اللبالة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زردا : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبهه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل للتحاح »

وَقَادَ لَهَا دَلِيزَ كُلِّ طِيَرٍ
وَكُلِّ جَوَادٍ تَلْطِمُ الْأَرْضَ كَفَهُ
فَوَلَّتْ تُرْبُغُ الْغَيْثِ وَالْغَيْثُ خَلَّتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجُلِ

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة يقول : قاد هذا المدوح لكل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق - طويلة - قد أشرف خذاها من فوقها ؟ وهذا من قول الآخر :

كَانَ الْجَنَسَمَ لِلرَّائِينَ طُودَ وَهَادِيهَا كَانَ جِذْعُ سَحُوقٍ
هذا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ؛ يريدون العلو ، وأنها ممتعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عَجَاجَةً سَاطِعَةَ الْعَثَانِينَ
* تنفضُ مَا فِي السُّحُقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر الغبار جرا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أى بمخافر أغنى ، لحذف الحافر للعلم به ؛ والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق بضرب الأرض بمخافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته ، كما يستغنى النعل عن النعل . وصمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول جيهاء الأسدي يصف ضيفا طارقا أسرع إليه :

فَأَبْصَرَ نَارِي وَفِي شِقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ
يَمْرِيهِ : يستخرج ماعده من الجرى .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وتربغ : تطلب . وخلت : تركت خلفها . يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونعمة ، فلما طعمت في الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعنى أمنا ونعمة - خلفت أمنا كان في يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها : أى تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَادِرُ هَزَلَ الْمَالِ وَفِي ذَلِيلَةٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزَلِ ^(١)
وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غُزِيرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيمِ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِغْلِ ^(٢)
تَتَّبِعَ آثَارَ الرِّزَايَا بِمُجُودِهِ تَتَّبِعَ آثَارَ الْأَسِنَّةِ بِالْفُتْلِ ^(٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحمق وقل ابن فورجه :
يعنى أنها كانت في غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
هاريين يطلبون مأمنًا وحصنًا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
ما كان في أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
متوقعة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب
وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويدبره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - ههنا - المواشى . والهزل - بفتح الهاء وضمها - الهزال : ضد
السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
وهزله أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيهم سنة - جذب -
فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
من الدل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى المدوح والسجايا :
الخلائق والطبائع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردا وعصيانها - من المدوح كريم
السجايا يسبق - فى الإحسان - فعله قوله ، ويتقدم - فى الإفضال - إنجازا وعده ، يعنى
أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : للصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى
تحدثها : والقتل . جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب الرّم ليوصله إلى الجرح .
يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح ملحقهم من الرزايا والحسائر بسبب غارة بنى كلاب
وآسى جروحم وداواها بمجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتدأوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَنِيفُهُ وَنَوَّالُهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثَّالِثَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرَوْقُ الشَّمْسُ صُورَهُ وَجْهَهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 شُجَاعٌ كَانَ الْحَرْبَ عَاشِقَةً لَهُ
 إِذَا زَارَهَا فَدَنَتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَرِيَّانٌ لَا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ (٤)
 فَتَمْلِكُكَ دَلِيلٌ وَتَعْظِمُ قَدْرَهُ
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ (٥)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامُهُ
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلَا شَيْلٍ (٦)

يبيض مفارقنا تغلي مراحيلنا نأسو بأموالنا آثاراً أيدينا
 (١) النوال : العطاء ؛ والثالثات : الفاقدت أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتل ،
 وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثالثات من
 حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشك بجموده . قال العكبري : والثالثات في موضع
 نصب عطفاً على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثالثات . ويجوز أن يكون في
 موضع جر ، ولكن المطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ،
 فلو نزلت إليه الشمس شوقاً إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن
 الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيال : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل
 ولا يقتل ، فكان الحرب تعشقه وتعجه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفنت
 من سواء من الفرسان والرجال ، فكانها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل
 مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الرى ، ومصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء .
 يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكانه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يفتقر عن البذل ،
 فكانه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : بملكته وعظم قدره يشهدان بوحداية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ،
 إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول :
 مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية لقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ

فَلَا خَلَقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ^(١)

فَتَى لَا يُرَجَّى أَنْ تَنِمَ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ^(٢)

فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ أَضْلًا أَتَى بِهِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَضْلَ^(٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،

وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :

إِثْلَثُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبْكِي وَتُرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ^(٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أى ولو كان القوى لينا لكان بلا ناب - وقال ابن جنى :
يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو مجبول على البذل والجود ، يمتد البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهراً
مبرأ من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل الذى نشر علينا فضله
فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلثت الرجلين أثلتهما : إذاصرت ثالثهما - والطلال
ما شخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلال - كن ثالثاً فى
البكاء على فقد الأجرة ، فإننا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبارة العكبرى التى
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً فى البكاء على فقد الأجرة ، فنحن نبكى والإبل
تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبابنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكى فىك ، ونوقنا ترزم ، وتندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحتري :

أَطْلَبًا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

أَوَّلًا فَلَا عَتَبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطَّلُولَ لَمِثْلَهَا فَعُلُ^(١)
 لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُمْتَدِّراً بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
 أَبْكَاكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَّعُوا لَمْ أَبْكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
 إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامَهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ^(٤)
 الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلُّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَنَنْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت غفيل بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى طاعة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يسكى لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأُحبة ، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شففوا وقتلوا » للأُحبة والعائد محذوف : أى شففوهم وقتلهم . والبيت من تنمة قول الطلل ، وىروى شففوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأُحبة - شففوك جفا فآذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا ففإنهم قتلونى بارتحالهم - كناية عن دروسه بدمهم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأُحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقت بهم أيامهم دول لديارهم : عمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبرة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلون بها ، دول سرور مستقبلية ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وما منعته منهم لاحالة يؤلمك . وأقت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبرة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلنا بهم .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءٍ تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُغِنَتْ بِهِمَا الْحِلَالُ^(١)
تَشْكُو الطَّاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُّوْهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتُهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ^(٣)

(١) في مقَلَّتِي رَشَاءٍ: متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرشاء: ولد الظبية. والحلل: جمع حلة، وهي القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول: يقول: إن الحسن يرحل في مقلتين مستمارتين من رشاء تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية حينما نزلت افتتن بها القوم الذين نزل بهم.

(٢) يقول: إن هذه المرأة قتين^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصدودها، ثم قال: ومن الذي تصل؟ وهو استفهام، يعني أن الهجر ديدنها فهي لا تصل أحداً حتى الطعام، وقوله وصدودها: قال العكبري: روايتنا فيه عن شيخي بالنصب والجبر: فالنصب عطفًا على طول، والجبر عطفًا على هجرتها.

(٣) ما أسارت، أي الذي أسارت وأبقت: مبتدأ؛ والخبر: تركته؛ والقعب: قذح من خشب مقعر: وجلة «وهو المسك» حالية. يقول: إذا شربت لبنًا من قذح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل. يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها. وفيه نظر إلى قول جميل:

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أَجَاغُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا: وقد قلنا أسارت: أي أبقت، فالسور: بقية الشيء، والجمع أسار، وفي الحديث «إذا شربتم فأستروا» أي أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه سثار - على غير قياس - لأن قياسه «مسر» قال الجوهري: ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْجِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ

«سثار - بالهمز - بوزن سمار: معناه أنه لا يسر في الإناء سؤراً بل يشقه كله؛ والرواية للشهورة بسوار: أي بمعرب وثاب من سار: إذا وثب وثب للعرب على من يشاربه والحصور القى لا ينفق على الندامى، وقيل الهيوب المحجم عن النوى، وإثما أدخل الباء لأنه ذهب بلا مذهب ليس لخارعتة له في النوى».

(١) امرأة قتين: قليلة الطعم؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء.

قَالَتْ أَلَا تَضْحَكُ فَقُلْتُ لَهَا أَعْلَمْتَنِي أَنَّ الْهُوَى كَمَلٌ^(١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرًا صَبَّحَكُمُ وَبَرَزَتْ وَحْدَكَ عَاقَةُ الْغَزْلِ^(٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمُ كَتَائِبُهُ إِنَّ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قُتْلُ^(٣)
مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ^(٤)

(١) نمل : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحون من بطالتك فقلت لها أخبرتنى - فى غوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخر : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحا للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن الهزيمة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي^(١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه الهزيمة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف للنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتائبه ، وإنما تفرق حيثئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكنايب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : وتفرقت كتائبه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ - وتفرق كتائبه من جرائك . فكانت هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : الفيلان الحبيثة .

أَتَمْنَمِينَ فَرَى فَتَقْتَضِيهِ
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِمَيْتٍ حَلٌّ بِهِ
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمَحُ أَدْرَكَهُ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا
 حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا
 شَكَا إِلَى التَّلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ
 أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ قَبِغْتَدِلُ^(٣)
 عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا^(٤)
 فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْمَلَلُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمة
 وألقى حركتها على السين يقول : أ كنت لا تقومين بقراء فتقتضي في فعلك أم
 تقومين بذلك فتخرجي عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروى : ولا خور ؛
 والخور : الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسمع حينئذ البخل ، لأن المكان
 الذي يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا
 ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن
 ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم
 يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشيء للتقن له ، وهو عالم بيجدة أمرك وبيجة
 أمرك وبيجة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخيلته وبطاقته ، وعنده بيجدة ذلك -
 بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها واضبط أمورها
 وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب
 الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة . يعنى : إن الدنيا بما كان
 فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين
 الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا
 قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدَمُ فَنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلٌ^(١)
فَهَوِ النَّهْيَةَ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ^(٢)
فَعُدُّ الْوُفُودَ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشَّكْلِ وَالْعَقْلِ^(٣)
فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُخْتِهِ شُغْلٌ^(٤)
تُنْمِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ^(٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير ببال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كأجل الناس : يعني أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكل ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة ببل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين في «الشكل» على لغة تميم ، وضمها في «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعني أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطيه من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلى أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبداً جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاته فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخذها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليه وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

يَشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْكُرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْيِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجري على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يستقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبرة الواحدى والعبرى : إن الناس يشاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجري على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يستقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جملة خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الحيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر- ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من الطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلى : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ^(١)
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(٢)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر برا جيدا . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنْ لَمْ تَخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ فَلَمَنْ تُصَانُ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ قُدْرَتِي الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقُلُلُ^(٣)
 وَإِذَا النُّجَيْسُ أَبِي السُّجُودَ لَهُ سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَرْضِيَتْ وَهَشُوذَانُ مَا حَكَمْتَ أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمِّكَ الْهَبْلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جني : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبيل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشيء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسول ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسول في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه .

(٤) النجيس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لضعفه بها - وذلك سجود القنا - فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع في عراق العجم - والهبيل : الشكل - النقص - تقول العرب : لأمر ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشدته أصابه بالكلوح وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُعَمَّدَةٍ ، وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شَقْلٍ ^(١)
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَتْلَيْلٌ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلٌ ^(٢)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتَوَا قَبْلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأَوَا خَدَلٌ ^(٣)

فلان المبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ،
أم تتمادى في طغيانك ، فتمسّيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتسكيل ؟
(١) وردت : أى السيف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشعل :
جمع شعلة ، القبس من النار ، شبه سيف الممدوح المصلته بشعل النار :
(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ،
والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل
لمزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد
ابن عبد المدان :

ولكننى أغدو على مفاضة ^(١) دلاص كأعيان الجراد المنظم

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها ، قال ابن
فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، مما
وأكثرهم ديلم ، والممدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر
خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأنفس
(٣) يقول : أنك قومك وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا
عنهم وانفصلوا من جملتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ،
وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم
يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن
انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال .
وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن
نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابعة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة
البراقة ، وشبه حلقها في الدقة والزرقعة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بهذه إلى
بعض وجمع

لَمْ يَذَرِ مَنْ بِالرَّيِّ أَنَّهُمْ فَصَلُّوا وَلَا يَذَرِي إِذَا قَفَلُوا^(١)
فَأَنبَتَ مُغَنِّمًا وَلَا أَسَدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وِعْلٌ^(٢)
تُعْطِي سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ لِنَنَالَهُ الْقُلُوبُ^(٣)
أَسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ مَن كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ^(٤)
لَوْلَا الْجَهْلُ مَادَلَفْتُ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا تَقَلُّوا^(٥)
لَا أَقْبَلُوا سِيرًا وَلَا ظَفِيرًا غَدْرًا وَلَا نَعَرَتهُمُ الْفَيْلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جبهوشه بالرئى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقفولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، خبر « لا » فى الوضعين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والكرع^(١) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يفضيها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخت بمملكته لكلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخر : ينتقل .

(٥) دلف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادئ حرب منهم ، فضرِب لهذا مثلاً بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) الكراع - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَسْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقتْ بِكَ أَحْيِيلُ^(١)
لَا يَسْتَحْيِ أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْهٍ أَوْ فَضَلُوا^(٢)
قَدَرُوا عَفْوًا وَعَدُوا وَفُوا سُئِلُوا أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا^(٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا^(٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمُهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا^(٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدراً وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتيا ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً
(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطرت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .
(٢) استحي يستحي : بمعنى استعيا يستحي . ونضلوك : غلبوك - من المناضلة ، وهي الراماة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فاقوا في الفضل : أراد : أوفضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يطلبون كل أحد .
(٣) يقول : لما قدروا عفواً . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاغترار بهم .
(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .
(٥) الصوارم : السيوف . وتعذر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعذر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمة دارها
وقال ليبد يخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :
فقوماً فقولا بالذي قد علمتما ولا تخمِشا وجهاً ولا تحلِقا الشمر
وقولا هو الممر الذي لا خيل له أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكم ، ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
فَأَبُوا عَلَىٰ مَنْ بِهِ قَهْرُوا وَأَبَوْ شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلٌ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذباً قبلوا عذره تكرماً .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يعجلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى «بركات نعمة ذا» يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعضد الدولة بإدراك الآمال . وروى «بركات نعمة ذا» يعنى أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمَنَّة وبَسْرَة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أتمتها الشباب هربت من رؤوس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسَ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للفتني ومالي ؟ أي لأنني جشمتها من همي ما ليس في وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أي خليف ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدرون .

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالها بأن أنظلم منها ، لحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيدا بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفق : خبر مبتدأ محذوف : أي أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظلم أنا منها ، لأنني فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعني أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفره الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها وانغماسه فيها حتى صارت نيرانها عنده كاللآء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدايدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلاً عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا -

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي مُخَيَّرًا لِي صَنَعَتِي سِرْبَالٍ^(١)
 مَا سُمِّتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالٍ وَكَيْفَ لَا وَانْمَا إِذْ لَا لِي^(٢)
 بِفَارِسِ الْمَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ^(٣)
 سَاقِي كُثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ^(٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِي الْخَلَالِ^(٥)
 وَقَتَّلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ^(٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد
 يجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من
 ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل .
 وسمته : كلفته . والسرد - ويروي الزرد - مداخلة خلق الدروع بعضها في بعض .
 والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - صيغة
 الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : خذف للعلم
 به . والإدلال : الفخر والتباه - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشمال : فرسان
 كانوا لعصد الدولة . يقول لو خيرني الزراد في صنع سربال ألبسه بين أن يكون من
 صنعة الدرع أو من صنعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت
 إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما
 حاجته أن يحسن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة التنبى يترفع عن معاشره
 النساء كبراً وتعقفاً ، ثم قال - التنبى - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن
 بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحمر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ،
 وأولياءه كؤوس الحمر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجهال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛
 وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم فصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب
 « لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : فذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فى أعشار قلبٍ مُقتَلٍ *

أى مذلل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانِ بِالْعَوَالِي ^(١)
وَالْعُتْقِي الْمُخْدَمَةُ الصَّقَالِ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ ^(٢)
وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرُّمَالِ عَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالِ ^(٣)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرُّعَالِ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا الْمَلَالِ ^(٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لَا الْأُسْتَبْدَالِ مَا يَتَحَرَّرُ كُنَّ سِوَى أَنْسِلَالِ ^(٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالي : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفتاه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش للعصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطاء الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الحبل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسايره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللفة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة وضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لوأذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هية له .

فَهْنُ بُضْرَيْنَ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عَالِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٍ ^(١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً الشُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ ^(٢)
فَلَمْ يَبْتَلِ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْتَلَ فِي الْأُدْغَالِ ^(٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ وَالدُّحَالِ
مِنْ الْحَرَامِ اللَّحْمِ وَالْمَلَالِ ^(٤)

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : المعبى بنفسه للستكبر . يقول : فالحيل
تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتضاغره هية
لضد الدولة ، وهو في نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .

(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس
يسهل هية ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالاً له ،
هكذا قال أكثر الشراح - قال بعضهم : ولعل الأئمة بمراد للتنبي أنهم كانوا يفعلون
ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جليتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال
طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعاً ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد
ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر
الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج
يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من
الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك للمسجد والطلع والمغرب والشرق
والمسقط والفرق والمجزر والمسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم
والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع » [

(٣) يثل : ينج و يرجع إلى موئل مضارع وأل أى نجا . وغير آل : أى غير مقصر
اسم فاعل من ألا يآلو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام . وحى الشجر
الكثير للثف . وانفل : دخل في الشجر . يقول : لم ينج من صيده الطير الذى طار
ولم يقصر في طيرانه : أى فكيف ينجو الذى قصر ؟ ولم ينج كذلك ما عدا من
الوحش ، فدخل واستتر بالأدغال : أى فكيف ينجو الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟

(٤) الدحال : جمع دحل ، كالمهوى في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب
و « من » يان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخزير والسبع والخنزير ونحوها .
يقول : ولم ينج أيضاً ما تحسن بالماء والدحال بما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْضِ أَنْطَوَالِ^(١)
 بَيْنَ الْمَرْوِجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَزِيرِ لِلرُّنْبَالِ^(٢)
 دَانِي الْخَنَائِصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ^(٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ^(٤)
 كَأَنَّ فَنَّا خُسْرَ ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْيَالِ^(٥)

(١) دشت الأرض : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرض : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرض . يقول : إن النفوس معدة للأجل حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرض بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام فتفتنا .

(٢) الفيح : الواسعة . جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والربال : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجزم على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنائص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :
 * من كل مشترف وإن بعد المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبلي والغزال سهلي .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير للفرس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوخ خاف على هذا الحيوانات

فَقَبِدَتِ الْأَيْلُ فِي الْجِبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ^(١)
تَسِيرُ سَيْرَ النِّعَمِ الْأَرْسَالِ مُعْتَمَةً بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ^(٢)
وَلِذَنْ نَحَتْ أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنَّ مِنَ التَّفَالِي^(٣)

أن لا تكون كاملة فجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، لذكور منه قرون متشعبة لا تنجوي فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل - بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعرّوف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب^(١) وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الباء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشوّل إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقليل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخليل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالجبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيدة النعم الإبل ، والشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومعتمة : من العامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سير آلينا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجرى - وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمدت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأنقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صغارهن - يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تفل رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جني : يعنى بأنقل

لَا تَشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ ^(١) إِذَا تَلَقَّيْنَا إِلَى الْأُظْلَالِ ^(٢)
 أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعِ الْأَمْثَالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُبَّالِ ^(٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْخَبَالِ ^(٥)
 وَأَوْفَتْ الْقُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ يَبْقِي الضَّالِ ^(٦)
 نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذَنَّ مِنَ الْأَطَالِ ^(٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . وللعنى : ولدن تحت الجبال وقروهن لطولها وتشعبها تمنعن من فى رؤوسهن لوجهن . وما ذهبنا إليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السبة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظل قروهن رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تمييز الجبال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لمجاورته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع القدور ، والفادر ، قال الأصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الحيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو الصدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسى التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسى . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : يخرق . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضرها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لَحَى سُودٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ (١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبَتْهَا مُتْقَالٍ لَمْ تُفْذَ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذَكَاةِ الْمِسْكِ بِالْأَمْوَالِ (٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الجدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَتْنَفَى سُلَيْمٌ قَضَاهُ بِقَضِيضِهَا تُنَشِّرُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحِلْفُ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أَخَادَعُهُمْ عَنْهَا لَكِبَا أَنَا لَهَا
فَفَرَجَتْ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا (١)
(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أى كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتقال : خبيثة الرائحة . والقوالى : جمع غالية ، وهى أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضاه بقضيضها : أى بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انتقاضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انتقض آخرهم على أولهم ، وأصل القن : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانتقاض كقولهم عقاب كاسر أى منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروى تمشح أراد أنهم يمسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا أحلف أى يا رجل احلف ، أو « يا » للتنبية ؛ وأخادعهم عنها : أى عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكبا أنا لها : أى الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

وَإِنِّي لَفَدُو حَلْفٍ كَاذِبٍ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُعْسِرٍ يَدَافِعُ بَالَهُ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَتِي مُخْتَالٍ لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ^(١)
 بَيْنَ قُضَاةِ السُّوءِ وَالْأَطْفَالِ^(٢) شَبِيهَةَ الْإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ
 لَا تُؤَاوِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ^(٣) فَاخْتَلَفَتْ فِي وَابِلَى نِبَالِ
 * مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مُعَالِ^(٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانباً الوجه .
 يقول : لو سرحت هذه اللحية حال كونها في وجه رجل ذي احتيال لكانت له شبكة
 يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان
 محتالاً خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لعدّها شبكة من الشباك التي ينصبها قضاة السوء لأخذ أموال اليتامى بما
 يظهرون من حلي المهابة والوقار وسناء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم - من
 ساء يسوء سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا
 دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ^(١)
 قَالَ الْأَخْفَشُ : وَلَا يَقَالُ الرَّجُلُ السُّوءَ ، وَيَقَالُ الْحَقُّ الْيَقِينُ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ جَمِيعًا ،
 لِأَنَّ السُّوءَ لَيْسَ بِالرَّجُلِ ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْحَقُّ . قَالَ : وَلَا يَقَالُ هَذَا رَجُلُ السُّوءِ - بِالضَّمِّ
 - وَقَرَأُ ابْنَ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو قَوْلَهُ تَعَالَى « عَلَيْهِمْ نَازَةُ السُّوءِ » بضم السين ، يعنى الثمر
 والمزينة ؛ وقَرَأُ بَاقِيَ الْقُرَاءِ بفتح السين ، وهو من النساء . (راجع لسان العرب
 مادة « سوا »)

(٣) الإدبار والإقبال : مصدران أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة قال، الجوهري
 ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على اللث ، قال الكمي :

أَعْهَدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيهِ تَطَلُّبُ عَلَى دُبُرِ هِيَاهُ شَأْوٌ مُفَرِّبُ^(٢)
 والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحية رأيتها كما تستقبلها لعظمها
 وعرضها فهي تم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : المطر الكثير . والطود :

(١) أحال القذوب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :
 فَنِي لَيْسَ لَابِنِ الْعَمِّ كَالْقَذْبِ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ
 (٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجبل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار .
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من « معال » :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذَبُ الْعُرَى وَجِرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفَضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي « أتيته من علا » يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنْوُشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَا زَ الْفَلَا ^(٢)

وفي « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي « أتيته من عل » - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانِ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجريه - بالكسر - حالة الجريان

(٢) بأت : أى الإبل ؛ وتوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه المكر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله مما :

يعنى أن السكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه في سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هدا

الفن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفن

الفن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغَرَقَى بِيضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ^(١)
فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .
وفى « أُنَيْتِه مِنْ عَالٍ » يقول دكين بن رجاء :
يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِ عَجَلَى وَرَجُلِ شِمْلَالِ
* ظمأى النَّسَا مِنْ تَحْتِ رِيَا مِنْ عَالٍ^(٢) *

وأُنَيْتِه مِنْ عَلُوٍّ ؛ قَالَ أَعْنَى بِأَهْلَةٍ :
إِنِّى أَتَنَّى لِسَانُ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(٣)
ويروى مِنْ عَلُوٍّ وَعَلُوٌّ يَقُولُ : رَشَقَتْ هَذِهِ الْأَيَّالُ بِالنَّبَالِ مِنْ أَعَالَى الْجِبَالِ وَأَسَافِلِهَا
فَهِيَ نَجْمٌ مِنْهَا وَتَذْهَبُ بَيْنَ نَبَالٍ كَالْمَطَرِ تَأْهِى مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

(١) اللَّيْطُ : جَمْعُ لَيْطَةٍ - كَرِيْشٍ وَرِيْشَةٍ - قَشْرَةُ الْقَصْبَةِ وَالْقَوْسُ وَالْقَنَاةُ وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ مَتَانَةٌ ، وَالْقَيْضُ قَشْرُ الْبَيْضِ الْأَعْلَى الْيَابِسِ وَغَرَقَى الْبَيْضُ : قَشْرُهُ الَّذِى تَحْتَ الْقَيْضِ ، وَمَلَّكَ : شَدَدَ - مِنْ قَوْلِهِمْ مَلَكْتُ الْمَرَاةَ الْعَجِيْنَ : إِذَا عَجَبْتَهُ وَأَنْعَمْتَ عَجَبَهُ وَأَجَادْتَهُ - وَالَّذِى : مَفْعُولٌ مَلَّكَ لِأَصْفَةِ اللَّيْطِ ؛ يَقُولُ أَوْسٌ : تَرَكَ شَيْطَانًا مِنَ الْقَشْرِ عَلَى قَلْبِ الْقَوْسِ تَهْلِكُ الْقَوْسُ بِهِ - أَى تَقْوَى وَتَشْتَدُّ - يَكْنِهَا أَى : يَسْتَرُهَا لِثَلَا يَدُو قَلْبُ الْقَوْسِ فَيَتَشَقَّقُ وَهُمْ يَجْمَلُونَ عَلَيْهَا عَقَبًا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا قَشْرٌ ، وَلِذَلِكَ مَثَلُهُ بِالْقَيْضِ لِلْفَرْقِ .

(٢) الْأَغْلَالُ : جَمْعُ غُلٍّ ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِى يَتَخَلَّلُ بَيْنَ الشَّجَرِ ، وَشِمْلَالٌ خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ ، وَالنَّسَا - بَوْزَنُ الْمَصَا - عَرَقٌ يَخْرُجُ مِنَ الْوَرَكِ فَيَسْتَبْطِنُ الْفَخْدَيْنِ ثُمَّ يَمُرُّ بِالْعَرَقِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَافِرَ ، فَإِذَا سَمِعَتْ الدَّابَّةُ انْفَلَقَتْ نَفْسُهَا بِلَحْمَتَيْنِ عَظْمَتَيْنِ وَجَرَى النَّسَا بَيْنَهُمَا وَاسْتَبَانَ وَإِذَا هَزَلَتْ الدَّابَّةُ اضْطَرَبَتْ الْفَخْدَانِ وَمَاجَتْ الرِّبْلَتَانِ : جَمْعُ رِبْلَةٍ بَاطِنُ الْفَخْدِ ، وَخَفَى النَّسَا . يَصِفُ دَكِينَ فَرَسًا . يَقُولُ : يَنْجِى هَذَا الْفَرَسُ مِنْ خَيْلٍ مِثْلِ حَمَامٍ يَرُدُّ غُلًّا مِنَ الْمَاءِ وَقَعَ يَدَ الْخِ يَصِفُهُ بِالسَّرْعَةِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ قَوَائِمَهُ لَيْسَتْ بِرَهْلَةٍ وَلَا كَثِيرَةِ اللَّحْمِ وَيَحْمَدُ ذَلِكَ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهَا رِيَا مِنْ فَوْقَ يَقَالُ فَرَسٌ رِيَانُ الظَّهْرِ إِذَا سَمِنَ مَتْنَاهُ .

(٣) مِنْ كَلَنِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِى رُبِّى بِهَا النَّتَشْرُ ، وَاللِّسَانُ هُنَا : رَادِبُهَا الرَّمَالَةُ وَالْكَلِمَةُ وَالْحَبْرُ

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَدَلٍ يَخْفَنَ فِي سَلَمَى وَفَى قِيَالٍ^(١)
نَوَافِرَ الضَّبَابِ وَالْأُزْوَالِ ، وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّثَالِ^(٢)
وَالظُّبَى وَالْخَنَسَاءِ وَالذِّبَالِ يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ^(٣) * .

فُصُولُهَا وَالْمَوْذُ وَالْمَتَالِي تَوَدُّ لَوْ يُنْتَحِجُ فُحَا بِوَالِي^(٤)
بِرَّ كِبْهََا بِالْخَطْمِ وَالرَّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ^(٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيد خافه الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
(٢) نوافر - كما قال ابن جني - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدوية المعروفة يأكلها العرب . والأزوال - جمع ورل - دابة على خلقه الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بد إلا لوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو ذؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيٍّ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها - بقر الوحش - لخنس أنفها . والذبال : الثور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الطريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع هجها عن السؤال :

(٤) غولها : جمع غل ، وهي رواية ابن جني : وتروى غولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكروك ، فأثني بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحول : جمع حائل ، ضد الحامل . والموذ : الحديثات التاج ، جمع هائذ . والتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذلها ، وتتمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زيمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالسروج للخيول ، يقول : هذا الوالي

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالَى ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
يَا أَقْدَرَ السُّفَارِ وَالْفُقَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأُسْدَ بِالثَّعَالِي ^(٢)
أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
* لَأَلَيْنَا قَتَلْتَ بِاللَّيْلِ ^(٣) *

يذل الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وما يصيبها من خوف الصيد ؛

(١) خمس للال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والمطال : للتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والفقال : جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالي : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرائي ، جمع أرنب قال أبو كاهل البشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَأَنَّ رَجُلِي عَلَى شَفَوَاءٍ حَادِرَةٍ ظَلَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلٍّ خَوَافِيهَا
لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَخَزَ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتم بالآلى بدل الإلال - الحراب - لقامت الآلى في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف متقارها الأمل ؛ والحادرة : الفليضة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشترارة ، وهي اللحم المحنف للادخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يجف لكثرة ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى يروى رحلى ، والثعالي : الثعالب ، والأرائي : الأرانب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّعَالِ فِي الظُّلَمِ الْغَائِبَةِ الْهَلَالِ^(١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الْأَمَالِ^(٢)
 فَلَمْ تَدْعُ مِنْهَا سِوَى الْحَالِ فِي لَا مَكَانٍ عِنْدَ لَا مَنَالِ^(٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِ النَّسَبُ الْحُلِيُّ وَأَنْتَ الْحَالِي^(٤)
 بِالْأَبِ لَا بِالشَّنْفِ وَالْخُلُخَالِ حَلِيًّا تَحُلِي مِنْكَ بِالْجَمَالِ^(٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلِي ثِقَالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمِعْطَالِ^(٦)

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد - بالإسكان - والسعال : جمع سعال ، وهى القول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع أبل ، وهى التى تجزى بالكلا عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الغيلان فى الهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى للفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرین فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى المفاوز ، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلا لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكك كل شئ يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود . وقوله فى : « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى ؛ وبالأب : متعلق بمحذوف - أى تتحلى - والشنف : القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف . يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال : يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : الذى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا يسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبيح - بالتقاف والباء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَفَخَّرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ^(١)

* * *

والقبیح مذکر ، ولا يجوز أن يطلب المؤنث على للذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتاخ وفتوخ ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إرادته هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفقة إلى المرأة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إننى قد دُستُها دَوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المَقْصَبِ شاته عجلانَ يذبّحها لقوم نزل
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَم ، ولا بتقبيل ، ولا بغم
إلا بزَعزاع يُسَلِّى هـى تسقطُ منه فَتْحَى فى كَمَى
« الزعزاع : الاسم : من زعزعه زعزعة : أى حركة » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالم : حال من الضمير المذكور ، وقال الصكبرى : الباء فى قوله « بالم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير الصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالم ، كقولك هند مرت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميم وإنما فخارُ الذى يَبْنِي الفخارَ بنفسه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفريه بحصن برزؤيه ، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه^(١)

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى في المساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤكما كالربع : مبتدأ وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك : شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزننى . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أى تساعدا وتعاوننا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل لمخاطب خليليه الذي عاهداه على أن يساعدها على البكاء . عند ربع الأحبة يقول لها : إن وفاءكما بأن يساعدا على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزاثره وأشد حزنه لأنه لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل إسعادكما لى على البكاء اشتد حزنى إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى البكاء ، أما أنتما غليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلى . يريد : أبكىا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشغى للوجد ، فإن الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤكما كالربع : أى كلما ازددت بالربع وبوفائكما وجرأ ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكما كالربع الدارس فى الأدواء إذا لم تعجريا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء إذا أجرىنا عليه . وعبرة ابن القطاع : وفاؤكما لى بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذى أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشتفى الدمع الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعْقُ خَلِيلِيهِ الصَّغِيرِينَ لَا مِثْلَهُ^(١)

أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هَيْدَةُ مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تِلَاقِيَا^(٢)

قال التبريزي : لأمهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيهِ . هذا : ولنا نسبة « أشجاء » روى الرواة أن المتنبي لما أشهد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاء وهو هجاء ؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أى أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاء يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاء تذكر إلفه : أى هيجه ، وشجاء الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاء يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجاء : ما اعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا تَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجا ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلِقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا
« فِي حَلِقِكُمْ : أراد في حلوقكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواء ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامي منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه الحق ، فكان لأتمكما أعقكما ؛ قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَا مِثْلَهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَائِهِمْ أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدَقُّ وَالْأُمُّ

أى فأيهما الدقيق والاثيم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتغلا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : ويرى

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهى أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُبْلَاهُ^(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إني عاشق كل عاشق مصف يعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزي : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصبغة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصبغة من لا يكون موافقاً له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدوا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « يتزيا » قال ابن جنى : سأله . . أى للتنبى - عن قوله « يتزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنرضى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانتقلت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى مجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم^(٢) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصفى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين - أى الخليل بن أحمد - فقال تزيا فلان بزى حسن وزينته تزية - بوزن تعية - فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل^(٣) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدره :

يَزِيدُ يَفْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَى إِلَّا وَأَنْفَكَ رَاغِم

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهنم بن سبل ؛ وصدره :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنَّ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّرَبِّ خَاتَمُهُ^(١)

يَاءَ أَنَسٍ بِهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحْفَنَهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَحْقِيرِهِ عِيدٌ ، وَهُوَ مِنْ عَادٍ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدَ وَأَعْوَادَ ، كَمَا قِيلَ فِي تَحْقِيرِ « رِيحٍ » رَوِيحٌ ؛ وَفِي جَمْعِهَا أُرُوحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِ فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأُرُوحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أُجْرِيَ مَجْرَى الْبَدَلِ الْإِزْمُ لِحْفَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَتَرَدَّدُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِ الْيَاءِ مِنَ الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زَيْ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي أَنْ نَكُونَ عَيْنَ الزَّيِّ وَوَاوًا فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتَ ، وَرَوَيْتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَوَاوُ وَلَامُهُ يَاءٌ أَكْثَرُ مِنْ بَابِ حَيِّتَ وَعَيَّيتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَلَامُهُ يَاءٌ إِنْ فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْإِشْتِقَاقُ عَلَى قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالَفَ وَضَعَهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِأَطْلَالِ الْأُحِبَّةِ مَتَوَجِّعًا لَهَا مِنْحِنًا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتَمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنَى هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْقِ عَجْزُهُ جَزَالَةٌ لَفْظُ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتَمِهِ مَبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالُغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَارِبَةَ . . . وَهَذَا بَعِينُهُ قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حِيَارِي كَفَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ خَدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخُلْخَالُ . . . قَالَ الْعُرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ اللَّتْنِيِّ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْحَاتِمَ اسْتَجَابَ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِّهِ عَلَى الْحَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْحَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخُلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ اللَّتْنِيُّ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مِنْحِنًا لَوْضَعَ الْيَدَ عَلَى الْكَبْدِ وَالْإِنْطَوَاءَ عَلَيْهَا كَوُقُوفِ الشَّحِيحِ الْطَّالِبِ لِلْخَاتَمِ . وَيَشْهَدُ لَصَحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ يَذُمُّ بَغْيًا :

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدِيمَا ، وَيُرْوَى دَوْمَا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دِيمَتِ السَّمَاءِ تَدِيمًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ ، أَوْ الْمَطَرُ الْقَدِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْبَتَهُ ، وَوَبِلَ : مِنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطَرِ .

كثيباً تَوْقَانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضَ الْحَيْلِ حَازِمُهُ^(١)
قَفِي تَغْرَمُ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةِ وَالْمُتَلَفِ الشَّيْءِ غَارِمُهُ^(٢)

نَكَسَ لَمَّا أُتِيتْ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَفَكُّيسَ نَاطِلِ الْخُرَزِ
فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتنكيس الرأس . على أنا نقول -
إن التزمنا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الخاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَ مِنْ نَفْسِ الْعَالِ شَقَّ طُولًا قَطْعَتُهُ بِاتِّحَابِ
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وَلَيْلُ كَيْظِلِ الرُّمَحِ قَصَرَ طَوْلَهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاكُ الْمَزَاهِرِ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جعله الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أى حزيننا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدنى واجتنبنى . والريض من الحيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العواذل اللأى يعذلننى - يلتنى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقفت
على الربيع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الحيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضربه برجله -

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتي : مفعول تغرم ؛ وغرم ما أتلغه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
أتلقت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحيينى ، فإن فعلت
كانت النظرة الثانية غرما لما أتلغته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبه
تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلقت مهجتي
فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للهبطة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَتَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ إِنْ مَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَأُخْدُورٌ كَمَا مُنَّةُ^(١)
وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاحِدٌ لَكَ عَادِيهِ^(٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة أنلفت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدِمُ قَبْلَهَا نَظْرًا
وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

يَا مُسْتَقْمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظْرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي
وروى الخوارزمي تغري - بالياء - وأصله تغرمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهم حق في موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفى يامه حق تغري النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن أنلف شيئاً غرمه : أى ألفت على النظرة الأولى التي رميتها منك
أولا فاغرمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأتم أغلفة الزهر قبل أن
تنتفخ . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدود لمن بمنزلة الكأتم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقي والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحني الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللَّهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَقَا
(٢) الأَطْعَام : النساء في الموائد . وقوله «ما واحد لك عادمه» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :
أَضْرَتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا
وقال الآخر :

إِنْ يَبَيْتَا أَنْتَ مَا كُنْتُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْجِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْمُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُغَيِّ الْمَعْلَى وَرَازِمُهُ^(١)
 حَبِيبٌ كَانَ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارٍ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
 تَحُولُ رِمَاحُ أَلْطُ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبِّ لُهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَامَتُهُ^(٣)
 وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَلِيلِ أَذْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمَلَازِمُهُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كالرازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تمقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالاً ، وإنما ركابها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى اللبالة والتعمق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى اللبالة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانقرده به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيباً .

(٣) الخط : موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحقى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بَصْمٌ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه لخدمته .

(٤) أذن : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الكباء الكبة ، قال : والجمع كباء ، وقد كبت ثوبه - بالتشديد - أى بخره ، وتكبت واكتبت إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَّةِ الْمَشَى تَى وَبُلُهُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامُ^(١)
 يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرَبْتُ عَفِيفِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ^(١)
فَلَا يَتَّبِعُونِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ^(٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة
وغاية النعمة . وعبرة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار
كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول
ستر دونها مما يلها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا يقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه
غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها
فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار
آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة المتنبي في إشارته بالبالغة .

(١) يريد كثرة مالمقى من صروف الدهر ، وما ملى به من فراق الأحبة حتى
لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تريبه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول
عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها^(١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
فلما دَهَنَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْماً
وقال الأعور الشنى :

لقد أضبحتُ لا أحتاجُ فيما
يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى السُّؤَالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصيرانِ شيئاً نَكِرْتُهُ
هَما السَّالِبَانِ الْوَاهِبَانِ هُما
(٢) الكاشح : الذى يضمرك لك العداوة . والعلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كلته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغلبة وولدها :

تَرْجَى أَغْنٍ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادُهَا
ترجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه
كأنه إبرة .

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيَهُ هَادِمُهُ^(١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَا وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ^(٢)

قال ابن جنى : سأله - أى المتنبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوح ؟ قال : أن يظنوا بى جزعاً . يقول : لا يتهمنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من العراق ، فإنى قد ذقت المراتر حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . وملنى رعيت الردى : رعيت أسباب الردى من المخاوف والهالك ، وكنى بالعلام عن المراتر ، ولهذا قال « رعيت » لأن العلم مما يعى ، يعنى إنى لا أجزع من العراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالى مِنَ النَوَى وإنْ بَانَ جِيرانِ عَلَى كِرَامٍ
وقال اللّؤرج السدوسى :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ فى أَهْلِ وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى :

لقد وقرّنتى الحادِثاتُ فإِذَا أَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَتَوَجَّعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير فى « توقيه » للباكي ، وفى « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذى يحزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

تُضَعِّضُهُ الْأَوْقَاتُ وَفِي بَقَاؤِهِ وَتَفْتَلَهُ الْأَقْوَاتُ وَفِي لَهُ طُعْمُ

إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْتَقِىَ فَنَى دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالعائب : السواد الذى غاب بقدوم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ^(١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقَ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ^(٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكَمْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنِ حَامَتُهُ^(٣)

بالعائب : لون جلد العارض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيًا ثم يافعا مترعرا ثم يئب شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن :

مَنْ شَابَ فِي النَّاسِ مَاتَ حَيًّا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشَى هَالِكٌ
لَوْ كَانَ عَمْرُ الْفَتَى حِسَابًا لَكَانَ فِي شَيْبِهِ قَدَالِكُ^(١)
وبيت التنقي من قول ابن الرومي :

سَلَبْتُ سَوَادَ الْعَارِضِينَ وَقَبْلَهُ بَيَاضُهَا الْحُمُودَ إِذَا أَنَا أَمْرَدُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا خضب ظهر للغواي أنه شاب فترغب فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكنت بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح - الحسن والجود - واستحقاق التأمل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أي الأشجار كانت : وتن - يحذف إحدى التامين - وفي رواية : لم تن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتت السحاب وحاكه - نسجه وصنعه - وأغصان تلك الأشجار لا تنغي حماعها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَا جَ كَأَنَّهُ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ
تُقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطِهِ
فِي كَمَا لِمَنْ بَشَفِي مِنَ الدَّاءِ كَثِيرُهُ
مِنَ الدَّرِّ سِنُطٌ لَمْ يُنْقَبْهُ نَاطِلُهُ (١)
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدِّهِ وَبُسَالُهُ (٢)
تَجُولُ مَذَاكِهَ وَتَدَأَى ضَرَاغُهُ (٣)
لَا بُلُجَ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَائِمُهُ (٤)
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبَرَّاجُهُ (٥)
وَمَنْ بَيْنَ أَذُنِي كُلِّ قَرْنٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأتواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يشبهه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها الفارس والتهارش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدا وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج الشرق ، والدمى قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلج ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : بلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلج . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلغ - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامتها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقبلون بساطه ، ولا ييلفون أن يقبلوا كنه أو يده ؛ لأنه أعظم شأننا من ذلك (٦) قايما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قايما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبه ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالذاء عن غوائل الأعداء وطغيانهم ؛ يعنى أنه يرد بالطنن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو ما يوسم به

قَبَائِلُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيِّبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُنُودِ عَزَائِمَهُ^(١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَاحِجُهُ^(٢)

- المسكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بحمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى أقفائهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قبيلة ، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجنود : جمع جنود ، القمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجنود .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائمه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكانت من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجحاجم ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضدير فى «ها» . للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنائية للعسكريين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجحاجم بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكتها العدو فذاكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلهذا لم تبق إلا الجحاجم . . . وبعد : فما أبدع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
يُصَاحِبِنَهُمْ حَتَّى يُفَرِّغَ مُفَارِهِمُ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحدد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمراب جمع مرنباتى ، وهو الثوب البطين بفرأه الأرناب . يقول

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوَّطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغُهُ (١)
فَقَدَّ مَلَّ ضَوْهَ الصُّبْحِ مِمَّا تَغْيَرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادَ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحِمُهُ (٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ جَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاحِظُهُ (٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغم - ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم والملمم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) التاء - في « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، غذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : أمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الغارة : واصبحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل في معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكأنه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملئت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والجهان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبي رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والفضاب كأنها في ريشها ووقوفها ترقب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المراتب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحاً مستعرضاً .

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملئت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملئت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقمها عليه . هذا : وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : اللامطة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدَبِّرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليلغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوى الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث فى الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير فى الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحباً وجعل جيشه كذلك سحباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً فى الصناعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويرحف تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صلبة الطير للعبش — كثير فى كلامهم ، قال الأئوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٌ ثَقَّةً أَنْ سَتُمَارُ
« أى تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَايَا الطَّيْرُ غُدُوته ثَقَّةً بِالشَّيْعِ مِنْ جَزَرِهِ^(١)
وايئت المتن من قول أبى تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ هِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانٍ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامْتُ مَعَ الرِّيَاطِ حَتَّى كَانَهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

(١) تأييد الشئ : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تمتدوا على التنبي بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أنامه بمقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرتة وتزاحمه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حىٍّ قد خبطت بنعمة فحقُّ لشأسٍ من نَدَاك ذنوب^(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائِجُ دَلَوِي دونكا إنى رأيت الناس يحمّدونكا^(٢)

وهما لم يستقيا ماء في الحقيقة ، وإنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خطبه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو للملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي ثمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسائي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصْر حان مَشِيبُ

(٢) الليح في الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو ويده يبيع فيها يده ، ويمسح أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالمائِج : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمائِج : المستقى من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائِج ياست المائِج ، تعني إن المائِج فوق المائِج ؛ فالمائِج يرى المائِج ويرى إسته .

سَدَكْتُ حُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ ^(١)
 مِنْهَا لَيْتَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذَّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَائِمُهُ ^(٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْبَحْرُ عَائِمُهُ ^(٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيفَانِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشُّعْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ ^(٤)

(١) صروف الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوى ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جملة
 مركوباً استعار له ظهراً وقوائمه وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاك : المفاوز ؛ ونصب « مهاك »
 كأنه أبدلها من « الصروف » وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صروف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاك
 لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكها الغراب لم
 تصحبه قوائمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لها « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاك
 فغيرها أعجز عن قطعها ؛ وبعبارة بعض الشعراء : أراد بالمهاك — أى المفاوز —
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صروف الدهر . يقول : الصروف التى
 قطعها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بدرًا فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرًا فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيرة . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :
 تَأْوَى لَهُ قُلُوصُ النَّعَامِ كَأَوْتِ حِزْقِ يَمَانِيَةٍ لِأَعْجَمِ طِمْطِمٍ ^(١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ^(١)
أَقْدَسُ سَلِّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ يُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَائِلُهُ^(٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطمطامى وطمطمانى ؛ وفى لسانه طمطمانية . وفى صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف لها مع كثرة طمطام الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء . عن بلوغ وصفه .

(١) يمم : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سرى بالليل مشتتلا بالظلام كأنى سر والليل يكنم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى وطئيك سرأ لو تكلف طية دجى الليل عنا لم تسمه ضمائرهُ
وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة العطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :
سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من التنبي - :

تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَخَفَ جَنَاحُهُ كَأَنِّي سِرٌّ وَالظُّلَامُ ضَمِيرٌ^(١)

(٢) قال الواحدى : يقول : هو سيف سلّه المجد ، يعنى أن الشرف ومعالي الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثله الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يتثل بالضرب : وتقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم فى سواده بهذا الراعى الحبشى وقيلص النعام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد فى إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالى والعجبة ، لأن الظليم لا نطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلا من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب مالا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، وربما نشأت سحابة فى وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه فى جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالخرق اليمانية : تلك السحاب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

فَلْيَ عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَغْرَ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ ^(١)
تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَفِي عَبِيدِهِ ، وَتَذْخِرُ الْأَمْوَالَ وَفِي غَنَائِمِهِ ^(٢)
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ ^(٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد المملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأغر : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حماته : وقائمة : مقبضة . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق المملكة نجاهه يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذي يمضيه فيه في أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَهْدَى سَوِيْدَاءَ قَلْبِهِ لِحُدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
وقد ذكره التنبي في سيف الدولة بقوله :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ ، وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسترقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحتويها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكنيب - ، وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد ، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أُنْسِبِ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدُ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبداء والعبداء : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثاء فوقها - والعتيد : الشيء الحاضر المهيأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أي آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَطَّالٌ لَهُ (١)
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَفْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرؤوس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابتهم لزبة : أى شدة وقطع ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما المدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرؤوس ولا يزيد ، ولكن هذا المدوح يقطع رؤوس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهمام : الملك العظيم . والرُبَى : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبَى وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بِفَسْرِ الْغَيْوِثِ يُونِقُ زَهْرُ؟

وبعبارة العكبرى : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله ﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل ﴾ ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَاقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ^(١)
 فِي سَبِيلِ الْعَلَى قِتَالِكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ^(٢)

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أديب لسؤاله ملكاً جليلاً بـ «أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فني :

لعمرك إني وأبا عليّ كنبت الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربيه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربني فيه رَبُّ الزمان كَانَ الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جني : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل^(١)

وقال ابن فورجة : يريد نحن من ضايقة الزمان ، حذف الراجع إلى الموصول ، والماء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيهم عمرو له : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «خان» ، يقال خان الزمان زيداً ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يضير ذماً للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام : الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتُ وقد خبّ آلُ الأُمَرِ المتوقّد^(٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن اللوح وقيل لجمل وتمثل - بحذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتمثّل ، وتراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجدام الإسراع في السير ، وآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحَيَامُ^(١)
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ اخْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامٌ^(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا^(١)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قاتلت أو سالت ؛ أقت أو سرت ،
فقصده في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة في مسيرك ونزولك في
سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عني أن يكون بهيمة أو جحاشاً ، ولا يحسن
بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتني امرأتك فأخدمك . قال
ابن جني : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ،
فأجاب عن ذلك نظماً فقال :
لقد نسبوا الحيام إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جني : وتلخيص المعنى : ليتنا نفيك الأذى
وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، وبرى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمي بمعنى
الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال
تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شقَى النوى والمسالِكِ^(٢) *

نصف النهار ، والأُمُز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت
على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت في السير في حال خيب آل الأماكن التي اختلط
تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسي ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد
المعجم بعد إثارة الفتن في حرب داحس . والبيت من أبيات في الحماسة انظرها في
« حماسة أبي تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهم يُصيبُهُ

وقليلٌ ههنا بمعنى النفي .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامَ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَلَّمَا زَرْتَهُ وَجَدْتَ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

الْمَجْدُ صَاحِبُكَ الَّذِى حَالَفْتَهُ أَبْدًا فَرَوَضْتُهُ الْمَرِيضَةَ مَرْتُكَ

فَإِذَا رَحَلْتَ سَرَيْتَ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَإِذَا رَبَعْتَ فَنَى ذِرَاهُ مَرَبَّكَ

« المريضة : الخسبة . وربعت : أمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح
الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت المهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن المهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإِنْ عَلَيَاتِ الْأُمُورِ مَشْهُوبَةٌ بِمَسْتَدْعَاتِ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فَقَالُوا : أَلَا تَلَهُوْا لَتَذْرَكَ لَذَّةٌ ؟ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ اللَّهْوُ وَالْهَمُّ حَاجِزُ

وَنَفْسِي تُعْانِي أَنْ تَقِيمَ مَرْوَعَتِي عَلَى غَايَتِي فِي الْمَجْدِ وَالْجَهْدِ عَاجِزُ
وَمِنْ قَوْلِ أَبِي زُرْعَةَ :

أَهْلُ مَجْدٍ لَا يَحْفِلُونَ إِذَا نَالُوا جِسْمًا أَنْ تُنْهَكَ الْأَجْسَامُ
وَمِنْ قَوْلِ الْحَصَنِ :

نَفْسِي مُوَكَّلَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلُبُهُ وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلَفُ
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ جَابِر :

إِذَا مَا عَلَا الْمَرْءُ رَامَ الْعُلَى وَيَقْنَعُ بِالذُّونِ مَنْ كَانَ دُونَا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبَدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَ لَوْ أَنَا سِوَى نَوَاكِ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشَقِّ النَّفْسِ سِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْحَدِيدِ يَوْرِثُ النَّفْسَ خَبِلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فِيَا مَنْ يَكْدُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شَفْلُهُ
(١) يقول : كذا دبدن البدر : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر يمجج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعادتك عادتتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلنا غير فراقك .
لصبرنا صبراً جيلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنقص عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بفراقه ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ يَشْرِبُهَا الْغَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِيًا بِمَكَانِهَا
فِيلاً يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخْوَاهَا غَذَّتْهُ أُمُهُ بِلَبَانِهَا^(٢)

(١) الحبل : الفساد ، في الأصل ، وللراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تكسر وتحطم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على
مذهب العراقيين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجتماع على
تحميرهما ، وجعل الزبيب أخاً للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستعار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(• - المعنى :)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهْ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللَّهُامُ^(١)
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَا كِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ^(٢)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَائِبَ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ^(٤)
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورُ ، وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء فيهلكه ويذهب به .
يقول : أقم عندنا لتفنى الوحشة عنا يا من يأمن بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
بمكانه ، فهم وإن كثروا يأمنون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذى : عطف على من - فى البيت السابق - والوغى : الحرب . والذمام :
العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :
مُسْرَعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

(٣) الكتبية : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون
على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذى يضرب
الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به
الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من
البيت السابق . يقول : والذى تنبت بلاد ذلك المكان الذى تحمل به سرور ، والذى
تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومٍ بالمطيرة أمطرتنا سماء صوبٍ وابِلها العُقَارُ^(١)

(١) المطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكافت من متزهات بغداد وسامراء : قال
البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .

كَلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كَرَمًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكَرَامُ^(١)

وَكِفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي وَارْتِيَا حَا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ^(٢)

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤْمِلِ سَيْفِ الدِّ وَزَلَّةُ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ^(٣)

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَفَّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ^(٤)

* * *

وقال بمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنْ ارْتِيَا حَا فِي غَمَامٍ دَائِمٍ^(٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كرمًا لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُبْتُ لِأَقْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تبجن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يمشى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبي طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبدل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثَمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْحَمَامُ

(٤) يقول : إن تواقه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء فى غمام لا يقلع مطره .

وَمِنْ احْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبُهُ ؛ فَمَا الْأَحْظَهُ بِمَعْنَى حَالِمٍ ^(١)
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا ^(٢) حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ
 وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخَنَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ ^(٣)
 وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرِكَ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ ^(٤)
 أَبْدَى سَخَاوَتَكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمِرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ ^(٥)

(١) تحبوبة : تسخو به . و « ما » في قوله « فما الأحظه » نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء الأحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني استعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعينه في اليقظة وإنما أراه حلما . وبجارية أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنني أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .
 (٢) الهاء في « سيفها » : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا يذبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .
 (٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تخنم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .
 (٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاعت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .
 (٥) للشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرته يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أيدع في وصفه أصبح منسوباً إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثاقارين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

إِذَا كَانَ مَذْحُ فَالنَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكْلُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَمِّمٌ ^(١)
 لِحَبِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أُولَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْخَمُ ^(٢)
 أَطْعَمَ الْغَوَانِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ ^(٣)
 تَعْرِضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَصِّمُ ^(٤)

(١) النسب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . وللتيم : الذى استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متمم بالحب حتى يبدأ بالنسب ؟ يعنى ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجليل يكون به بدؤه وختامه ، يعنى لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغواني : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، خذف للعلم : يقول : كنت أرغب فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصفر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعبرة العكبرى : أطعت الغواني فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصفر شأنهن عند عايتها وقال ابن جني : كنت متيا بالنساء وحين قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : يعنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن المعالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَجَازَ لَهُ فَحَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمٌ ^(١)
 كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَارَ وَهًا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا ^(٢)
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرَمُ ^(٣)
 فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ ^(٤)

للفصل في الضرب ؛ والتصميم : أن يعض السيف في الضريبة . يقول آتى الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذى إذا أصاب الفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يعسر عليه ما أراد ، كما قال فى البيت التالى .

(١) يقول : فحكمه جاز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أى أنه أحسن منه ، فالميسم الحسن ^(١) . وهذا ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروصى : إن جاز أخذ الميسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بأن أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار بالميسم على البدر إلى ما فى وجهه من السواد الذى هو أثر المحو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بممالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والماء فى « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظريفة وظرائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعنى أنه لا اقتداره لا يعتمد فى إخضاعهم إلى الملائنة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل فى هذا نظراً إلى قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب فى حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
 (٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم فى معلقته .

فلعان من بنى جشم بن بكر خلطن بميسم حسباً ودينا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ ^(١)
 ضَرْبُ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامَيْنِ ضَيْقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمٌ ^(٢)
 تُبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَذْهَمٌ ^(٣)
 يَبْطَأَنَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتُهُ ، وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ ^(٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ مسمى كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعت ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دينار - بالتشديد - بدليل قولهم : دنانير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذاباً » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه آمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديباج وأصله دباج ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والنزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفهما ؛ وإذا ستر الغبار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطيء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدّة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام بريق الحديد ؛ ولائها تستغرق الأرض بسيرها

استغراق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء
 (٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْبَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ ^(١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنَّ ، وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ ^(٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتِهِنَّ يُحْطَطُ ^(٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْحِجَابِ ، وَبَذَلَ اللَّهُا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمٌ ^(٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول الحصين بن الحمام للرى :

يَطْأَنُ مِنَ الْقَتْلِ وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْشِماً
 « الحبار : الأرض الرخوة ، تمتع فيها الدواب ، وفي الثلث : من تجنب الحبار
 أمن العثار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا
 مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عامل - من عسلان الذئب ،
 وهو الإسراع والاضطراب في الجرى - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول :
 إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع
 الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديته .

(٢) في الواد : يريد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكن : جمع كامن - من
 كن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع
 في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دولاها - يقول : إن خيله
 تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في
 الأودية فكنت فلم تظهر ، وتمتع على الأعداء رهوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها
 والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر .
 فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يتمتع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب
 الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي
 فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع
 للمدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والحمي : العقل .
 واللهي : العطايا ، جمع لهية . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ،
 يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم

يَقْرِءُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوْدُهُ ،

وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجِبُ^(١)

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌّ وَجُرْهُمُ^(٢)

ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِيَا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يَوْمُهُمُ^(٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنَيْنَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ^(٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
والظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستقدم من يدالعدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

• بَكْرُنْ ضُرّاً وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ •

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى المدوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الويل : للطر الغزير . وثنيننا : أى صرفنا ؛ وبخبرنا - بالنصب - لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيوف التى ثلثها وقاملك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضاً على صرفك .

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَغْلَى مِنْهُ كَفْبًا وَأَكْرَمُ^(١)
فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالِمًا بِأَشَرَ الْقَنَاءِ وَبَلَّ ثِيَابًا طَالِمًا بِلَهَاءِ الدَّمِ^(٢)
تَلَكَ وَبَعْضُ الْفَيْثِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ مِنْ الشَّامِ يَتْلُو الْحَاقِيقَ الْمُتَعَلِّمُ^(٣)
فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَلِيلُ قَبْرَهَا وَجَشَّمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَجَجَّشَ^(٤)
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاؤُهُ عَلَى الْفَارَسِ الْمُرْخَى الذُّوَابَةُ مِنْهُمْ^(٥)
حَوَالِيهِ بِحَرٍّ لِلتَّجَافِيفِ مَا نَجَّ بِسِيرِهِ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَلِيلِ أَيْهِمْ^(٦)

(١) بصوبه : أى بما ينسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى التصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما اسقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجهاً طالماً باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثياباً طالماً بلبتها دماء القتلى فلم يثنه بللها ، فكيف يهاب وقع للمطر من لا يهاب وقع الرماح ، وبغشى الماء من لم يخشى الدماء ؟
(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك الفَيْثُ وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضاً ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن للنظم لشيء يتبع من حذقه :
(٤) جشمه الشيء : كلفه إياه فتجشمه ، والذي : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشقائق قبرها كما تشقيقه .

(٥) الذُّوَابَةُ - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذُّوَابَةُ : سيف الدولة وإرخاء الذُّوَابَةُ : كناية عن كونه معيماً ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول : لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً . والطود : الجبل . والأيمم : الذى لا يهتدى فيه : يقال برأيمهم وفلاة يهيماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحراً مأجماً ، وجعل خيله التى تسير بهذه الشجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الأسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

تَسَاوَتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُنْجَمٌ
يَمْدُ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمٌ

بكثرتهم ، ومحكيه يبريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله
التجافيف مجراً يسير به من الحبل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال
فملاً فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بعضها إلى
بعض ؛ وعبارة ابن جني : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيبْ
وقال الواحدي : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفلي - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرتهم ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج في السهل والوعر ، وفي الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها في ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَغْلُظُ بِهِ الْفُضَاءَ مُعْطَلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَاراً ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتیان على وجوههم آثار الضرب والطمع
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطمع إعجاماً لذلك
السطر ، لندور جراحته فهي كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كَتَبَتْ أَوْجَهُهُمْ مَشَقّاً وَنَمْنَةً ضَرْباً وَطَعْناً يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتركة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهي الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مدالحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتاً له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليغان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْناسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمُّ^(١)
وَأَدَبُهَا طُورُ الْقِتَالِ فَطَرَفُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَنْهَمُ^(٢)
تُجَاوِبُهُ فَمَلًّا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسَمُّهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرَقُّ لِمَيَّافَرِقِينَ وَتَرْحَمُ^(٤)

تشبها بالتربكة وهي : بيضة النعامة إذا انقلقت وخرج الفرع فتركت . والأرقم : الحية الذكركر ؛ والضمير في يديه وعينه : للفق ؛ وضيف فاعل بمد ؛ وأراد بمد يديه منه ضيف فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينه : أى ويفتح عينيه منه أرقم ؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول : إن هذا اللقي في الشجاعة كالأسد ؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مددهما أسد ؛ وإذا مد عينيه من تحت الحوذة فقد مددهما أرقم .

(١) الضمير في « كأجناسها » : للخيل ؛ والشعار : العلامة في الحرب . والمسم : الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عريية وكل ما معها من الرايات وال سلاح والملابس عرى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير في « طرفه » للفارس ، وإن لم يجره له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طويل تمرسها بالقتال والتقلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته . (٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفملا ولحظا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ، وفيهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ بِرِحَالِهَا لِرَوَّاحِ أَهْلِ الْمَوَسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرْقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

(٤) التجانف : الليل ، وفي التزيل : « فن اضطر في غمصة غير متجانف لإثم » أى مائل ، وقال الأعشى :

تَجَانَفُ عَنْ جَوِ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَاسِكَا
وَمَيَّافَرِقِينَ : بلدمن أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن مَيَّافَرِقِينَ رحمة لها ، لأن فيها قبر والدته ، وخشية أن تدوسها بهوافرها لو هى سارت بجانبها .

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَاكِيبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِنَهَا الضَّعِيفُ الْمَهْدَمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجدها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علمت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علمت ضعفها ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لنعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للوضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورينا » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيىس الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضميره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيص :

لَمَّا فِي الْوَغَى زِيُ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَمِّمٌ^(١)
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا بِالثُّفُوسِ عَلَى الْفَنَاءِ وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَخْزَمَ^(٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لَحْمَهَا وَلَحْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ^(٣)

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الذكر من الخيل . والدارع : ذو الدرع . يقول :
إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل
فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه الن الحديد .
(٢) يقول : لم يتحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا بفوسهم أن تنالها أسنة
الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، ولك
فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ،
روى أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَاهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلٌ قَتِيرَهَا وَيَسْتَضِلُّ الْقَرْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا^(٤)
فقال له عند الملك : هلا مدحتي كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ خِرْسَاءُ يُفْشِي الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسٍ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعَلَّمًا أَبْطَالَهَا؟^(٥)

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالُ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَاهَا
تَبْلِجَ لَهَا جِثَّتْ وَاهْتَزَّ ضَاحِكَا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بَلَاهَا
وقوله وأذالها : أى أطلها .

(٣) ملومة : كملمة : مجتمعة ، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لينها ، ونهاها
عطاشها : أى يفشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يفشى ، وجنة - بالضم -
الدرع ، وكل ما وراك فهى جنة ؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس
نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من
قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن
الحارث الكندي .

أَتَحْسِبُ بَيْضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَهَّمُ^(١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خَلْنَا سَيُوفَنَا مِنْ التَّيِّهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ^(٢)
 وَلَمْ نَرِ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ^(٣)
 أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ تَنْبِيَةِ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرُمُ^(٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد التلميذ بالشعر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، وبالثاني ما عارضهم بمثله ، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أنتظن السيوف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنًا وأعظم أصلاً رغم جلالها ورفعها ونفاذها وهيبتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيوفنا تتكبر . وتعجب بأن صرت لها سمياً فهي تتبسم في أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَدْيِيهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر وقال : قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال تبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه التكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من العجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالاً لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها في التسمية ، فحقرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَسَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَأَحَرَّ قَلْبَاهُ يَمْنَنُ قَلْبُهُ شَيْئُومٌ وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، وتحرم من تشاء لأنك ملك في يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَعَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشيم : البارد . والشيم : البرد ؛ وقد شيم الماء - بالكسر - فهو شيم ، ومطر شيم ، وغداة ذات شيم ، وقيل لابنة الحس^(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سمة ، في غداة شيمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشيم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِعَيْنِي قُطَامِي نَمًا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَيْمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده غليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحلال لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف ، وحرك الماء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إياد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو القثي

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمِ^(١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرْتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَفْتَسِمُ^(٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ^(٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمِ^(٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَتُهُ ظَفَرُ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعَمٌ^(٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلًا يَا هَنَا وَبِحُكِّ الْأَحْقَفِ شَرًّا بَاشِرًا^(١)

ومنها من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند النقاء الساكنين .
 (١) براه : أعلاه وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمره بعد الواو ، وسكبه ضرورة ، أو طى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمعي ، وأعين طى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة فى حبه ، فليتنا نقتسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيرى ، لأنى أوفر حبا من غيرى . وقال ابن جنى : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لفيرته ، فليت أنا نقسم به كما نقسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى مخضبة بالدم . يقول : إنه خدمه فى حالى السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلقة والخلق . يقول إنه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما للرم خلقه .

(٥) يمتته : قصده . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — فوْتُ العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمته لاستحكام جرحه ، ظفر حيث فرمته ، فكانت ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف . ين لم تدركه فتقله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ بِهِمْ^(١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُؤَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ^(٢)

أَكَلَمًا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنَى هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَبْمُ^(٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا^(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَعَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ^(٥)

(١) الهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جني : الهممة في الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ بهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك في شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك ما لا تصنعه عسا كرك للشجعان ، يعنى أن مهابتك في قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئاً لم يكن يلزمها ، وذلك رغبتك في أن لا يوارى أعداءك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفي ما يكفي غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشاً فارتد هارباً منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) للمعرك : ملتحى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالحرب إشفاقاً منك وخوفاً من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللهم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالنكسب يقول ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(١)
أَمِئذَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ^(٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَتَمَمْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ^(٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامى وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحامك إلى غيرك ، وإنما أستعدى عليك حكمتك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جني : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِئُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ
وإذا كان عدلا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جني : سأله - أي اللثني - عن المءاء « في أعيدها » على أى شئ تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش في قوله تعالى « فإنها لا تعمى الأبصار » فقال : المءاء راجعة إلى الأبصار وغيره من النعويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر المءاء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أى من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى شئ ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شعما . وهذا مثل ، يقول : لا تنظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم ممنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى بمن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغى أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعشى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعري ، يعنى : أن شعرة سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعشى والأصم أدبه ، فكأن الأعشى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكان الأصم سمعه . وكان للمرئ إذا أشد هذا البيت يقول : أنا الأعشى .

أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٌ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَأَسَهُ وَقَمَّ^(٢)

(١) الشوارد : سواثر الأشعار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ : جَمْعُ كَلِمَةِ الْقِيَمِ الْفَلِظَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَهَذَا أَشَدُّ فِي الْمُبَالَغَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِالْكَلِمَاتِ الْقَصَائِدَ ، وَهِيَ يَسْمُونُ الْفَصِيدَةَ كَلِمَةً . وَمِلءُ جُفُونِي مَوْضِعُ الْمَصْدَرِ : أَيُّ أَنَامُ نَوْمًا مِلءُ جُفُونِي . وَيُقَالُ : فَعَلْتُ ذَلِكَ جِرَاكَ وَمِنْ جِرَائِكَ : أَيُّ مِنْ أَجْلِكَ . وَكَذَلِكَ مِنْ جِلَالِكَ وَمِنْ إِجْلَالِكَ ، وَمِنْ جِلَالِكَ ، كُلُّهُ مِنْ أَجْلِكَ قَالَ جَمِيل :

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كَيْدْتُ أَفْضَى الْعَدَاةِ مِنْ جَلَلِهِ
[أَيُّ مِنْ أَجْلِهِ . وَقِيلَ مِنْ جِلَالِكَ : مِنْ عَظَمَتِكَ فِي عَيْنِي . وَقَوْلُهُ رَسَمَ دَارٍ : قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : أَرَادَ رَبَّ رَسَمَ دَارٍ ، فَاضْمَرَّ « رَب » وَأَعْمَلَهَا فِيمَا بَعْدَهَا مَضْمَرَةٌ] وَأَنشَدَ الْكِسَائِيُّ عَلَى قَوْلِهِمْ : فَعَلْتَهُ مِنْ جِلَالِكَ - أَيُّ مِنْ أَجْلِكَ - قَوْلَ كَثِيرٍ :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْخَرْقُ بَيْنَنَا وَإِلَّا كَرَامِي الْقَوْمِ الْعِدَا مِنْ جِلَالِهَا
[الْخَرْقُ : الْبَعْدُ] وَوَحْدَ الضَّمِيرِ فِي « يَخْتَصِمُ » عَلَى لَفْظِ الْخَلْقِ ، لَا مَعْنَاهُ . يَقُولُ أَنَا أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِ الشَّعْرِ لَا أَحْفَلُ بِهَا لِأَنِّي أَدْرِكُهَا مَقِي شَتَّى بِسَمُولَةٍ ، أَمَّا غَيْرِي مِنَ الشَّعْرَاءِ فَإِنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِهَا وَيَتَعَبُونَ وَيَخْتَصِمُونَ . قَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَمَعْنَى الْإِخْتِصَامِ اجْتِنَابُ الشَّيْءِ مِنَ التَّوَاحِي وَالزَّوَايَا مَا خُوِذَ مِنَ الْخَصْمِ ، وَهُوَ طَرَفُ الْوَعَاءِ^(١) يَقُولُ : إِنَّهُمْ يَجْتَنِبُونَ الْأَشْعَارَ احْتِيَالًا وَيَحْتَلِبُونَهَا اسْتِكْرَاهًا .

(٢) مَدَّهُ : أَمْسَلَهُ وَطَوَّلَ لَهُ . وَأَصْلُ الْفَرَسِ : دَقُّ الْعُنُقِ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْأَسَدُ فَرَسًا .

(١) جَاءَ فِي اللَّسَانِ : الْخَصْمُ - بِالضَّمِّ - جَانِبُ الْعَدْلِ وَزَاوِيَتُهُ ، يُقَالُ لِلْمَتَاعِ إِذَا وَقَعَ فِي جَانِبِ الْوَعَاءِ مِنْ خَرَجٍ أَوْ جَوَالِقٍ أَوْ عِيَّةٍ : قَدْ وَقَعَ فِي خَصْمِ الْوَعَاءِ وَفِي زَاوِيَةِ الْوَعَاءِ ، قَالَ : وَخَصُومُ السَّعَابَةِ جَوَانِبُهَا . قَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ سَجَابًا :

إِذَا حَطَّعَتْ فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جِرَارٍ تَدَاعَى خَصُومُهَا
أَيُّ تَجَاوَبَ جَوَانِبُهَا بِالرَّعْدِ ، وَطَعَنَ الْجُنُوبَ فِيهَا سَوْقَهَا إِيَّاهُ ، وَالْجِرَارُ : الثَّقِيلُ ذُو الْمَاءِ ، وَتَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِهِ دَفَعَتْ أَوَاخِرَهُ خَصُومَهَا : أَيُّ جَوَانِبُهَا

ظَنَنْتَ نُبُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَنْظُنَّ أَنَّ اللَّيْلَ مُبْتَسِمٌ^(١)
 وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبَهَا أَذْرَكَتَهَا بِجَوَادٍ ظَهَرُهُ حَرَمٌ^(٢)
 رَجُلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ^(٣)
 وَمُرْهَفٍ سِرَتْ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتَ وَمَوْجَ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(٤)
 فَأَنْخِلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
 وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْفَرِطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقه - ضحكى منه حتى افترسته
 ربطشت به بعد زمان : يعنى أنه يغضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويعصف به .
 (١) يقول : إذا كثرت الأسد عن نابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس . يريد
 أنه وإن أبدى بشره وتبسّمه للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفى مثل هذا يقول :
 أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيزَتِهِ نَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والمهجة صفة لمهجة
 والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يعمل انتهاكه يقول
 رب مهجة صفة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
 من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
 رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
 والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يغنيك عن تحريك اليد
 بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأفلح : وفعله فى السرعة ما تريد اقدم
 التى بها يستعجل وفى المؤاتاة وللواقفة ما تريد الكف التى بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
 جنى : بين الموحيتين : أراد موحى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
 ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أواجه
 واضطرب .

(٥) البداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ^(١)

الضرب والطمع وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سراى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفنى لتقدمى فى فروسينها ، والبيداء تعرفنى لمداومتى قطعها واستسهالى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لمخش العقيلي يصف رسوم الدار وآثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَأَنَّ بِمَحِثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحْطَ زَبُورٍ مِنْ دَوَائِرِ وَقِرْطَاسٍ

(١) الفلوات : القنار ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقَوْرِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ

مَكْتَتِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمْطُورٍ أَزْمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ الْمَسْرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقبزان . قال ذو الرمة :

إِلَى ظُنُنٍ يَقْرَضُنْ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ شَمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومروح أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدا وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والقوارس : موضعان يقول : نظرت إلى ظنن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَمُنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ مُنْفَارِقَهُمْ

وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(١)
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسَ^(٢)
إِنْ كَانَ سَرٌّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجُزِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ^(٣)
وَيَبْنِنَا لَوْ رَغَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الثُّغَى ذِمَّةٌ^(٤)
كُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمَ^(٥)

(١) يقول : يامن يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعنى لا يعنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٢) ما أخلقه بكذا واقته وأجدره وأحراره وأولاده : بمعنى ، وأمم قريب يقول : يقول : ما كان أحرانا بركم وتكرمتكم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم ! يعنى لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .

(٣) يقول : إن سررتكم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا فى سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَائِكَ فِيهِ سُرُورًا

وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا

لَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكِ مَهْلًا يَسِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رغيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رغيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم : العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .

(٥) يقول : كم تحاولون أن تجهدوا لى عيبا تعيبونا وتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تصفونى منكم وتكافئونى بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبَدَّ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَّ وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(١)
 لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَائِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْوَدِيمُ^(٢)
 أَرَى النَّوَى تَقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَادَةُ الرَّسْمُ^(٣)

(١) وذان : أى العيب والنقصان . يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحقى العيب والنقصان .
 (٢) الغمام : السحاب . والصوائق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصوائق مهلكة وهى التى تسكره وتخنى من الغمام ، والديم نافعة وهى المرجوة . من الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام الذى تعينى صواعقه - يعنى أذاه وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره^١ كما قصرت عنا لهاه^٢ ونأله^٣
 ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَائِقُ مِنْكَ
 وَهِنْدُ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَفْدُ^(٢)
 وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سُقْيَا سَمَائِكُمْ فَحَظِي وَمِيزُ الْبَرْقِ أَوْ زَجَلُ الرَّعْدِ
 وأخذه السرى الرءاء فقال :

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ مَخِيلَةٌ بَرْقِهِ حَظِّي وَحَظُ سِوَايَ مِنْ أَنْوَاهِ
 (٣) النوى : البعد . وتقتضى : أى تطالبى ، وقد ضمنه معنى تكلفى أو تجشنى ، ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيورها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفنى أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمى : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
 (٢) الحيا المطر ، ونرى جمع ؛ وتراب جمع ؛ لين ندى .

لَيْفَن تَرَكَنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَّامِينَا لِيَحْدُثَنَّ لِيْنُ وَدَفْنُهُمْ نَدَمٌ^(١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالْرَّاحِلُونَ هُمُ^(٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمْ^(٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبرة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تحشم كل مرحلة وافية لا تسبق بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في « ليحدثن » لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتماعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير « تركن » للوخادة والرسم . وضمير : جبل عن عيني الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقى وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمنى إليه وقال الإمام التبريزي إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفرق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، وبمعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كما دته - : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وَمَا الْقَمَرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِتُوهَا هِيَ الْقَفَرُ^(١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف . الحالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبَزَاةِ سَوَالًا فِيهِ وَالرَّخْمُ ^(١)
بَأْيٌ لَفْظٌ تَقُولُ الشُّعْرَ زَغِنَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجَمٌ ^(٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مَقْصَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ ^(٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرحمة طائر أبقع على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالقدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعها والرخم مع وضعها ودنايتها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدته ما شاركتني فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزغنة - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس ، وهو مأخوذ من زغنة الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجاوز من جواز درهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تستبيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نونا ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجم : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الخساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) المقة : المحبة . يقول : هذا الذى أتناك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة .

وقال وقد عوفي سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَفْدَانِكَ الْأَلَمُ^(١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْفَارَاتُ وَأُبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ^(٢)
وَرَجَعَ الشَّمْسُ نُورُ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ^(٣)
وَلَا حَ بَرَفُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْبَتَسِمُ^(٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين الهجين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجعك عبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزوم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الفارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الفارات عليها ، فكان الفارات كانت عليقة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التي قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا القم ، وقيل جانباً للحية ، وعارضاً الوجه وعروضاً جانباً . يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق وتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل القم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثفره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك السكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسْتَمِى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ^(١)
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمَخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ^(٢)
وَأَخَاصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَمُ^(٣)
وَمَا أَخْصَصَكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا^(٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسي ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشته : يتشابه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السياف ، وإن تساويا اسما ، لأن السياف يخدمه فهو مخدوم والسياف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحدث : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاخصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحترى :

غَدَا قِسْمَةٌ عَدَلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرِّوِ نَبْهَانِ بْنِ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهْمَ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرُهُم

وقال سلوا على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ تَمَمْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلَنَّاكَ بَذَرَةً فِي الْمَنَامِ^(١)
وَانْقَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدَرُ الْكَلَامِ^(٢)
كُنْتُ فِيهَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمَ الْأَقْلَامِ^(٣)
أَيُّهَا الْمُسْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامُ لَا رَقْدَةً مَعَ الْإِعْدَامِ^(٤)
إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَأَنْزِلِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنَامِ^(٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ هُ بَدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَامِي^(٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن النجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمُ النَّوْمِ مِثْلَ شِعْرِ الْمَنَامِ فَاقَ حُسْنًا كُلُّهُ فِي نِظَامِ
لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظْهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
وَلِيَ الرِّسْمِ مِنْ تَطَوُّلِ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالُ وَالْإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقَّعْ فَإِنِّي مُوْتَقٍ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلُومًا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببذرة السخلة - جلدها -
(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
لسيف الدولة غرضاً يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئاً لأنك قلت في
النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتة حتى جاء الخط رديئاً أيضاً ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المستكي الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا مخاطبه كما مخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يخفى عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
للجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة مقدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكَرَامُ^(١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(٢)
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ^(٣)

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى المستق بالآمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم : الجد - عزم على الأمر عزمًا : أى أراد فعله - وقال الليث العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرومة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرّمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إِنَّ الْفُتُوْحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامُ الْقَادِرِينَ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته فضلا عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التى ذكرنا من نفاذ أمره وجلالة قدره .

يَكْلَفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَهُـ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخِضَارِمُ ^(١)

ويطلبُ عندَ النَّاسِ ما عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغِمُ ^(٢)

يُقَدِّى أُنْتُمْ الطَّيْرَ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الْأَمَلَا أَحْدَاتُهَا وَالْقَشَاعِمُ ^(٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِبَغِيرِ تَحَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أُنْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ ^(٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداما . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أنم الطير ، أو عطف بيان ، وأحداثها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . ويروى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرِغْ بِيُوتَا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُ قَشْعَمِ ^(١)

وأراد بأنم الطير : عمر الفسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن الفسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فدينك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الاقوات ، لكثرة القتلى في وقائعه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراع - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفرغ بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرحل المنزل لأن للسافر يلتقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل النية لحلولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدَثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَى السَّاقِيَيْنِ اَلْفَئَامُ ^(١)
 سَقَّتْهَا اَلْفَئَامُ اَلْفَرُّ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا اَلْجَمَاجِمُ ^(٢)
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَفَرَّعُ اَلْقَنَا رَمَوْجُ اَلْمَنَابِيا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ ^(٣)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُنْثِ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ ^(٤)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار يظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلمًا . وعبارة العكبرى - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَآكَ يَوْمٌ لِلْعَفَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبَصَبُ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرَّمَّاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الفَرْبُ ما تَتَرَبُّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احررت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأناهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تطلخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أى الساقيين لها هو الفئام : أجماع الروم التي سقتها بالدم ، أم السحاب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماع أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحاب من الماء ، فهي لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفئام لأنهما استويا في السقيا . وقد بين هذا المعنى في البيت التالى . وقوله أى الساقيين الفئام : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفئام : جمع غمامة ؛ والفر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والمنابا تسلب الأرواح ، واستعار للمنابا موجاً متلاطماً لكثرتها : أى لكثرة القتل ، فكان المنابا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كاث ، وهو خلف من موصوف : أى شئ مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيءِ وَالْأَهْرِ رَاغِمٌ^(١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتُهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ^(٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمام : جمع تيممة ، وهى العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمام عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإنى أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، قبلت وقلت كما قال لى .
قال ابن وكيع : وقد لا ذابو الطيب بقول أبى تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جُؤُنَهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنَعْمَةِ طَالِبٍ

(١) الطريدة : للطرودة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطيئ : الرماح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أى التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والنصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » وللمفعول الأول
عذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوْرِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٌ

وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَدَمَّى الْحَقُّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للنسب ، قال ابن القطيع : قال
لى شيخى محمد بن البراء النيمى : قال لى صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَمُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(١)

فقال : صحفت يا أبا علي ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته - بالتاء - لأنني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت ، وذلك أن تفتيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالي » فاعله ونصبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالي » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا . وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالي » الفاعلة لجعلتها تفتيت كل شيء ولا تغرمه ، ثم نقضته بقولي : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفتيت ياسيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالمضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يحزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازم : « لم ؛ و « لا ، ولام الأمر » أي إذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهيم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ما وعد به : أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب ، وعبرة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمرا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، وخس أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها تغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو « لم » و « لا » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقبها للشرط ، فكانه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم فتتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترقب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وعبرة العكبري : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا - ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى التأخر الذي لم يقع - صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فتشبهت فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبي تمام :

خرقاه يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَبَابُهَا كَتَلْعَابِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(١)

(١) من قطعة في وصف الحجر .

وَكَيْفَ تَرْجَى الرُّومُ وَالرُّومُ هَـذِمَهَا
وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسُ لَهَا وَدَعَائِمُ^(١)
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَآيَا حَـوَاكِمُ^(٢)
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ^(٣)
أَنْتَوَكْ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهِنَّ قَوَائِمُ^(٤)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٥)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الإساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطنك الذي أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا في الحرب حاكمة بينهما حكمت للظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم - وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والحياد : الخيل . يقول . أتوا مدججين في السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وطى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعافيف التي على الخيول .

(٤) البرق : اللعنان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبرة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وراء وسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة ، لأنها تلبس في أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفُ

وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ ^(١)

تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَقْنَهُمُ الْخُدَّاتُ إِلَّا التَّرَاجِمُ ^(٢)

الديوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العائم والعائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ اليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله التي مع ثاقل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة للتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرت طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنُ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحدّات : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْخُدَّاتِ لَيْلَى فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعَجَمْتُ عِنْدَ خِلَائِي

ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعُدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي ^(١)

وقول سويد بن أبي كاهل :

يُسْمِعُ الْخُدَّاتُ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش بكل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجي في أماليه : أخليت : وجدت خالية - مثل أجبتة - أى وجدته جيانا ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليت . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور حكاهما منسوباً إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفرو الحكم : عند خلاصنا وبلايا .

فَلَّاهِ وَقْتُ ذَوْبِ النَّشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المعاتلة

(١) عني بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديماً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرّون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعني أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا التخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذي بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرهما وقال له كان ينبغي أن تقول .

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقِفٍ ووجهك وضاح وثغرك باسِمٍ
تمرُّ بك الأبطالُ كلُّى هزيمَةً كأنك في جفنِ الرَّدَى وهُوَ نائمٌ
ثم قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً للذةٍ ولم أتبطنَ كاعباً ذاتَ خلخالٍ
ولم أشبأ الرِّقَّ الرِّوى ولم أقلْ ليلَى كرمى كرمه بعد إحفالٍ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَهُكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِاسْمِ^(١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الخيل مع الأمر للخيل بالسكر ، ويكون سباء الخمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أبعثته بذكر الردي ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يغلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطابق بين الصدر والعجز أحسن من يقيق للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردي وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في الموت شك لواقف * فلما عدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحقق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعمل بمعنى مفعول ، والتاء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارة المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزمك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متعجب ، وانقأ من الله نصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْتَمَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً^(٢) تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٣)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ^(٤) وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٥)

(١) التمسى : جمع نية ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتمة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكتفى فى مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت فى تلك الحال وضاحا بسبما لا تكثر لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى فى تعليقاته على هذا البيت : فى آخره بعض التناثر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطنة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان فى ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) بريد بالجناحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبى العسكر . ولما سماهما جناحين ؛ جعل رجالهما خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله فى طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلك الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهومات : الروس ؛ واللبات : النحور . بريد رعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك فى رأسه لم تمتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فينمذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وبعبارة ابن فورجة : - وهى فى عراض ما قلناه - إنما عذ

حَفَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرُّمَحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نَثَرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقارنة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترت ؛ ولما آثرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبرة العكبري - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردتها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقللت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخفاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : الرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحيدب : جبل الحدث . ونثرهم : فرقهم . يقول : نثر جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدراهم إذا نثر ، قال العكبري : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلاً وأسراً ، وبتر جيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعلى الجبال . يقول : إنك تنبهم بخيلك في ردوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبرة بعض الشراح : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في ردوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتلى حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أُنْكَ زُرْتَهَا بِأَمَانَتِهَا وَفِي الْعِتَاقِ الصَّلَادِمُ ^(١)
 إِذَا زِلْتِ مَشْيَتَهَا يَبْطُونَهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ ^(٢)
 أَيْ كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمِستَقِ مُقَدِّمُ قَفَاهُ عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ ^(٣)
 أَيْنَكِرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ ^(٤)

بكثرة من قتله هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلماذك ، وأشار بذلك - أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاع مواضعها وامتناع أماكنها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوه في رءوس الجبال ، وأدركوه في أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخ ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والألمات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلد ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدُونَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعُقْبَانِ
 وقال ابن الأثير : تظن فراخ العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانتها فأمدها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلام خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزلق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يجره ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أى جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ^(١)
مَضَى شَكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْنِهِ الظُّبَيِّ

بِمَا شَفَعَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ^(٢)
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ^(٣) حَتَّى أَنْ أَصْوَاتِ السَّيُوفِ أَعَاجِمُ^(٤)
يُسْرًا بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ^(٥)

شجاعته ، فبأنه مقاتلاً ثم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح . وإنما أسكن اليم من حملات ضرورة . والصهر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بجوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي الصهر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزته من هؤلاء فلا يجترأ على العود إلى الإقدام ؛ وعبارة العكبري : يريد أن حملات سيف الدولة نجحت الدمستق بآبائه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للآقران ، الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهوام : الرؤوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكأنهم وقوه السيوف برؤوسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) للشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف الشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالي ولا جعافري ولا عباقرى . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم تقتلهم ، فجذ في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجباء : أي ليست ذات لفظ يفهم والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذته من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكُ هَازِمٌ^(١)
تَشْرَفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
حَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعِهِ الْغَمَاجِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجح هو واشتغل عسكرك بها عنه ، وليس سروره جهلاً بحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجح برأسه غانم وإن كان مغنوماً ؛ أى لا يبالى بغيره إذا نجح هو ، لأن المصائب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبري ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمات .

(١) التوحيد : خبر أول لـ « كُن » ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكاً هزم ملكاً مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلاً كما زعيم ملته .

(٢) الضمير في « به » : للملك : قال العكبري : ولو كان بدل الماء « كاف » لكان أجود حتى يكون مخاطباً . وعدنان : أبو العرب : وريبة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعاني لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعاني بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمتها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونِكَ مِنْ أَقَاوِيلِ مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَّ النِّظَامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : إنى أمتطى فى الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموماً فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادماً على ما أعطيتنى ، لقياى بحق ما أوليتنى .

(٥) « على » صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة « نادماً » : أى لست نادماً على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُنْعَمًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ^(١)
هَنِيئًا لِفَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْتَ سَالِمٌ^(٢)
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيقَهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ^(٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والفاعل : الأصوات المختلطة هي أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :

وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقَ كساعٍ وأخضرَ صَارِمٍ
وطيارةٍ بالرجل خوفًا كأنما تصافحُ رَضْرَاضَ الحمى بالجامِ
(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يعصم - لا يعصى ولا يمنع - منك - شيء لا حصن ولا حديد ، ويرى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرؤوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئًا ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئًا : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئًا بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلاستك لأنك قوامها ، ففرب الهام أنت أحقق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الليم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ما وقي » ظرفية زمانية ، وتفليقه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيالاته للأشياء - أي أبداً - وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المهدنة ، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أُرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيَا كَفَاهَا لِمَامُ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ^(٣)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ^(٤)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ! والهام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فزعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسى من تَجْنِبُهُ عَزِيزٌ عَلَى وَمَنْ زيارته لِمَام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه لا يكتفى حتى يبلغ أقصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ، والخطو : نقل القدم والزام : ماتقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِيْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ ^(١)
 حِذَارًا لِمُرُورِي الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قُبْلًا مَا لَهْنٌ لِحِلَامٍ ^(٢)
 تَعَطُّفٌ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامٌ ^(٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ ^(٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوَالَهُ كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبَتْ مَلَامٌ ^(٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالي . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبري : « ليس » هنا تختمل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيدييه ، والثاني أن يكون في « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .
 (٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعروري الفرس : ركه عريانا : وقوله إلى الطمن : متعلق بمعروري . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أي قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوها .

(٣) الضمير من « فيه » في للصراعين : للطمن المذكور في البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها انقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذا زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبري أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فصارح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بعلام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدِّمَامَ طَوَاعَةً
وَإِنْ نَفُوسًا أَمَّنَّاكَ مَنِيعةً
إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِكٍ أَجْرَتُهُ
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الْخُفَافِ تَفَرُّقٌ
تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا
وَشَرُّ الْحَمَامِينَ الزُّوَامِينَ عَيْشَةً
فَمَوْذُ الْأَعَادِي . بِالْكَرِيمِ دِمَامٌ ^(١)
وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتِكَ حَرَامٌ ^(٢)
وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارَ نُسَامٌ ^(٣)
وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ ^(٤)
فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ ^(٥)
يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ ^(٦)

اللائمين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأثم فى سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الدمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طائماً . وعاذ به عوداً لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعة فليأذهم بك يوجب لهم الدمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الدمة ، وإن كان عدوا : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت فى حرمتك وراجيك لا يضيع .
(٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيوف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيوفهم ، بل يتفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلفنون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب وازدحامهم عليه فى السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : اللوت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذليلاً أو تختار الحرب خوف لقتل ، فذلك العيش هو اللوت فى الحقيقة ، بل هو شر من اللوت ، كما ذكرنا فى البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صَلَاحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَكُمْ وَغَرَامٌ^(١)
وَمَنْ لِفِرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ بِرَامٌ^(٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّغُوا^(٣)
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خُيُومُهُمْ وَعَزُّوا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا^(٤)
حَلَّى وَجْهِكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالِي مِنْهُمْ وَسَلَامٌ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا يستطيع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) الن - هنا - : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرّون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا - عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) الليمون : ذو اليمين والبركة . والنبارة : الحرب . وتوالي : تتناح والمراد بالصلاة والسلام : التعظيم . يقول : كلما سرت في غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي بعده - يؤكد البيت السابق .

وَكُلُّهُ أَتَانِسُ يَتَّبَعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامٌ^(١)
 وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثَتْهُ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قِتَامٌ^(٢)
 تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فُضِّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(٣)
 حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤)

(١) يقول : إن الكوام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الفبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أقمته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعنى الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرماني - وكلما استدلت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قاله حسان برئى عثمان :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
 وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادِ الرُّوَاسِيُّ :
 لِمَنْ طَلَّلَ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بَيْطُنُ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنُ الذَّهَابِ^(١)
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمَلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِمَالِكَا
 قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُنْوَانُ - لُغَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٍ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
 (٣) الْبَيْدَاءُ الْأَرْضُ الْفَقْرَةُ الْبَعِيدَةُ . وَالنَّشْرُ : خِلَافُ الطِّيِّ . وَخِتَامُ الْكِتَابِ : الْطَائِفُ
 الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ . وَفَضُّهُ : كَسَرُهُ . يَقُولُ : تَضِيقُ الْبَيْدَاءُ هَذَا الْجَوَابَ وَلَمْ يَنْشُرْ وَلَمْ يَفْضِ
 عَنْهُ الْخِتَامَ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ تَضِيقُ بِهِ الْأَرْضُ الْوَادِعَةَ قَبْلَ انْتِشَارِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
 انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ لِلْحَرْبِ وَالْفَارَةِ ؟ وَقَدْ اسْتَعَارَ الْفَضُّ وَالْخِتَامُ وَهِيَ لِلْكِتَابِ وَالْجَوَابِ لِمَا جَمَلَ
 الْجَيْشُ كِتَابًا وَجَوَابًا ، وَهُوَ نَخِيلٌ بِدِيْعٍ رَائِعٍ :

(٤) الْجَوَادُ : الْفَرَسُ الْكَرِيمُ . وَالرَّمَحُ الذَّابِلُ : اللَّيْنُ الْحَسَامُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ
 لِمَا جَمَلَ الْجَيْشُ جَوَابًا جَمَلَ حُرُوفُ هِجَائِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ؛ أَيْ أَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
 كَمَا يُؤَلَّفُ الْجَوَابُ مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ .

(١) هذا هو النص المصرح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ،
 والذهاب : موضع .

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَيْتَهَا قَالَهُ سَاعَةً لِيُعْمَدَ نَصْلُ أَوْ يُحْلَ حِزَامٌ^(١)
وَأِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَيْدَةٍ ، فَإِنَّ الَّذِي يَغْمُرُنَ عِنْدَكَ هَامٌ^(٢)
وَمَا زِلْتَ تَفْنِي الشُّمْرَ وَنَحْيَ كَثِيرَةً ، وَتَفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُهَامٌ^(٣)
مَتَى هَاوِدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلشُّيُوفِ وَهَامٌ^(٤)
وَرَبُّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَعَبْتَ بِنْتُ وَشَبَّ غُلَامٌ^(٥)

(١) إذا الحرب : أى بإسحاب الحرب ؛ و يروى : أذا الحرب : يقال هو أخوكذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتيت الحرب ، أى أتيت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فأتىها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه اللدة ، وعبرة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزها ، لأن الانكسار يسرع إليها بدوامتك الطعن وأمد مهادتتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيبتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهام : الرأس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ،

(٥) الكاعب : الذى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لئلا يسيهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسي قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسيهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العاقبة إصابتك إيها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَضَى — وَى جَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لَشَمْسٍ مُذْ أَنْزَتْ إِنْارَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَّتْ تَمَامُ^(٢)

وَال يَمْدَحْهُ وَيُودَعْهُ ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَى اقْطَاعِ قَطْعِهِ إِيَّاهُ بِنَاحِيَةِ مَعْرَةِ النِّعْمَانِ :

أَيَا رَامِيًا يُصْنِي فُؤَادَ مَرَامِهِ تَرُبِّي عِدَاهُ رِبْشَهَا لِسِبَاهِهِ^(٣)

أَسِيرُ إِلَى اقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ^(٤)

(١) يقول : جارك الملوكة فيما نهجته من للكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من الملوكة — إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل : يعنى أن الملوكة صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبرة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة للقتل فى الرمي — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب ممتله . والرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامي يصيب فؤاد حرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنقاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام التى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً ؛ والاقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرُنْذِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَا وَرُومِ الْعَبْدَى هَاطِلَاتُ غَمَامِهِ ^(١)
 فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ ^(٢)
 وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءَ لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ ^(٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحتني وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى
 وقد فصله النابعة أيضا فقال :
 وَإِنْ تَلَادَى إِنْ نَظَرْتُ وَشِغْتِي ، ومُهرى وما ضمتُ إلى الأنايل
 حَبَاؤُكَ وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنهَا هِجَانُ الْمَا تَرَدَى عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ ^(١)
 وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبه العبيد بسلحها .
 (٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهري : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سُمى إقليما : لأنه مقلوم من الأقليم الذى يتاخذه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيد من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :

طِوَالِ قَنَا تَطَاعِنَهَا قَصَبَارُ وقطرك فى نَدَى ووغَى بحار
 وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعنى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والجباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ ^(١)
وَلَا زَالَ تَجْتَازُ الْبَدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ ^(٢)

(١) أراد بالشمس التي في لثامه: وجهه . يقول : لا زال باقيا بقاء الشمس ، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في اللدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جني : أضاف السماء إليه لإخفائها عليه ، كما قال الآخر :

إِذَا كَوَّكِبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَتِهِ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقِرَائِبِ ^(١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدركل شهر . وتعجب : أى تعجب . يقول : لا زال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وَقَالَتْ : سَمَاءُ الْبَيْتِ فَوْقَكَ مُنْهَجٌ وَلَمَّا تُبَسِّرُ أَحْبُلًا لِلرَّكَائِبِ

والخرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخرزها لى ، فقالت : إني خرقاء : أى لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملازمة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستعد للشتاء استغرقت قرائها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجيء البرد ، فبسبب هذه الملازمة سمى سهيل كوكب الخرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنهج الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجبل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أى وقالت لزوجها : سماء البيت فوق خلقى ولما تبسّر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأنشد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتُكَ تُوَسِّعُ الشُّعْرَاءَ نَيْلًا حَـدِيدِيَهُمْ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا^(٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كَلَيْفَى لِهَمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكَوَاكِبِ
يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة غفر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تثلث لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إليك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيمًا وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرَفًا عَظِيمًا ^(١)
تَمِمْتُكَ مُنْشِدًا بِنْتِي زِيَادٍ نَشِيدًا مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمًا ^(٢)
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبِطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرَّمِيمًا ^(٣)

وقال بمدحه، ويذكر إيقاعه بعمر بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة
ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَائِجِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي ^(٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هى لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائي :
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْلُوكَ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا
يقول : تعطى الباقيين منهم - أى الأحياء - عطاء جزيلًا ، والباقيين شرفًا عظيمًا
بأن تنشدهم أعمارهم وتتمثل بها استحسانًا لها فيكون ذلك شرفًا عظيمًا لهم .
(٢) زياد : اسم النابتة الدياني ؛ والنابتة : لقب غلب عليه . ونشيدٌ مفعول مطلق ،
وضعه موضع الإنشاد .

(٣) القبضة : أن تتمنى مثل حال للعبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ،
ورم العظم برمزمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرميما : وصف الأعظم - وهى
جمع - بالمفرد ، لأن فاعلًا وفعولًا يستوى فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى
« من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل
لأن تنشده شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما
يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى
مجلسه قول المتنبي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفَ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخِلَاقِ
وجعل رده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر
الأندلسي ، فأنشد ارتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابن الحسينِ فإِنَّمَا بِقَدْرِ الْعَطَايَا وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُمَّا
تنبأ فى نَظْمِ الْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَزَوَى شِمْرَةَ لَتَأَلَّمَا

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره
وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهو والتصايب : ومرابع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَانَرَاتِ الْهُمُومُ عَلَى فِي عَرَاصَتِهَا كَتَكَانَرُ الْاَوَامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بِعَيْنِي عُروَةَ بَنِ حِزَامِ (٢)
وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَأَفْنَيْتُ بِالْفِتَابِ كَلَامِي (٣)
فَدُ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحَاجَةٍ وَتَجْرُ ذَيْلِي شِرْقٍ وَغُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي ؛ و يروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتب : جمع مرتع ، للموضع ترتع فيه الدواب ؛ أى ترى كيف شاءت . و يروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربعون - يقيمون - فيه ، يريد ديار الأجرة والآرام : الظباء البيض . وأراد بهن النساء جمع رُحْم - على القلب المكاني - والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبي ومراتب النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هى والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكأنه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم : ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعراصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكانرت هموى شوقا إلى من كان بها كتناثر لوامى فى جبين .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام : هو صاحب عفرأ ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب فى تلك الدمن بيباء عروة بن حزام على فراق صاحبه . يريد كثرة ما تجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ غَيَّبَتْ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِ (١)

ومثله لمحمد بن أبى زرة :

كَأَنَّ صَبَّيْنِ بَاتَا طُؤُلَ لَيْلِيهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُذْرَانِهَا الْقَلَا

(٣) الكعاب : الجارية مدايديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هى - الكعاب : أى محبوبته - عتاني حق ألحمتنى عن الكلام ، فانا أذكر من كانه بهذه الدمن وارنحل عنها فيزيد وجدى وشوقى .

(٤) الحجاة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالي بما يتكلم به ، والشرية الحدة

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالفر ؛ وترقا : هو ترقا ، خفف ، ورقأت الدمنة . جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقَبَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَلَا نَمَّا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ ^(١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى خِلْفًا فِيهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي ^(٢)
 مُتَلَاخِظِينَ نَسَحُ مَاءَ شَوْوَيْنَا حَذَرَ أَمِنْ الرُّقْبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ ^(٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا
 سميت وحملت الشحوم :

كأنها من بُدْنٍ وإيفــــاز دَبَّتْ عليها عارماتُ الأنبار ^(١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد
 الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح في شرتك وعرامك
 غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب -
 على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب -
 بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون
 المعنى : ليس الذي تعابنه القباب . يقول : ليس هذا الذي تراه هودج الأحبة على
 الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير في خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ،
 لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الحف ، الملبوس ، فوضع أحدهما
 موضع الآخر تجوزا . يقول - متمنيا - : ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف
 الإبل التي تحملوا عليها حصى حق تطأني بأخفافها .

(٣) متلاخطين ^(٢) . حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛
 ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفي الأكمام : متعلق
 بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدها .
 والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى :
 وإيفار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما
 لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاخطين : رواء الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبري على
 صيغة الجمع .

أَرْوَاحُنَا أَنهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَدَدٍ مَا فَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ ^(١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ ^(٢)
 لَمْ يَنْزُ كُوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبَلَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ ^(٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَخْرَارِ صَيْرَ ظَنَرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجٍ حَرَامٍ ^(٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكاء . خوفا من الرقباء . والأكام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الأكام » والأكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والأكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريناها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفاذها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تذوب فتفطر
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في المهد صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبى بكر تَسَامَى على كان المسومة العِراب ^(١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراجلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغبلية : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوا وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظلم في عدوها وسرعتها في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أنجذب ركوبها إلا إليك كما أنجذب قُرْجاً حراما على إتيانه - يعنى الزنا - وهذا من قول أبى نواس :

(١) المسومة : العملة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَلِدْتَ مَكَارِمَهُمْ لِغَيْرِ تَعَامٍ^(١)
 أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ
 عَلِمًا عَلَى الْأَفْضَالِ وَالْإِنْسَامِ^(٢)
 صَفَرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَاةٍ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(٣)

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامُ
 وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ فَقَالَ :
 يَا نَاقُ وَيَحْيَا عَجَلِي تَصِلِي هَذَا الْمَنَى فَلْيَهْنِكِ الطَّلَبُ
 فَإِذَا وَصَلَتْ بِنَا قِيَابَ قُبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بَعْدَهَا قَتَبُ
 وَهُوَ مَعْنَى قَدِيمٍ مُتَدَاوِلٍ .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والتاء فيه : للاسمية - كما في عجيبة ونحوها -
 وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
 وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
 الولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
 ناقصو للكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) النوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء : يقول : لم تزل يعرف
 بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعما مفضلا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
 الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويمتدئ إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
 منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
 الحسنة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
 الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
 تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
 — بحذف إحدى التائين — أى تنسأى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراً هذا
 تختال على تلك الخيول .

وَرَفَلْتُ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَآيَةُ الْإِغْدَامِ^(١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى مَا يَصْنَعُ الصَّنْصَامُ بِالصَّنْصَامِ^(٢)
 إِنْ كَانَ مِنْكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِنْسِلَامِ^(٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرَنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ^(٤)

واللام من «لكائه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكائه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، لحذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر انقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل رفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حمق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبختر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لعدم انثناء ؛ وبعبارة بعض الشراح : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجهوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو الثرى لأن ثناءهم باق والمسال يغدو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، لحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوعى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكوث ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَخْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَنَهُمُ بِلَا أَحْلَامٍ^(١)
وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكْشَفَتْ عِزْمَانُهُ عَنْ أَوْحَدِيَّ التَّقْضِي وَالْإِبْرَامِ^(٢)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ تَنْبِيهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ^(٣)
مَهْلًا إِلَّا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْنَامِ^(٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقى في بقى ، كذلك قال زهى في زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم يسم فاعله وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر وتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أزهاه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم يسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهجو العتي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحب مؤلف بالخلاف كثير الخطأ قليل الصواب
ألج بجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب
قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب نفسه ، قلت : أقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .
(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت . ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وفيه كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله في عمرو وحاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فزخم المضاف

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترقيم حذف يلحق أواخر الأسماء فى النداء تخفيفا ، والكوفيون يميزونه فى غير النداء وينشدون :

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعَدْ فَكُلُّ ابْنِ حُرَّةٍ سَيَدُّعُوهُ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو ؛ وقال المصبرى : ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترقيم للضاف ، وأوقعوا الترقيم فى آخر الاسم للضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالغَيْبِ تَذْكَرُ^(٢)

وقد جاء الترقيم فى قول جرير :

أَلَا أَضَحَّتْ حَبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم : هروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهى . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من آيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترقيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع أصرة ، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكوين الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبي ، وهى مؤنثة فى اللغتين .

(٣) قال الأعمى : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة - بالضم - وهى القطعة البالية من الجبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا نَحَكَمَتِ الْأُسْنَةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
فَقَرَّ كَتَمَهُمْ خَلَالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ يَبْيُضُ فِي سَمَاءٍ قَتَامٍ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، على من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم ، وغتمى : لا يفسح شيئاً والفتمة عجمة في النطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمُّ نَجْمٍ غَيْرِ مُسْتَقِلٍّ (١)
* فَا تَكَادِ يَبِيهَا تُولَى *

أى غير مرتفع لثبات الحر المنسوب اليه ، وإليها يشتد الحر عند طلوع الشمرى التى في الجوزاء . قال الواحدي : جعل هؤلاء أغناماً لأنهم كانوا جاهلين حين عَصَوْهُ فَعَلُ مَا فَعَلَ .

(١) قال العلامة العكبرى : يروى اللية بدل الأُسنة ، وليس بشيء ، والأصح الأُسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في اللبتدأ والخبر . ومن روى اللية أراد بها الناي ، وليس هو بشيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيثين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساماً بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع ييضة ، وهى الخوذة . والقَتَام : الغبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف المعركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دماً وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوماً لامعة في سماء من الغبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلاً الهواء خوذاً تلعب كالنجوم في سماء من الغبار .

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفلقنا : أى صرنا - فى فل من الأرض - ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ^(١)
عَهْدِي بِمَرْكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ^(٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَّاكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ^(٣)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِّعٍ
وَسَقَى قَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامٍ^(٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الأيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال صدت مسدخبر عهدي . وروى وخيله - بالجذر - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : القبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، نخيله مقدمة أبدأ تأخر عن التأخر : أى تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالك . أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كلاً احتراساً لمكان ذكر أبويه وهما قدامتا : أى وأنت حتى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَفِيفِكَ الْقَمَقَامِ (١)
 فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أَرْعَنٍ كَالْفِطْمِ كُهَاِمِ (٢)
 قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ أَلْنَايَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
 تَأَلَّهَ مَا عَلِمَ أَمْرُوهُ لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاةُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه
 يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛
 فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
 عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع
 للماء ، من قولهم ققم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه
 ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن :
 الجيش المضطرب لكثرة والغطم : البحر الكثير الماء ، والهام : الجيش الكثير
 يلتهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من
 أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم
 للنايا وخبرتكم فرأيتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للنايا
 إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول
 أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وعلى : متعلقة بيمين . يقول : من حلف على أن عاقبة
 الحرب له — أى أنه ظافر لاحتالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم
 لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تكذيب البطريق
 الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه
 (٩ — الخنى ،)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعٌ^(١)
 آتَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشَقِيقٍ فَأَخْبَنَهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ^(٢)
 وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلْفٍ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرْمُ^(٣)
 كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمْسُهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامُ^(٤)
 لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ تَحْمِلْتُهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَيْمُ^(٥)
 ابْنُ الْبَطَارِيقِ وَالْخَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا يَمْفَرِقُ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا^(٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك رد عليه وبهجوه . وكأنه يقول : لو كنت بمن إذا قال وفي لم تحتج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آتَى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأخْبَنَهُ : الجأء إلى الخنث ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتى - يعنى سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعدده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأخْبَنَهُ رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أى أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أى المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التاءين - : أى تتحملة ، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله .

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلِي صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةً أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ ^(١)
 نَوَاطِقُ تُخْدِرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا ^(٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلُ مُخْفَاةٌ مُقَوَّدَةٌ - مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرَمٌ ^(٣)
 كَتَلٌ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنُهَا - بَأَنَّ دَارَكَ قِنَسَرِينَ وَالْأَجَمَ ^(٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشبثون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعني أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أي باشره . والصوارم : السيوف القواطع . والقمم جمع قمة ، وهي الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أي السيوف - كاللسنة تعبر عن تكذبيهم ؛ ولما جعلها السنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها - السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصراع الثاني من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى للرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذي يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللقى ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي ردها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أي من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من ألزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسرون بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لذكرشة الضبي يرثي بنه :

وظنهم أنك المصباح في حلب
والشمس يغنون إلا أنهم جهلوا
فلم يتم سروج فتوح ناظرها
والنقع يأخذ حرا أنا وبقيتها

إذا قصدت سواها عاذاها الظلم^(١)
والموت يدعون إلا أنهم وهموا^(٢)
إلا وجيشك في جفنيه مزدحم^(٣)
والشمس تسفر أحيانا وتلتئم^(٤)

سقى الله فتيانا ورأى تركتهم بحاضر قنشرين من سبل القطر^(١)
والأجم : مكان بقرب الفرديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .

(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح في حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .

(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضائها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتحركهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان .

(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدومك فلم تنبّه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .

(٤) النقع : القبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجدانا ورأى تركنها *

وحاضر قنشرين : موضع الإقامة على الماء من قنشرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم
يذكر منهم كل خير رأيت
أصكفا شداد القبض بالأسل الشمر
وشر فأنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويحبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيرا ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شرا لا ينهأ عنه أحد فذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرُهُ بِحِصْنِ الرَّانِ مُنْسَكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهُا نَقِمُ^(١)
جَيْشُكَ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَلَا أَرْضَ لَا أَمَمَ وَالْجَيْشُ لَا أَمَمَ^(٢)

وبقيتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف بقيمة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقع - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقيتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رويها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها للكان الواسع من الأرض ، وتسفر : من سفور المرأة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقيتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيوش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسنة تسفر أحيانا ثم تعود فتلتئم .

(١) سحب : خبر عن مذهب يرجع إلى الجيش . وحسن الران : موضع من عمل سيف الدولة . ومنسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب تقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والماء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ^(١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا البيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : اهدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة » و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استهلامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عَـلَمٌ مِّنْهَا بَدَأَ عَـلَمٌ ^(١)
وُسْزَبُ أَحْمَتِ الشَّعْرَى شَكَامَهَا ^(٢)
حَتَّى وَرَدَن بِسَمْنِينَ بِمِيرَتِهَا تَنْشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ ^(٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تغنى ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء في أمالي ابن الشجري ما يأتي : قال الخطيب التبريزي : لو قال - المتنبي - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر في البيت ، قال ابن الشجري : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا في صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذي هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذي هو الراية - مرتين ؛ وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار ببعض يحرف عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء في الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار في هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبي غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) سزب : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهي تجمع شازب : الفرس الضامر . وخيل سزب : ضوامر . والشعري : يريد الشعرى اليمانية ، نجم يطلع في فصل الصيف ، فهي تعد من نجوم القيط ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديد المعتبرة في فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من الأجم بالحكم . يقول : وخيل حميت حدائد الجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعني لشدة الحر أحمت الشمس الأجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكى -

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعتها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرَى هَنْزِيَطَ جَائِلَةً تَرْعَى الظَّبْيَ فِي خَصِيبٍ نَبْتُهُ لِلْمَمِ^(١)
فَمَا تَرَكَنْ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَارَأَ لَهُ قَدَمٌ^(٢)
وَلَا هِزْبَرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَشَمٌ^(٣)
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانَ وَالْأَكَمَ^(٤)

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع يبلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يرد في خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها في مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبرة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى في مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه للمال الراعى - الماشية - في البلد الحصيب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالهأر إذا ربت من شيء دخلت جحرها وفريقا توقفوا - صعدوا - في الجبال واعتصموا بها كالبازي يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزاة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازي إلا أهلكته وعبرة ابن القطاع : « ما تركن من هو في ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبازي في ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبد ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ماعلى كنتيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبد درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع غائط ، الطمئن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدهم

وَجَاوَزُوا أَرْضَنَا مُقْصِمِينَ بِهِ وَكَيْفَ يَنْقُصُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْقُصُ^(١)
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شِمَمٍ^(٢)
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدْ مَا فَقَدَ سَلُوهَا^(٣)
تَجَحَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ كَمَا تَجَحَّلُ تَحْتَ الْفَارَةِ الْقَعْمُ^(٤)
عَبَّرَتْ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمٌ^(٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجمهم من القتل ، حتى كأن الموضع الذي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تغذف بهم وترميمهم على حدود السيوف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأسله أن يستملك الراكب بشيء خوفا من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس يعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركه بالسفن والجسور وراهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت تو كيد للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعد بها .

(٣) الضمير في ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدور خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهافون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجحل - فى الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجحل ، والتجحل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل النائرة على العدو ؛ والنم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتنازع بسرعة كما تنهزم المواشى عند الغارة عليها فتنهزم وتجحل بسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمم : العظام البالية . والحلم بوزن صرد : الرماح والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلا أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقوني بالنار ، ثم إذا صرت حمما فاسحقوني ، ثم ذروني فى الريح لعل أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمُ النَّارُ الَّتِي عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَفِّرُ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعْظِمُ مَفْشَرًا عَظَمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَنْطَاطُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجاءك الربعُ أم قِدمُهُ أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قنلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكثهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللعان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جنى : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزى : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والسيحيون بالصلب .
 (٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) التحليل : المحتاج للعدم والفقير المختل الحال ، والسغبة : المجاعة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ الْتِيَّارِ مُقَرَّبَةً عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْجِهِ رَثْمٌ ^(١)
 دُهْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنَهَا مَكْدُودَةٌ يَقُومُ لَابِهَا الْأَلْمُ ^(٢)
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِدَتْ الْمَدُورُ بِهَا وَمَا لَهَا خَلْقٌ مِنْهَا وَلَا شَيْمٌ ^(٣)
 تَتَاجُرُ أَيْكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفْظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهْمٌ ^(٤)
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمَّوْا ^(٥)

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيفوك سكان هذه البلدة - تل بطريق - فجعلت أبطالها للسيف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغبة اللوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الحيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للغارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لدى الحافر كالشفة للإنسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالحيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خير آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم : مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهورها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا للتعب ينال من الملاحين لامنها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجورور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوهك إليهم ، إلا أنه ليس لها خالقة الخيل ولا طبايعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى مجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كدمة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كاللدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قل الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك «ع» ، من وعيت ، و «د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَمْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَصَمَّ رِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزُ^(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرِيقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرَبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ^(٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصياح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سدت عليهم مذهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والقرة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالقفرة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

قَلَوُا أَنَا شَمِئْنَا كَمْ نُعِيرْنَا بِذِي لَجِبٍ أَزَبٌ مِنَ الْعَوَالِي

(الأزب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولد - فى الصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرقية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائلة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمَشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ^(١) أَلَا أَنْتَنَى فَهَوَ يَنْأَى وَهَى تَبَقَسِمَ^(٢)
 لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ^(٣) فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الْأَذْنَى وَيَفْتَنِمَ^(٤)
 تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْطَانِ سَابِقَةً^(٥) صَوَّبُ الْأَسِنَّةِ فِي أَثْنَانِهَا دِيمَ^(٦)
 تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا^(٧) كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمَ^(٨)
 فَلَا سَقَى التَّمِيثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ^(٩)
 لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخَمَ^(١٠)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالرءوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطىء لهم ضربة عز
 قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادهم ؛ وأليت
 بينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا انتنى : حكاية اليمين ، وينأى
 يبعد . يقول : ترك بينه القى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز
 وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى . وقد طابق بينهما . والمهجة : الروح .
 وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفعه . يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل
 أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يغتم أنفاسه القريبة سرقة من
 أبدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة
 والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكُون ، وفى أثْنَانِهَا : أى فى
 تضاعيفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تلطخت بالدماء
 القى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة
 المطر تباها .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى
 درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حق كأن أستنها أقلام تخط فى القراطس
 ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) التيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه :
 أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الحلقة ،
 يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتُ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأُونَتَارُ وَالْفَقْمُ^(١)
مُقْلَدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبَ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا الْقَمَمُ^(٢)
أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَةً
فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ^(٣)
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمُ^(٤)
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحِلْمُ^(٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) للمالك : أى أصحاب المالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تمجده به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلهما ؛ فقله : لاستددام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ما قتلتهم منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كلما أردت صفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لساتل دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا حتف أنوفهم أو يهرموا من كبر السن . فيهلكون شاباً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فانت تسابق الحوادث فيهم والموت والهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يمد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القائمُ المَلِكُ الهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
 قِيَامَهُ وَهَدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)
 ابْنُ الْمُعَقَّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
 بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ^(٢)
 لَا تَطْلُبُنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَاخُتُمُوا^(٣)
 وَلَا تَبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْدِثَ الصَّمَمُ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يديرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهدهاء في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عفره : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن الذي قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيجاء للقراطة وإفناؤه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تميز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يدا .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخليق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ يحمى حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله
فى صباه :

كُنِّيْ أَرَانِيْ وَنِيْكَ لَوْمَكَ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادِيْ أَنْجَمًا^(١)
وَخَيَالُ جَنَسٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا^(٢)
وَحُنُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ يَا جَنَّتِيْ لَظَنَنْتُ فِيْهِ جَهَنَّمَ^(٣)

(١) كفى : دعى وتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . وويك : أصلها ويلك ،
غذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل
أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث
وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أقلت عن المطر ؛
وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي -
استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : تركى عدلى ، فقد أرانى الهم - المقيم على فؤادى
الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وطى هذا يكون
«الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم :
«الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى
الإلامه واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم
المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك
أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى
وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهَرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجَدَى لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى
أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعا بابتداء مضمرة
أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) خيال : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ،
فإن الخيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من
لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم» ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ،
واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أَبْرَقَتْ تَرَكْتُ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَظْمًا^(١)
يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي لَوْلَاكَ مَا
أَكَلْتُ الضَّغْنَى جَسَدِي وَرَضْتُ الْأَعْظَمَا^(٢)
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا الشُّلُو فَاثْنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُقَدِّمًا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والقصة واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تغزل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشَقِيهَا أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ لِلْمَشُوقِ ؟
والبیت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينه في وداع محبوبته :

عَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلِهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ حُبِّهَا فِي جَهَنَّمَ
(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعظم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : عظم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقاً . يقول : إذا ظهرت غيايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالته إلى مرارة .

(٢) قال ابن جني : داهية : اسم التي شرب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجير ، لعظيم ماحل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جني لترك صرفها في البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقائه ، فالعنى : ضعفت حتى كفى قد كسرت عظامى .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره في مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسي ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عديمها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كده وحبسته

غُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابِتٌ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمًا^(١)
 لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهٍ إِلَّا لَتَجَمَّعَ لَنِي لِعَرْمِي مَقْنَمًا^(٢)
 كَصِفَاتٍ أَوْجَدَنَا أَيْ الْفَضْلِ الَّتِي بَهَرْتُ فَأَنْطَقَ وَأَصْفِيهِ وَأَفْحَمًا^(٣)
 يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنْ أَهْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَنْ قَدْ أَجْرَمًا^(٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المصحق والمحاق والمبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلاً تبع له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعها في هذا السكلاً فأوجعته كبده .

(١) نقوى : ثنية « نقام » ، وهو الكتيب من الرمل ، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى الكتيب من الرمل نقالاً لأن المطر إذا أصابه نقاء وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : الفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هي غصن - يعني قامتها - نابت على كتيب رملي « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظما . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزم من عشقها وهواها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقله « في متشابه » أراد شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهواها ؛ والغنم : الغنيمة ، وهو ما يفتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طاقاً لدى الندى ، جهما عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت وأصفيها فلم يقدرها على وصفها فأنتطق وأصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفهام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يتندرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - التنبئ ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا
وَيَرَى التَّوَاضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا^(١)
ذَرَّ النَّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا^(٢)
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْنَى جَوْهَرًا
مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُتِمِّي مِنْ مِمَّا^(٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب
ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمته : أى كاسبهم ، قال
أبو خراش المذلى يصف عقابا شبه فرسه بها :

كَأَنِّي إِذْ غَدَوْتُ ضَمَنْتُ بُزْيَ مِنْ الْعِقْبَانِ خَائِفَةً طُلُوبًا

جرمة ناهض فى رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا^(١)

(١) التَّعَظَّمَ : إظهار العظمة ؛ وضده التواضع ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع
التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه
وارتقاع رتبته فى تواضعه ، واتضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ،
ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى :
ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على
القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام
على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا
على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه يحرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن
يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجواهر : الأُصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ؛
يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونقسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائفة : أى منقضة . يقال
خات العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائفة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض :
فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه
العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تعيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته
وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَا هُوتِيَّةً ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَ^(١)
وَبِهِمْ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . والفاظ مستكرهة فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردىء المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سبأ : صفة لئى الملكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للممدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من أله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) بهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلم : صلة « بهم » يقول : وبهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، وللعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى بهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفىك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفىك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى : وليس للعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * وبهم فىك كل عضو منك أن يتكلم * أفاد المعنى المراد ، فبقى ذلك الباقي لقوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظِنُّ أُنَى نَائِمٍ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمًا^(١)
كَسْبَرَ الْعِيَانُ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ نَوْهًا^(٢)
يَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أُمُورِهِ نَقِمَ تَعَوُّدٌ عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمًا^(٣)

واللغى أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعنى به القوة الناطقة - وكانت هو للوجوب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، واللغى : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن أعظم ما أرى منك وغرابته أظن أنى في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالإله حق أحلم بك ؛ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصر وأظن أنى أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أى أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت واللغى : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا ؛ أى كما لا يرى الله تعالى في النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد توازت بذلك . وقد ذكر للمبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على للمبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قدمته في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما عاياه من المدح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعابن كالتنويم . الظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذَا كَارُ مِثْلِكَ تَرَكْ إِذَا كَارِي لَهُ إِذَا لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرَجِّمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في للصراعين « مركبة من « ما » النافية العاملة بعمل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلماً ، لأنه فرق بين مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئاً ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحٌ

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمْقًا

وتبعه أبو تمام فقال ،

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمُسْكَارِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمُّومُ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فساداً ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى :

حَرَاهُ تَأْمِكَةُ السَّامِ كَأَنهَا جَلُّ بَهْوَاجِ أَهْلِهِ مَظْمُونُ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَايَ عَمَرَ الْفِدَاءِ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْخَلِيمِ أَوْ مَجْنُونُ^(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، وللتعجب : للعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكراك بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكراك إذكراك لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقْضَاهُ بَرَكَةُ التَّقَاضَى

(١) تمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارتفع فهو تامك ، وناقة تامك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أَى حِينٍ أَنْتَ فِي زَى مُحْرِمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ (١)
وَالْأَتَمْتُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا كَمْتُ وَتُقَاسِ الذِّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ (٢)
فَثَبَّ وَائْتَقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْمَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ (٣)

وقال في مـصـباه :

ضَيْفُ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمِ (٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريماً غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الميجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَلَ وَأَسْتَوْدِعَ اللَّهَ إِلْفًا رَحِلْ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللهم : جمع
لثة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدَ بَعْدَتَ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(١)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حُلَّ بِمَفَرِّي^(٢)
« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللمم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من
الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً - من باب فرح - إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضاً ؛ تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض
الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفعٌ
وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكأنها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح في قوله *

* لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون في نحو قول الراجز :

* أبيضٌ من أختِ بنى إِباضِ^(٣) *

(١) لقيننى : أى التوائى المذكورة في البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الفوائى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الفوائى بِمَعْتَقِ

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقوله . .

لَقَدْ أَتَى فِي رَمَضَانَ الْمَاضِ جارية في دِرْعِهَا الْفَضاضِ

تَقَطَّعَ الْحَدِيثَ بِالْإِمَاضِ أبيضٌ من أختِ بنى إِباضِ

يُحِبُّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبَ تَفْذِيَّتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَارِغَ الْحُلُمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْتَ أبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخٍ^(١)
وسمعت العروضي . يقول : أسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالي الثلاث في
آخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالي الظلم . على أن ابن جني قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود
في عيني كلاماتاً ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضي ، غير أنه لم يحمل الظلم : الليالي .

(١) يريد بقائلته : حبيبته ، لأن حبها قتله . وبعب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالخصاضِ قَبَاءَ ذاتِ كفلٍ رَضْرَاضِ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أباض
معروفة بالبياض ، وبنو أباض قوم . والخصاض : نوع من الحلى والقباء . الضامرة البطن
فعلاء من القب وهو دقة الحصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق في لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثمرها
ويحتمل أن تكون هي المحدثه وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الحلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم . أى نظرت . شغلهم حسن عيניהما
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجاً بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هندٍ فأخبر من أبوك إذا لا يصلحُ الملكُ إلا كل بذاخ
إن قلت : نصر فنصر كان شرفنى قدماً وأبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخِ
ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق ، وفى الخازى لكم أسفاخ أسفاخ

مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منحول وقوله . واشتد أكلهم
أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم
— بفتح الهزمة — جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون
الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالقوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُ بَرْنَمٍ لَا أَسْأَلُهُ ، وَلَا يَذَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيْقُ دَمِي ^(١)
تَنْفَسْتُ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ ^(٢)
قَبْلَتْهُمَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمُعِهَا وَقَبْلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِفَمٍ ^(٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوى وشيبي : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالسا وتقديره : هوى إذ كنت طفلاً ، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في الحالين على هذا القول : للصدران - هوى وشيبي - والتقدير : تغديق بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلاً وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة ووقت الشيب . يقول : إن تغديق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخمار ما غطي به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمي أي تقلني .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم « شعبته إذا فرقه » وللمتجمع المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسراً على فراقك عن وفاء . يعني عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أي أنها كانت منطوية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا ينتم « لا يجمع » وكان تنفسها عن هذين . والمعنى . إنا افرقنا بالأجساد « لا بالقلوب » لأنها كانت معي على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم في كل وجه .

(٣) يقول : بكيتاً جميعاً حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقييل ؛ يعني أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغات الأسعار واشتد القوت فسربال طبابخك نقي ، للؤمك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا للمعنى قول الآخر

ثياب طهاتك عند الشتا • بيض تلالاً لا تدنس

وقدرك لم يعرها طارق وكليك من جحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبِلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبَاً لَأَخْيَا سَالِفَ الْأُمِّ (١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَ تَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٢)

تقارباً حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لما » على : الحال ، كقولك كلمته
فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « ما يمزج بالشئ »
سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى تمزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى الفم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر
يصوب صوباً » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها
عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا
الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ متبهاة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو في
الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به
الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بَنَانُهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ (١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر
العوسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم
يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَالَتْ لَهَا الطَّلَّ بِالْعَنَمِ الْمُسَوِّكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة هديدة الحمرة ، جعل
الثنى عينها ظبي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالغنم : أطراف بناتها حمرة
بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قُرْأَ أَبْصَرْتُ فِي مَا تَمَّ يَنْدَبُ شَجَواً بَيْنَ أَثْرَابِ

يبكى فيلقو الدُرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بِعَنْابِ

(١) رخصة الأنامل لينها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمُكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصَفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا لَبِزْتُكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرُهُ
لَيْسَ التَّعْتَلُّ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ ^(١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أُجِنْتُ مِنْ أَلَمٍ ^(٢)
وَصِرْتُ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ ^(٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِفْلَاحِ مِنْ شَيْمَى ^(٤)

ومثله لابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأَوَاءَ الدَّمَشْقِي بَقُولِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأمهله . ونصب
« حَكَمُكَ » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حَكَمُكَ : أى أن تحكى غير
منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء
ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز
و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حَكَمُكَ علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك
بالناس كلهم من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء : ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى
ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجهه . وهذا كما يقول الناشئ :

لَفْظِي وَلَفْظُكَ بِالشُّكْوَى قَدْ ائْتَلَفَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي فَقَلْبَانَا لَمْ اخْتَلَفَا
(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل
زيد يصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه
وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنت من الألم ما أجنته إذن
لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك
وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما نثى الثوب
لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكانه قال :
وكساك حلة السقم كما كساكافر .

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشئ اليسير بعد الشئ . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زجيت الشئ إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى
كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجزى به وأكتفى ويقال
تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْتَرُكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرَفَهَا هِمِّي^(١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي بَرَقَةَ الْحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلَمْ^(٢)
أَرَى أَنَا وَمَخْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذَكَرَ جُودٍ وَمَخْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ^(٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال : الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْعَيْشَةِ بِالْمَتْنِي وَلَكِنْ أَلْتَى دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى : والعرب
تستعمل البنية والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأضمار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَحَّتْ خِلَاءٌ وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ^(١)
والجدة : الغنى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لأمه فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى الغنى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذَكَرَ جُودَ» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا *^(٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن النذر ويصذر إليه بما بلغه عنه وهى
التي أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالْسُنْدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات صحر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسا القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ،
فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبداء

(٢) وماء باردا : أى وسقيها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مَرْوَةٍ لَمْ يُبْثِرْ مِنْهَا كَأَثَرِي مِنَ الْقَدَمِ^(١)
 سَيَصْحَبُ النِّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مُضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ^(٢)
 لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَأَنْ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَأَنْ مُفْتَحِمٍ^(٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التجصيل كالغنم لا عقل لهم ،
 وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
 السيد الجبيري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسير وبين الشاء والبقر
 قال العكبري : وهو من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
 بطبع البهائم . لأننا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
 (١) رب مال : معطوف على « أنا » - في البيت السابق - والمروءة . أصلها
 الحمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
 وهي النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
 مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة
 عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر ؛ وهذا المعنى من
 قول أبي تمام :

لا يحسبُ الإِفْلالَ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ الْقُلَّ مِنَ الْمَرْوَةِ مُعْدِمٌ
 (٢) النصل : فصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
 الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلي : يتكشف . يقول
 سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
 يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
 الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربنا
 ونمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت همالة عيناها

وجمعه — له غيره عجزاً وصدره لما حططت الرجل عنها وارداً
 ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهمالة من هملت العين
 إذا صبت دمعها .

لَا تُرْكَنَّ وَجْوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً (١) وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (٢)
وَالطَّنُّ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٣)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحَيَّةِ كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّحْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَا تَأْوَانِ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم: كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقم: أى أقم نفسك، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فمفعول «أقم» محذوف، ولك أن تقرأها أقم: أى أقمم، وقد ورد قم يقم - من باب خضع - بمعنى أقمم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدايد الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا تُركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يخرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللمم: الجنون. يقول: والطعن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنحها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكانت مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلم الذى هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزل منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلي: إني أرقْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبي زيد الطائي النصراني الشاعر الإسلامي من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبث الليل مشتجراً *

والمشتجر: الذى يضع يده تحت حنكه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الدبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخُدَمِ (١)
 شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَاقِلَةً وَيَسْفَحِلُ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ (٢)
 وَكَلَّمَا نَطَحَتْ تَحْتَ الْمَجَاجِ بِهِ أَسَدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٣)

يقول : هي عابسة فاتحة أفواها لما أصابها من جراح الرياح ، فكان الصاب قد شد على لجها فهي تجد ممراته ، ومعصوب : يروى معصور ، ويروى : مذكور .
 (١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
 (٢) شيخ : إما بالجور على التبعية لمنصلت ، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائى بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالي بالعواقب ؛ مستحل للمحارم ، سافك للدماء وهذا بالهجم أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أسماءه ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يَضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
 وَمَجْوُزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جُلِيَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَالَا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لياضه تشبيها بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسبار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسبار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه .
 حديثاً كان أو فضة .

(٣) العجاج : النبار والكتائب : جمع كتبية ، الفرقة من الجيش . ورأته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، لحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ

تَنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَمْرِ بَارِقَتِي وَتَسْكُنُنِي بِالْدِّمِ الْجَارِي عَنْ الدِّمِ^(١)
رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَاتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ^(٢)
إِنْ لَمْ أَذْرُكَ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ^(٣)

وقال الجوهري : يقال رماه يرميه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورميت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جني والواحدى : والنطح إنما هو للكبش ، ولا يستعمل فى الأسود ، ولو قل كلما صدمت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقت : يريد سيوفه التى لها برق ولمعان . والدِّم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسببه من السماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد فى بويه أوفى ارتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وخماتها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ وياهس : يروى : حوباء : أى ياحوباء ؛ والحبوباء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنعم : الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهلك والحروب وأتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الدل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيخى : قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت خياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قتلته بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى العز حياة ؛ وأتركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال لتنبى : خياض غير الردى بالحاء أو قال : وأتركى ورد خوف الردى الخ . لم يحتاج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر الحرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
 مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَنْمِ (٢)
 مِمْعَادُ كُلِّ رَفِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدَاً
 وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخا المجد والكرام ؛ قال العكبري : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةِ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
 وَإِنْ نَجَوْتُ لَوْ قَتَّ غَيْرُهُ فَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارُ
 (١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذي لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فَيَهْتِكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْبَيَّانَ فِيهِ نَوْعُ امْتِنَاعٍ ، فَإِذَا ذَبَحَ وَوَضَعَ لَحْمَهُ عَلَى الْوَضْمِ كَانَ عَرْضَةً لِكُلِّ أَحَدٍ ، حَقَّ الطَّيْرِ وَالذَّبَابِ . وَقَوْلُهُ : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ . يَقُولُ : لَا يَمَلِكُ لِمَلِكٍ ضَعِيفٍ ذَلِيلٍ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ كَاللَّحْمِ عَلَى الْوَضْمِ ، وَأَسْيَافُنَا عَطَاشٌ إِلَى دَمِهِ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَمْ نَشْبَعْهَا مِنْ لَحْمِهِ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقْتُلُ وَيَلْقَى لِلطَّيْرِ وَلَا يَمَلِكُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : يُرِيدُ أَنَّ مُلُوكَ عَصْرِهِ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .

(٢) مَنْ : بدل من قوله لحم على وضم . والظمأ : العطش ، ومثلت : امتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : مَنْ لَوْ كُنْتُ مَاءً وَكَانَ عَطْشَانٌ لَمَحَهُ خَوْفُهُ مِنْ أَنْ يَشْرَبَ حَتَّى يَمُوتَ عَطْشًا ، وَلَوْ رَأَى فِي النَّوْمِ مِثْلًا لَهُ لَهَجَرَ النَّوْمَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَرَأَى فِي النَّوْمِ ؛ وَهَذَا يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتُهُ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
 (٣) مِمْعَادُ : مبتدأ ، خبره : غداً ، وكل رفيق الشفرتين : أى كل سيف رفيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإخاء ناز الحرب .
 (١١ - لُتْنِي ٤)

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهِمُ — وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ^(١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من
تهوره فقال (*)

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفِي عَنْكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي^(٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ^(٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فلست أقصدهم بسيوف ،
وإنما أقصدهم بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا في عصيانهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء في الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التتبي اللاذقية سنة نيف وعشرين
وثلثمائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتنما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لندامة ملك كبير ، فقال : ويحك : أندري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؟ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراة الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؟ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؟
وعذته على ذلك ، فأنشده يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبيرى : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهجاء : من
أساء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتى في الحرب ومقدار ما طبعته عليه من الجراءة
والبأس ، ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك بى العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه من الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِثْلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ^(١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا تَلْخُصِبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي ^(٢)
وَمَا بَلَفَتْ مَشِيئَتَهَا الْيَالِي وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي ^(٣)
إِذَا امْتَلَأَتْ عُمُيُونُ الْخَلِيلِ مِنِّْي فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالنَّامِ ^(٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع ^(١)
قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلي ، والهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
محاولة الأمر العظيم وعاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .
(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : الموت .
يقول : مثلي لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) للفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم برز إلى محاربا لخصب شعر رأسه سيفي .
(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
انقادت له اتقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحري :

لعمري أبا الأيام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها نبي مِقْوَدِي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل : يريد فويل لهم .
يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحاليتين لأنهم يخافونني
أشد الخوف ، فلا يسكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجمع بن هلال قال :
غزا مجمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن
زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فر بمساء لبني تميم عليه ناس من بني
مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخا . إلى آخر الأبيات . قال
للرزوقي في قوله إن أمس ما شيخا : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا في السن
هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بنى كلاب : أَشَرَبَ هَذِهِ الْكَأْسُ سُرُورًا بِكَ ، فَقَالَ :

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَخْفَرَ صِرْفًا مُنْهًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ ^(١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقُونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ ^(٢)

* * *

(١) صرفا : أى خالصة غير ممزوجة . والذي من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرا به الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقانون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم : أى كأنها ندامام ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرونها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له الندمان أيضا ؛ قال النعمان بن فضالة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ

لَمَلِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوُّهُ تَفَادُمُنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذاحب ، وجرى كائلى ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى اللؤث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعل شيئا واحداً ، فصارا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء ؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : قللت حبذت امرأة قال جرير .

يَا حَبْدَا جَبْلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مِنْ كَانَا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :
 وَأَخْرَجْنَا لَنَا بَمَثَ الطَّلَاقِ أَلِيَّةً لَا عَلَّانَ بِهِذِهِ أُخْرِطُومَ (١)
 فَعَمِلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَنِيَمِ (٢)
 * * *

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلخوي :
 مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلُمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ (٣)

وَجَبَّذَا نَفْعَاتٍ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا (١)
 (١) الألية : اليمين . والتلخيل : التلطيح . وقال الشراح في قوله لا علان : إنه
 من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخراطوم : من أسماء الحجر ، قيل لأنها إذا
 بزل الدن انصبت في صورة الخراطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها تأخذها بخرطوم شراهم . أي
 أنوفهم . كما قيل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْحَجَرَ حَتَّى خَلَّتْهَا أَفْصَى تَكِشٍ عَلَى طَرِيقِ الْمُنْعَرِ
 « كَشِيشُ الْأَفْصَى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلد لها لا من فيها فإن
 ذلك من لحبها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأخ حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق
 فعملت ردي امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان
 قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومي المراق - في تفرقه بيننا وظلمه
 إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول
 بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا
 وفيها يقول :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتَنَا لَمْ يَحْيَيْنَا قَتَلَانَا

فَلَوْ لَمْ تَقْرَ لَمْ تَزَوْ عَنِّي لِقَاءُكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرْزِكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَضِي^(١)
أَمْنِعَةً بِالْمَوَدَّةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي يَفْزِرُ وَلِيَّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْنَى^(٢)

وحاربني فيه ريبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشقُ
وقال البحتري :

قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا عِشْقُ النَّوَى لِرَيْبِ ذَلِكَ الرَّبِّ
(١) زواه : نحاء وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عني لقاءكم
وطوته عني ، ولما خاصمني بسببكم . هذا : والخصم : الخصم ، يستوى فيه الجمع والواحد
والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهي خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر في السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ،
والولى : المطر الثاني ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به
وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت على رجوعهم إلى الوصل
مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذي الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُتَمَرِّعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَتُّ مِنْ وَسْمِي نُفْهَاكَ شَاكِرٌ
(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف) . والعنى
من قول بشار :

قَدْ زُرْتَنِي زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِيٌّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ^(١)
هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخر : أو تجعل
« الظبية » : قاعلا لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهْنُ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا
والريان : أطول جبال أجاء واليمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد في البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن
كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل
إن بيضة العقر هى بيضة الديك بيضها في السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها في عمره

تَرَشَفْتُ فَاهَا سُحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ^(١)
فَتَاةٌ نَسَاوَى عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَيَّسُمُهَا الدَّرَى فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ^(٢)

(١) الترشف : المص ، والسحرة : السحر . والظم : ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص
السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح
لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْقَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشْرَ الْقَطْرِ
يُعْلَى بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ
وَقَالَ الْحَارِثِي :

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بَابِلِيَّةً بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مَزَاجُهَا
وَالْعَاشِقُ إِذَا مَصَّ رِيْقَ مَعْشُوقَةٍ زَادَتْ نَارَ حُبِّهِ تَلْبِيَا ، لذلك - قال :

• تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ •

وقه ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة :

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعَنَاقِ تَدَانٍ
وَأَلْتَمُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَسْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمِ كَانَ
وَمَا كَانَ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَفُ الشَّفَتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيْلَهُ سَوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَانَ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول ؛ إن كلامن قلاذتها ونطقها ونغرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن
والنظم ، فهي درية العقد والكلام والنغر . وهذا معنى متداول ، قال البحتري :

فَمَنْ لَوْ لَوْ تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقَطُهَا
فَذَكَرَ شَيْئِينَ ، وقال اللؤم بن أميل :

وإِنْ نَطَقَتْ دُرٌّ فَدُرُّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرْ دُرًّا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يريها معطيها يريها ،
وقيل : إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم يرض الأنوق والأبلىق العنوق ، مثل
لما لا يكون .

وَنَكَمَتْهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَقَةً صَنْبَاءَ فِي الرِّيحِ وَالطَّقَمِ^(١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِي نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَغْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوَدِّعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْثٍ عَقْدِهِ مِنْ تَفَرُّهِ وَحَسْبِثِهِ وَدَمَوْعِهِ
فتراد ذكر الدمع على التنبي .

(١) النكمة : راحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندال : موضع
بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : يا قوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع
ينسب إليه العود ، قال هكذا تقول العامة ، والذي ذكره أهل المعرفة « قامرون » موضع
ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلَ إِنْ خِيَالِ سَلَمَى إِذَا نَمْنَا أَلَمْ يَنْسَا فَرَارَا

كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمنديل أو بقارعتي قمارا

هذا : وقد يقع المنديل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال
تبخرت بالمنديل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المنديل
قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخَذَتْ يُبْلَقِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عِزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو
ساعة تمضي من الليل » ومناسبة بيت كثير روي أن إحدى اللديات قالت لكثير فوض
الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت
لو أن زنجية بخرت أردانها بمنديل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم
امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّ جَنَّتٍ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَلِيًّا وَإِنْ لَمْ تَطْيِّبْ ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل
« تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطْفَنَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدَّهْمِ^(١)
يُحَاذِرُنِي حَتَّى كَأَنِّي حَتْفُهُ، وَتَذَكِّرُنِي الْأَفْنَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي^(٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيثان : النكهة والحجر ، لأن العودمر اللذايق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام الكلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - المتنبي - قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحجر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدم : السود . يقول : جفتى بهجرها كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ الأشجع من عشيرتها ، وإنما قال هذا لأن نساء العرب يعلن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رآته امرأته يطعن فازدته :

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْقَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي بِلَأْنِي إِذَا تَفَتَّتْ عَلَى الْفَوَارِسِ^(١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها ، بحفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدم » يريد إذا زوَّيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وَتُفَكِّرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجُلُونَ أَشْقَرَا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكزته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنابها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أَلَسْتُ أَرَدُ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سَنَانُ ذُو غَرَارَيْنِ يَابِسُ
إِذَا هَابَ أَقْوَامُ تَجَشَّعَتْ هَوْلُ مَا يَهَابُ مَحْيَاهُ الْأَلْدُ الْمَدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَيْلِكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضِيْفِي وَإِنِّي لَأَنْ رَكِبْتُ لِفَارِسُ

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، تقيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبين ، وبلائي : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فيه حرب أو كرم ، ويركب رده : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والفراران : الحدان

طِوَالُ الرَّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي ^(١)
 بَرْتَنِي السَّرِي بَرَمِي الْمَدَى فَرَدَدَنِي
 أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي ^(٢)

قال الوحدي : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرني الذي منه حتفي لو قاتلني
 لحذرتني كأي حتفه : أي كأي أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرتني حذر من تيقن هلاكه من
 جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة في وصف شجاعته وقوله : وتنكرني
 الأفي : أي يتعرض لي أعدائي فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحاذره ،
 ومتعرضاً له يهلكه للتنبئ ، ولما سمي عدوه أفي : سمي قوة نفسه وشجاعته بها ، لشدة
 تأثيره في عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
 السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريح . يقول : إن الرماح تنقص قبل الوصول
 إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفاً لما كان السبب
 في قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سبباً فيه ، وعبارة التبريزي :
 أي أنا من نفسي وعشيرتي في منعة ، فإذا أصابني طعن كبر الطعن في طلب ثأري حتى
 تنقص الرماح ، وإذا ضربت تنكسر السيوف حتى يدرك ثأري .

(٢) يرتني : أي هزلتني ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحتته حتى يندق ، والسري
 جمع سريّة ، ومن ثم أنشأ ، وقال برتنى وهي سير الليل ، واللدى : جمع مدية ، وهي
 السكين ، وجرمي : أي جسدي ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من
 الضمير في « رددني » أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
 منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمي : بدلا من الياء في ، « رددني » ،
 وإنما أبدل « جرمي » من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
 ولا يجوز جعله فاعلاً لـ « أخف » ، لأن أفعول التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسألة الكحل
 يقول : أذهب السري لحمي فجعلتني في خفق على المركوب كنفسى الذي يخرج من في .

ويابس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تحرك واضطرب
 وهاب : يروى « خام » بمعنى نكص وجبن والحما : السورة والشدة ؛ والآله : الشديد
 الخصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍّ لَأَنْتَى إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ^(١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي^(٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة ؛ وزرقاء : اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، تدرك يبصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يجعل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتكم الشجر أو أتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ خَيْرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا يُجَرُّ

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخسف النمل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثم ، وكانت أول من اكتحل بالإثم من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية ، والاعشى في قصيدة هذيلة فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما علمى : أى أنهما لا يسبقان علمى فإذا رأيت الشيء يبصر علمته بقلبي . وروى ابن جني شأواهما علمى . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا نظرت عيناى فغائتاها : أن تعرف ما علمته بقلبي ؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى » ؛ وروى أيضاً ساواهما علمى ؛ والشأو : الهمة أى همة عيني أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذى بنى السد بين يابوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كونه بسطها لعلمه بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؟ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْمَةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا تَبَعِي وَلَوْ ضَمَنْتُ شَتْمِي (٢)
يَمِينُ بَنِي قَهْطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعِزَّيْنَهَا بَذَرُ الثُّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ أَسْتِمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ اللَّجْمِ (٤)
مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِزُّ وَإِنْ يَبْنُ بِهِ يُتَمَّهُمْ فَالْمَوْتُ الْجَابِرُ الْيَتَمِ (٥)

اللفة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقه فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برثى السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة للبتكرة التي لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت للشاق وكابدت شدايد الأسفار لألقى للمدوح المذكور الذي دق فهمه وأبدع في دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالنيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يبلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضمنت : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمع بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعذوبته .

(٣) قهطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدوح ؛ والعرينين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرينين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرينين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كاليسدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرقتهم ليلاً . والصرير والقمقة : من مرادفات الصوت والعوالى الرياح : يقول : إذا وافى أعداءه ليلاً أخفى تديره ومكره وتحفظ من قبل أن يظن له فإخذم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تديره . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يبن - مضارع أن يبن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ والموتم : اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، وممز الأذلاء ؛ يرفع قوماً ويضع

وَأِنْ تَمْسِ دَاءُ فِي الْقُلُوبِ قَتَانَهُ فَمُسِكُهَا مِنْهُ الشَّفَاءُ مِنَ الدُّمِّ (١)
 مَقْلَدُ طَاغِي الشُّفَرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)
 تَخْرُجُ عَنْ حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جَنْبِهِ (٣)
 وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
 مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَمَّ تَرْكُهُ لَأَخْلَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم - أى يتم الأعضاء - فهو الموت وهو في الوقت حينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .

(١) القنات : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل التدخل والخرج ؛ ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .

(٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حداة . والهام : الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .

(٣) تخرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأثما وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها . فكانه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتخرج من هذا كما يتخرج من ذلك . (٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل وروى ابن جنى : كعده بالحاء وقال : أى كعد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمْ

(٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخُرًا لَأَخْرَهُ الطَّبَعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ^(١)
لَهُ رَحْمَةً تُنْحِي الْعِظَامَ وَغَضَبَةً

بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ^(٢)
وَرِقَّةٌ وَجْهٍ لَوْ خَشِمَتْ بِنَظَرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخُتْمِ^(٣)
أَذَاقَ الْغَوَايِ حُسْنُهُ مَا أَذَقْنِي ، وَعَفَّ لِحَاظَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ^(٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للجزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً
لأن الجزم ملازم له ، والمعنى أنه لا سبيل للجزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد
ترك الجزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

نَعُودُ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَّاكَاهُ لِقَبْضٍ لَمْ تَجْنِبْهُ أَنَايِلَهُ
ولك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو حزم في بادئ الرأي لم يكن
تركه إلا لا مريضه الجزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء في غير
مواضعها .

(١) في الحرب : عطف على « مع الجزم » والتقدم : التقدم . يقول : هو صاحب
الحرب وفي الحرب أبداً ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقدم
والعنى لا أخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيى العظام وهي رميم . قال الواحدى :
أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم :
يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم القدى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه
بعد تنكيه بالمجرم لا يجترى أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه
(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه
حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك
الأثر ولا ينمحي .

(٤) الغوايى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بجهاها عن الحلى ، وقيل
التي غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها سبأ .
واسكن « الغوايى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : المجرى والمقاطعة ،
يفتح الصاد وضماً - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تشقه

فَدَىٰ مَنْ هَلَى الْغَبْرَاءُ أَوْ لَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبَى الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ^(١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْمَعْجَمِ^(٢)
وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ^(٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهم ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الموصول بعده ، والغبراء : الأرض . والآبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنيا . والجائد : الفاعل من جاد يهود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا المدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنسى بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك المعجم والمعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نفاذ الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيئته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دُؤْلَفٍ عَلَى بَيْضِ السِّبْوَفِ لَذُبْنَ فِي الْأَغْصَادِ
هذا : ويقال غم وغم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أُنْفَخُ فِي غَمٍّ : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هَلْ غَيْرُ غَارٍ هَذَا غَارًا فَانْهَدَمَ قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحْمٍ
* وصبروا لو صبروا على أُمِّ *
يقول : لو كان قتالهم يغى شيئا ، ولكنه لا يغى فكان كالذى ينفخ نارا ولا غم ولا حطب ، فلا تنفذ النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمرا لا يجدى عليه ، والفحيم كالفتح . قال امرؤ القيس :

وَإِذَا هِيَ سَوْدَاءُ مِثْلَ الْفَحِيمِ تَفْشَى الْمَطَانِبَ وَالْمَنْكِبَا^(١)

(١) وإِذَا هِيَ سَوْدَاءُ : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ^(١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُونُسَ
لَشَهَوْتِنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرَّغْمِ^(٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتخرق في الكرم ، فلولا أننا رأيناه صاحبا لقلنا كريم هيجه الحمر فحركته إلى
الجود وابتعته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحًا وَاهْتَزَّ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعمك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطعمتك
حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
خذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُونُكَ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ
أَرَادَ الْمُسْكُونُ ، وَأَنْشَدَ جَمِيعَ النُّحَوِيِّينَ :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وِرَائِنَا وَكَفَّ^(١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِينُونَ حَيْثُ نَحْمَدُ بِالْمَكِّ وَنَحْنُ الْمَصَالَتُ الْأَنْفُ

والمكثون : جمع مكث فعيل من المكث وهو البث — الانتظار — والمزاد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئا . والأنف : جمع
أنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يهابون به من تضييع نفوسهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الخزائن » طبعة « السلفية »

وَنَقْنَا بِأَنْ تُعْطَى فَلَوْ لَمْ تَجِدْ لَنَا خِلَانَكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ^(١)
 دُعَيْتُ بِتَقْرِيبِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُوْنَا إِيَّائِي عَلَيْكَ أَسْمَى^(٢)
 وَأُطْعَمْتَنِي فِي نَيْلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
 بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أُطْعَمُ فِي النِّجَمِ^(٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيم الصلاة »
 بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالعطف على الضمير في « أطعناك » وحسن العطف
 على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خلتك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أولم
 يكن . وقال الجوهري : وهمت في الشيء - بالفتح - أم وما : إذا ذهب وهمك
 إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم - بكسر الهاء - : غلط
 وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك
 قد أعطيتنا .

(٢) التقريرط : المدح . وقوله : الذى يدعو ، أراد يدعوني ، فحذف المفعول .
 يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مدحك وشاعرك ، والذى يدعونى يظن أن اسمى
 ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان - يامادح فلان - وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك
 بين الناس حتى سمونى مادح فلان ، وصار الذى يريد أن يدعونى ، ينادينى بهذا اللفظ ،
 لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر
 الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شيء
 عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجليل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك
 نسبا وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنوب ، وقد نقل المتن هذا من قول
 البحتري

وما أنا إلا عبدُ نعمتك التى نُسِبتُ إليها دون رهطى ومعشرى
 (٣) يقول : قد نلت بمجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طمعت فيما لا ينال ،
 لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله ، ولم يزل فى هذا الطمع حتى صرت
 أطعم فى إدراك النجوم حتى أناها كما قال البحتري :

لَمْ لَا أُمْدُ يَدَى حَتَّى أَنَالَ بِهَا زُهرَ النجوم إذا ما كنت لى هُضدا
 (١٧ - التنبئ ٤)

إذا ما ضربت القرنَ ثم أجزتني فكل ذهباً لي مرةً منه بالكلم^(١)
 أبت لك ذمي نخوةً يمنيةً ، ونفسُ بها في مآزق أبداً ترمي^(٢)
 فكلم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قرأه مكمن المسكر الدهم^(٣)
 وقائلة والأرض أعني تعجبا على أمرؤ يمشي بوقري من الحلم^(٤)
 عظمت فلما لم تكلم مهابةً
 تواضعت وهو العظم عظما عن العظم^(٥)

(١) القرن : الكفء في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جائزة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ، فأجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) يمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعمما يورثه عيباً ؛ والمآزق : المضيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفك عن النقائص ونفesk التي ترمي بها أبداً في مآزق الحرب يأبيان ذمي لك : أى لا موضع للذم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : الحجاب . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاخفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أى ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعنى ، وتعجبا : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أى أتعجب تعجبا . وعلى أمرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أى بمثل وقري : أى ثقلى : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشي على أمرؤ ثقل حمله كثقلى .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدَمُ^(١)
وَأَتَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ^(٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُبُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ^(٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ تُرْعَى بَعِيدٌ كَأَنَّهَا غَمَمُ^(٤)

(١) أحق - أي أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافي : الدارس الذاهب - من غفت الذيار : درست - والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن يبكي عليه هو همم الكرام التي قد درست وذهبت : أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن أقدم أحدث الأشياء عهداً بها - أي بالهمم - أي أن دروسها قديم ، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جني : سأله - أي للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد غفت ودرست فصار أحدثها عهداً قديماً . وعبرة التبريزى : أحق عاف بأن يبكي عليه همم الكرام لأنها قد غفت كما تغفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم : أي أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطباع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قرييع :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أُمُورٍ سَعَةٌ وَالْمُسَى وَالصَبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعيد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَخْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلُوسُهُ (١) وَكَانَ يُبْدِي بِظُفْرِهِ الْقَلَمَ (٢)
 إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكَرُ أَنْتَى عَقُوبَةُ لَهُمْ (٣)
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرُو عَالِمٍ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامِئَةٍ قَدَمٌ (٤)
 يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبَهْمُ (٥)
 حَفَانِي الذَّمُّ أَنْتَى رَجُلٍ أَكْرُمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ (٦)
 يَجْنِي الْغِنَى لِلثَّامِ تَوْعَقُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ (٧)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلا رثا حافيا طويلا الأظفار .
 (٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق الهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحترى .

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثلها الحسد

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنتهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهم : جمع بهيمة ، البطل الذى لا يدرى من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشيء : صرفه عنه ؛ وأننى : فاعل كفى . والكرم : تقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شئ أملكه وأصونه يذل المال دونه وأبخل به بأجل غيرى بالمال .

(٦) اللثيم الذىء الأصل ، الشحيح النفس ، تقيض الكريم . والعدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللثيم لو علم بجنى عليه ما لا يجنيه اللؤم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد فى حاجة ؛

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَنْبَقِي وَالْجَرْحُ يَلْتَقِمُ^(١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَلِي يَهَبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَنْتَقِمُ^(٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ كَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَهَا أَلَمْ^(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن اللئيم مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقب ، فضلا عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللئيم المكثر ، كما قال حاتم الطائي .

إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالى معبداً
 وقال الآخر :

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا تحمدي غيبه غداً
 وقال أبو نواس :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك
 وقال الخزومي :

إن رب المال آكله وهو للبخال أسكال

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتئم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجهه «وهو ييقسم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بالمدح الطعنة ، لأنها - لسرعتها - تقتله قبل أن يدرك ألامها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فِقْلِهِ نَدَمٌ ^(١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْبَيْضُ لَهُ وَالْعَيْدُ وَالْحَشَمُ ^(٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُ ^(٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدًا خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبرة ابن جني : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلَمِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَ

أى هذا المدح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الحيل الطوال ، جمع سلب وسلمية ، يقال : فرس سلب وسلمية للذكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهي القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم - بالقاف - أن ينكسر الشيء فيبين ، وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظيبا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - مايلبس في المعصم من الحلى - قد انقصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٍ ^(١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان لنفسه ، ولم يهتد إليه : فهو نبيه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهبأ : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمى : أضلوه نهبأ لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن برى إلى أن النبه هنا الشيء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمط لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نبه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَلْقِ صَمَمٌ^(١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَابِيبَهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخَاقُ النَّسَمَ^(٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتتسامع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أرعى سمعك - أى اصغ به إلى واستمع منى ؛ ومعناه اجعل سمعك الكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والختا : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجيب دعوة الداعي إذا دعان » وصلاً ؛ وحذفها وقفاً اتباعاً للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفاً ووصلاً في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلاً أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلاً ووقفاً اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من الكرام ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسَم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، وإنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى غنذه واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ^(١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَالْخُدَمُ^(٢)
 مَا بَدَلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلَا تَهْدَى لِمَا يَقُولُ فَمُ^(٣)
 بَنُو الْعَفْرَنَى مَحْطَةُ الْأَسَدِ الْأَسَدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ^(٤)

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بإصاحي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى
 صفت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدي . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدي فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرنى» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لمحطة - وروى
 الحوازمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستعصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ
 وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتٌ مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْفَنَا آجَامُ
 وقال أيضا :

أُسْدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأُسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحِلْمُ^(١)
كَأَنَّمَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرِمٌ^(٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا^(٣)

وانترد إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا
حملت أنثى إلى مصمّماتها غلبَ الذفارى وعفرنياتها^(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والذخور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلام عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بلوغهم أن يرضعوا السيف مهبجة البطل
وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نقيم الدين بعد أعوجاجه سويّا ولم نخرج لجمع الدرم
إذا أحكم التنزيل والحلم طفلنا فإن بلوغ الطفل ضرب الجماعيم

(٢) الذدى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحترى :

عريقون فى الإفضال يؤتشف الذدى لفاشتهم من حيث يؤتشف العمر
(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحداً جاهرُوا بعداوتِهِ ، لأنهم لا يخافون
عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ - يقال غلب غلباً :
أى غليظ .

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَغْتَدَادَهُمْ أَهْمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)
 إِنْ بَرَقُوا فَالْحَقُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحُكْمُ^(٢)
 أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ^(٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحريري :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
 تَدْنَسُ أَهْلَهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 وقال الآخر :

وَمَنْ تَكْرَاهِيهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ
 « المحل : الجذب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحقوف : جمع حنف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الغموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا يميناً يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقسام قول الأشتري النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيْتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَا
 لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً
 وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ
 لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ
 خَيْلًا كَأَمْتَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا
 تَعْدُو بَيِضَ فِي الْكَرِيمَةِ شُوسٍ
 حَتَّى الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ
 لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَعَاعُ شُمُوسٍ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو القول . والشرب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم . وفي الكريمة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجريء على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسَرَّجَةٍ فَإِنَّ أَفْعَادَهُمْ نَهَا حُزْمٌ^(١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَا فِجْأَ أَخَذُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا^(٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ^(٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ^(٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزِيدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمٌ^(٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عربا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبت بالناقة إذا حملت . والمهيج : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أي كأن أعراضهم خلائق تنسرق في نفوسهم . يصفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمعمان القتيبي :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ
 وقول الآخر :

فَإِنْ كَانَ خُطْبٌ أَوْ أَلْتْ مَلَمَةٌ كَفَى خَابِطَ الظُّلُمَاءِ فَقَدَ الْمَصَاحِمِ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والفور : منخفض بالشام ، بجوار بلد الممدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت ببلدك الدفء الحار . وقال بعضهم : المراد بالفور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزيدة ، على أن مثل خبر ومزيدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزيدة ومزيدة خبر والضمير من « تهر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطام : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتدت

وَالطَّيْرُ قَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسِبُهَا فُرْسَانَ مُبَاتٍ تَخُونُهَا اللَّجْمُ^(١)
 كَانَهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا جَيْشًا وَغَى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ^(٢)
 كَانَهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ^(٣)
 نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ^(٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلىق: أراد فرسان خيل بلىق ، والبلىق : التى فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلىقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر فى كل وجه . وقال ابن جنى : تخونها اللجم : فهى تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انقباسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرقة والانقباس مما ذكر فى البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كَانَهَا : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كَانَهَا - أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتحتاج الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى فى الحديث « حفت الجنة بالسكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه - وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فمداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجنى من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألفز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُمْ بِطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ^(١)
تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوَضَ حَوْلَهَا الدِّيمُ^(٢)
فَهِيَ كَمَا وَبِةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرَّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ^(٣)
يَشِينُهَا جَزِيئُهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأُدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ^(٤)
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَمَذْحُكُمُ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ^(٥)
وَقَدْ تَوَالَى الْعَهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي تَسِيمُ^(٦)
أَعْيُذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُبْتَلَمٌ^(٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كفى عن استخراج ممكها وصيدا منها بالقر ، وهو شق البطن .
- (٢) جادت : من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .
- (٣) الماوية . المرأة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للقشاة . شبه البحيرة - مع ما يحقق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد .
- (٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفاههم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهلها لثام خساس .
- (٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر : أي أنه لحسنه ينفي عليكم ، ويروي في العقل : يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .
- (٦) العهد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أطار بعضها في أثر بعض : ومنه : أي من المدح : والمطررة التي تسم : هي الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذي يسم الأرض بالنبات . شبه مداخه فيهم بالأطمار المتتابعة لأنها تنبت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم : هذه القصيدة .
- (٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفي هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المنيث بن العجلي :

فُوَادُ مَا تُسَلِّيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرُ نَاسِهِ نَاسٌ صِفَارُ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجَثُّ ضِخَامُ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَّى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدَرِ الضُّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لَلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول : الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا تني تمام :

إِنْ يَنْتَحِيلُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْخَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءَ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَغْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتداً ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتدأ محذوف
أى فؤادى فؤاد . والدما : الحمر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس
والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ
لست كالناس أَرْضَى بما يَرْضُونَ به ويلهينى السكر ، ثم قال - المتنبي - : وعمر مثل ما
تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلاً لرجوت أن أدرك أغراضى
بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهيئة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى
أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى
تمام :

وَكُنَّ الْأَنَامِلُ اغْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءٍ وَجْهَ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان
ابن ثابت :

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والآسن : الآسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ^(١)
 أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلْكُ مُفْتَحَةُ عَيْنِهِمْ نِيَامُ^(٢)
 بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ^(٣)
 وَخَيْلٍ مَا يَحْرُ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنَا فَوَارِسَهَا ثَمَامُ^(٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجنة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جنة الإنسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جنة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جنته إنما يقال قننه ، وقيل لا يقال حنة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلي في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن - أي ثبت - فيها .
 (٢) المهور في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جني : وهذا عادة له - للمتنبي - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَامُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيَقُظْتَ هَاجِمُهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبِ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحرق حرارته . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر :
 يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِفَيْرٍ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيِّقِلِهِ الْحَسَامُ^(٢)
وَشَبَهُ الشَّيْءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّفَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بعود ثمَامٍ ما تأود عودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليل خليل
لك وإن كثرت تملقه ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أناه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالى ولا حرم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان فى الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطفام : رذال الناس وغر غاؤهم ؛ قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول للرجل
الأحمق : طفامة ودغامة ، والجمع : طفام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبى مهند الأعرابي ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهند : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك -- فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهند : ياطفامة لقد أحفيتنى
فى المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطفامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجِهُ الطَّفَامَةَ كُلَّهَا فَعَلَيْهِ مَيِّمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّفَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَّاكُ بَرَّاكُ
« قال الجوهري : يقال فى الحرب براك براك -- كقطام -- أى ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فذلك ألف الحساس ، لأنهم
أشبهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْقُلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْخَطَ الْقَتَامُ^(١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّ رِثْنَتِهِ أَسَامُهُمُ الْمَسَامُ^(٢)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَلَا فِي بَوَاطِنِهِ ظِلَامُ^(٣)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ^(٤)
 وَمَا كُلُّ مِمَّا ذُورٍ يَبْخُلُ وَلَا كُلُّ عَلَى مَحَلٍّ يُلَامُ^(٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقَتَام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيوش .
 (٢) رع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك-فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيته ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام للمال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه لحلا الناس من خليفة بلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .
 (٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التبعمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتعبدون من يصوب إليهم ويعطى قلبه بحسن .

(٤) الحمام : للوث . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران لهوا وغفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من الهم لضعفه واهتمامه لمسا فأت من عمره - فإن حياته هى الموت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منقصة مكدره ؛ فالإنسا لدى المشيب يفكر فيما فأت من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من الهم حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن للعسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ؛

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ حَيْرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكَرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّمَامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخَرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا اللَّكَّامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَمَامُ^(٥)

والذي لا يلام على بخله من كان آباؤه لثامًا بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير في آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبي تمام :

إِكْلٌ مِنْ بَنَى حَوَاءَ عُدْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِطَائِيٍّ لَثِيمٍ

وقال ابن جني : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مُقَتَّرٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلٍ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أر مثل حيراني في سوء الجوار وقلة المراجعة ولا مثلي في مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو حيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لثلي : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : ألمثلني ؟ على الاستفهام التعجبي .

(٢) يقول : كل ما تشتهي وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلاكنا نقص أهل الأرض في الأرض ، وتمام الأرض — أي كمالها — في أهلها ؟ يعني أن هذه الأرض كاملة في أحوالها ، وأهلها ناقصون في أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها في أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدي شيئاً .

(٤) أنا : أشرفا وطالا . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثاني من غفر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلا عطفه على الجبل الحقيقي .

(٥) التمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللَّهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامٌ^(١)
وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ الْفُطَامُ^(٣)
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلَذُّ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطننا للمدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالحسب والنماء ، والمنجبة : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدِّر : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والقطام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن بَره .

(٢) من : عطف على ابن منجبة . والدوام : يروى الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الحيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ملبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أوكرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المرودة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالفراغ هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة الفراغ اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب فى اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ^(١)
يَرُوعُ رَكَاةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذِرِي أَشِيخُ أَمْ غُلَامٌ^(٢)
وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأُمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ^(٣)
وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ^(٤)
أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيْادٍ هِيَ الْأَطَوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ^(٥)

كان غراما . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهى مع هذا تملذه كالمشوق لتبذل مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يمدبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هوىها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون لىلى العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق لىلى قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يفرع ويخيف : والركاة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتیان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويورى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته واتقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحجة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا أخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار . وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخير وما كلُّ العطاء زين
وليسَ بعار لأمرىء بَذْلُ وجهه إليك كما بفضُّ السؤال يشين
وكقول البحتري :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي - لَوْلَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عُدَّ الْكَرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَا الْأَنْوَاءِ حِينَ تَعُدُّ عَامٌ^(١)
تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمة وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّفَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمَطْوِقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَمَلَكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة المدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشمل جميع العام . ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير في « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استدرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القريعى » :

نُعْرَضُ لِلْسَيْفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وروى :

* تَقِي جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . والمراد بما في ذراهم : السيوف لأنها تقلد في أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَتَمَنَّهُمْ فِي الْخَشْرِ تَجِدُو لَأَعْطَوَكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا^(١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ^(٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجَفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ الْقَوَامُ^(٣)

(١) يمتنهم : قصدتهم . وتجِدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حق لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه سالانهم وصيامهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَمِزْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مَنْ غَيْرَ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَوَأَسَاهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التاهية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّيَ لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلاء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف في العدو - الجرى - ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حليم ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتلم إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك - وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فينتقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فسادك ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم - الذي وقعت فيه الحلة فتقبت وأفسدته - فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَذَابِفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكَلَّلَات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كالليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصْرُهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَاءً وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرُكَ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكللة^(١) *

والشرر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوأم : جمع التوأم - طى غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب التدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعين مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، وبنا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يظلم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول العطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَجْرَحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدحوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك غفرا ، وقد أخرج حرف العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما طى
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تَصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامٌ^(١)
إِذَا مَا الْعَالَمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا أَفِئْدَانَا أَيُّهَا الْحَبِيزُ الْإِمَامُ^(٢)

محذوف ضمير الشأن . والضم : الحرمة والعهد . يقول : متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك ويشارك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجبا عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبرة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رغبته، وأنت لا ترضى أن نقول هولاك وتدعوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أي فلن هذا المال ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، خذف للدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، وروى فبرى - بالياء - أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه . والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود عديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد العجل الذى يبيع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراه واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .
أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونَا

والحبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الحبر والحبر واحد أحباب اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تعبير الكلام : أى تحسينه . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا بِهَذَا يُفْلِمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُفْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتمهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدأت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجهمة غابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَبَضَحَكَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غُطَارْفَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمِعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَنَهُمُ الْوَاشِينَ وَالْدَّمْعُ مِنْهُمْ (١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ بَيْكُمُ (٢)
وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولًا نَظَلَّتْ أُنْبُكِي وَتَنَسِيمُ (٣)
فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّقًا يَتَسَكَّمُ (٤)
ظَلَمْتُ كَمَتْنِيهَا لِيَصَبَّ كَغَضْرُهَا ضَعِيفُ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَنَظَّمُ (٥)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، وتهم الوشا بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهم بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكنم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك في جفحك كيف تقدر على كتمانك ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلمت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلمت أنبكي من الوجد ، وهى تضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والخصر : ما فوقهما . وتنظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تخلصها ، وجعل ظمها إياه بتشكيله مالا يطبق حمله كظلم متنها لخصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والخصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر من اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُمِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهِ يُمِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ^(٣)
 فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَارِئًا خَالِيًا
 وَلَكِنْ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ^(١)

منها ممتلىء يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صَبَا كَثِيبَا يَتَشَكَّى الْهَوَى كَمَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
 (١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو تسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك للنهار ليلاً بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْنَمَا تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَمَرِهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَ جَنْلٌ أَسْحَمُ
 فَكَانَتْهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
 « جنل : كشف . وأسعم : أسود » وقول أبي تمام :

بَيْنَمَا تَبْدُو فِي الظَّلامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلَمُ
 « تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
 فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
 نَضَاضُوهَا صَبْغَ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِيَهْجَتْهَا ثَوْبُ الظَّلامِ الْجَزْعُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى الْأَخْلَامُ نَائِمٌ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا للتأخيرين منهم ، وقد جعل الهوى قلوبنا نحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع في الشيء : أن يكون فيه لوان مختلفان »

(٢) العرمم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وترك ديارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فبها ، لارم له لا يفارقه .

أَنَافِ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهْدَمٌ^(١)
 بَلَلْتُ بِهَا رُذْنِي وَالْفَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عِبْرَتِي دَمٌ^(٢)
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي الْخَلْدِ مِنْ دَمِي
 لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا بِسِيلٍ قَاسَمٌ^(٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والآنافى : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفمولة من ثبيت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : مابقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقنها وأرت فيها كما أحرق الشوق والحب قلبى ، وكأ أن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبرا : إذا حزن ، وامرأة عابر وعبرى وعبرة : حزينة . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يقول لى النهدي هل أنت مرد فى وكيف ردافُ القرأ أمك عابر
 يذكركنى بالرحم بينى وبينه وقد كان فى نهدي وجرم تدابر
 نجوت نجاه لم ير الناس مثله كأنى عقاب عند تيمن كاسر^(١)
 والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطر كأنه يساعدنى فى البكاء ولكن دمه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دمأ ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهماله .

(١) عابر : ناكل ؛ وتدابر . تقاطع ، والنهدي : رجل من بنى نهدي يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغُمُضَ تَطْعَمُ^(١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ^(٢)
 مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُورًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتِمُّ^(٣)
 وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمٌ^(٤)

(١) المجععة : الرقعة . وقوله بعدنا . أى - أبعدها بهمزة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتمام بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينام ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتمام بعد مفارقتنا ؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية الممدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يهود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملنى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفاً من مفارقه أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على الممدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتنبى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ولا بخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنوم ممكنٌ : غرَّ غيرى لا تُنمَّه فلست بالمستهام

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذله ، والتميم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا نتيمة وتامته تيمه تيماً فهو تميم بالنساء ، وتميم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارمة :

تامت فؤادك لو يخرُجُ نك ما صنعت إحدَى نساء بني ذهل بن شيبان

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو الحب إلى محبوبه .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْتَقِصُهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَنَبَخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ (١)
يَحْلُلُ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكَفُّ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مُحْذَمٌ (٢)
وَلَا جَرْحُهُ يَوْسَى وَلَا غَوْرُهُ يُرَى وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلِمُ (٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ (٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه ونقصناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمحذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت العليل آسوه أسوا - والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى رأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حدة زيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا الكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى محذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتل وي زيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى ناف فى اللفظ والمعنى جميعا . قال :

الأتى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا الذى نقضه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَحُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبَرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَلِيَّاهُ تَخْدُمُ^(١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي
أَنْتَى أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا^(٢)
(١) الرمح : الرفى بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال ، وذلك إذا كان يطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القميف العقيلي :

يَقُولُ لِي الْمَفْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بِمَكَّةَ يَرْزَحْنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا
« المهدبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار : المتكبر الذى لا يرى لأحد عليه حقا ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبروة والجبروة مثل الفروجة ، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدى يعاتب رجلا كان واليا على أصاح ؛
فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطَّرِ
« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو فى العدد كالحصى وللتغطرف ؛ المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته وغمامة قدره متواضع لاتزدهيه المراتب هميا واختيالا ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون فى طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :
مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا
هُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ
جَهْلًا عَلَى وَجْهِنا عَنْ عَدُوِّهِمْ
وَيَقُولُونَ أَدْنَتْ لَهُ : أَى سَمِعَتْ لَهُ .
عَهْدٌ وَلَيْسَ لَهُمْ دِينَ إِذَا اتَّعَمُوا
عَنِ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
وَمِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
لِبُئْسَ اتَّخَلَّتَانِ : الْجَهْلُ وَالْجَبْنُ

وَلَا يَشْتَهَى يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَاتُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ^(١)
 أَلَدُّهُ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِأَلْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرِ بَقَاءُهُ مُعْدِمُ^(٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عُنُقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ^(٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْإِيَادَى إِيَادِيَا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُنْجِمُ^(٤)
 سَنِيَّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يُهْوَمُ^(٥)

(١) ولا يشتهى يبقى؛ يريد أن يبقى خذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الحمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جني ؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئا يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يخرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الإيادى ؛ النعم ؛ وإياديا ؛ تميز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل ؛ المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأنجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الإيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تابعا من قطر المطر حين يكون كثيرا دائما المظللان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الحسة تقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للإنسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجُذِبْهُ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرَاهِمٌ^(١)
وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لَا تَرَفِيهِ بِأَسْهُ وَالْحَكْرُمُ^(٢)
يُرْوَى بِكَالْفَرَصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَعْمَادِ تَنْفَى فِتْنَتُهُ^(٣)
إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُجُودَهُ
مُذُ الْغَزْوُ سَارَ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمَّ^(٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أمجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكيهه ويسر بهما ، فلو كان مايسر الإنسان يضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومرية . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فعليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أي بدم مثل الفرصاد في حمرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتأوى : السيف التي تفارق أغمادها ، جعلها يتأوى لأنها فارت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنفض : تسلك . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سبوحاً قد فارت أغمادها فصارت مثل اليتأوى . وتلك السيف تيتم أولاد من يقتله بها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جني : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو ، لحذف المضاف وقال الإمام التبرزي ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « في » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أي في اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هو سار — يعني المدحج — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله في قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس في هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه (١٤ — الثاني ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن المعنى ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، وكان بودن أن تنبسط في هذا الموضع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبني أن نعيد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح للتبني ليس غير ، لا نعدوه ، ونحسبنا شرح الشواهد التي أوردوها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للتبني وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما لحذفت المحزمة ووصلت « من » بالذال ، وضمت الليم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الليم - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيته « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تعليلاً لـ « من » ، والرفع بهما أجود ، لحذف نون « من » منها تعليلاً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منيد » وفي تكثيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكثير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفْرَتُ وَذُو طَوَيْتُ^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العثراء من فزارة في ماء وهم غلظون متجاورون ، والآيات .

وَقَالُوا قَدْ جُنْتُ فَقُلْتُ كَلًّا وَرَبِّي مَا جُنْتُ وَمَا انْتَشَبْتُ
وَلَكِنِّي ظَلِمْتُ فَكِدْتُ أَنْبَكِي مِنَ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ
فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي « الْبَيْت »
وَقَبْلَكَ رَبِّ خَصِمٌ قَدْ تَمَّالَوْا عَلَى مَا هَلَمْتُ وَلَا دَعَوْتُ
وَلَكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَآلَةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقُ بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَذْهَمُ^(١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كَيْتِيَّةٍ تُسَافِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ^(٢)
وَمِنْ عَاتِقٍ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ أَسِيلَةً خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتَلَطَمُ^(٣)
صُفُوفًا لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ^(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره - وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يفتحوا الضم بالضم .

(١) النقع : الغبار ، والأبلق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه - يريد سواد الغبار ولعان السيوف - والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ « يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والسكتية : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحتف : الهلاك يقول : يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكلم من كتيبة للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حثفها (٣) العاتق : الشابة البكر . ونصرانية أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخدا سبل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها - لأنها سبيت - فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا : أى برزت صفوفا ، لأن عاتق - ههنا - فى معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والمتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الحيل للسنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى اتق لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع اللوصولات ولا يتغير لفظها . وتماثوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتقصبوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما ناديت أحداً ولا استصرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء فى الحوض .

تَغِيْبُ الْمَلَايَا عَنْهُمْ وَفَوَغَائِبُ
أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ عَنْ تَفُكِهِ عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالُ تَقْسَمُ^(١)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العواثق صفوا لهذا المدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يغزم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجذك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أتجد جذك ومعناه ؛ أجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكه ، وجملة « عان تفكه » خبر « تفك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي : لا يجوز وحجة . الكوفيون إذا كان سطره متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم « دمو » بدليل قول بعض العرب فى ثنيتة « دموان » وقيل أصله « دى » قال الشاعر .

فلو أننا على جُحْرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ^(١)

(١) قبله ؛

لممرك إننى وأبا زباح على حال التكاشر منذ حين

ليبفضنى وأبفضه وأيضا يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعى ونسبها لعل بن بدال

ابن سليم . والتكاشر : يروى التجاور ، والتكاشر الباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي بدمه ودمه يسرة قال المتلس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤَدِّي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْقَمُ^(١)
 عَلَى مَهْلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرَحِّمُ^(٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُفْحَمٌ وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرَمُ^(٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنْ بَحْرٍ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمُمُ^(٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كريد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لا نظير له ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الخفة . قوله : ومال تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينة للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والقم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسولك بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الشانى ؛ المنفض ، وأصله الهمز ، ولكن لينة للضرورة . وللغم ؛ الساكت القى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخلط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جعر لعم من الشجاع منا من الجبان يجرى دمه وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَىَ الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفرايس من أرض قنشرين فسمع زئير الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَايسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانٌ فَمُسْلِمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي هَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَيْشَةِ أَغْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَقْنَمِينَ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غبرك من الملوك مع إمكان قصدك حملي على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر والملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لَيْسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
هذا ؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول : زرتك بزيد ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إليك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن ماله لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم
(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفرايس موضع بالشام . وقوله : فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .
(٤) الحلق : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب الميشة والتصرف في كسب الرزق ؟ وهذا كالتغيب لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

وقال في لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلْتُ فِي مَشِيئَةِ قَدَمَا وَلَا أَشْتَكْتُ مِنْ دَوَارِهَا أَلَمًا^(١)
لَمْ أَرْ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهَا يَفْعَلُ أَفْعَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تُلَمُّهَا عَلَى تَوَاقِعِهِمْ أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَيْتُكَ مُبْتَسِمًا^(٢)

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبي الحسين على بن أحمد المرى
الخراساني ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال يمدحه :

لَا أَفْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ^(٣)

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكنتم عندك المال ، مما تمنينه أنت من الصيد ،
وأكسبه أنا من المال والفضيلة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما في مشيتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة في
تحركها ، ولا يأخذها في دورانها دوار فتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « في
مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعا : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جني : هذا البيت يناقض الأول ،
لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام المدوح ، وليس
بمريب في صناعة الشعر لأنه مبنى على الحال .

(٣) يقول : لا غر إلا لمن لا يظلم ، لاستنائه وقوته على دفع الظلم ، وهو إمامدرك
ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول
لا افتخار - بفتح الراء - كما يقال : لا رجل في الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفي « لا »
إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل في الدار ولا امرأة ، ولكنه أجاز به غير
عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهِمْ فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ^(١)

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل
وفرساتها وشعراتها في الجاهلية وأول القصيدة :

يَا بُؤْسَ لِلْجَرْبِ الَّتِي وَضَعْتُ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاخُوا

وبعد البيت :

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هُمَا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْجِسَامُ^(٢)
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِعَيْشٍ رَبٌّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ^(٣)

وجمل « من » فكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
الإنسان فيه ، إذ العزم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يدع مهمة ما حال الظلام دون طلبه ،
لأن ذا المهمة لا يحوقه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ،
وإلا كان حسداً . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الدليل
فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
قول الحكميم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هَما خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخُرِّ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِها التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا براح » حال مؤكدة لقوله
أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح مصدر . برج الشيء من
باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيُومِي ضَيْقُ الْجَمْرِ مُعَوَّرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى يَفْزِرَ أَفْتِدَارِ حُجَّةٌ لَأَجَى، إِلَيْهَا اللُّثَامُ^(١)
 مَن يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِلْمَرْجِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٢)
 ضَاقَ ذُرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ دَرْ عَازِمَانِي وَأَسْتَكْرَمَتْنِي الْكِرَامُ^(٣)

(أراد خطتان ، غذف النون ، طلباً للاحقة)

(١) اللثم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
 إِنْ مِنَ الْحِلْمِ ذُلٌّ أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
 (٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موحى بن جابر الحنفى — شاعر إسلامى أدرك بنى أمية — .

إذا ما علا المرء رَامَ الْمُلَا ويقنع بالدونِ من كان دوناً
 وأين هذا من ذاك ؟

(٣) زمانى ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإثما

هُمَا خَطَا « البيت »
 وبعده :

وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جُوجُوْ غَيْلُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
 نَخَالِطُ سَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 فَأَبَتْ إِلَى فَهْمِهِ وَلَمْ أَكْ أَبْيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقَتْهَا وَفَى تَصْفِيرُ

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى على ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو نقتلك ، فكره أن يستأسر وصحب مامعه من السسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فعكى الحسابة في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللموت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصِ قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَخْمَصِ الْأَنَامِ^(١)
 أَقْرَارًا أَلَدَّ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنَى وَظْلِي يُرَامِ^(٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَازُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ^(٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْقُبَارِ إِذَا سَا رَ عَلَيَّ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَنَقَامِ^(٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَهَذَّبُ الْأَصِيدُ الضَّرَبُ بَالِدٌ كَيْ الْجَفْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ^(٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعا — في قولهم — ضاق به
 ذرعا — نصبوه ، لأنه خرج مفسرا محولا ، لأنه كان ؛ في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛
 فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسرا ، ومثله ؛ طبت به نفسا وقررت به عينا .
 يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعا
 وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتى الكرام . أى وجدنى الكرام
 كريما صبوراً على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت
 كريما فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت
 السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت
 أخمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه . يعنى أنه وإن بلغ
 هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة
 ابن جني . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ،
 والأَنَامُ وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤، ٣، ٢) الهزمة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام
 المطلب ، وبشرى يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق المعجمى ، والقنا الرماح
 والشام : الشام ، وأصله الهزمة ، والقنقام السيد ، يقول ، لا أستلذ « قرار فوق شرار
 النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبنى مطلباً مادام ظلى يرام ويطلب ، كأنه
 يقول . لا أبنى مراماً بالم أدفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصّة بالرياح كما
 يخص الجو بالغبار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت
 لآبائه — المتنبى — « فاعتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها وهذان حماقته المروفة
 ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّبُ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا ۖ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْغَمَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَغْدَانِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَنْفِهِ رَأْتُهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقليل
فلان جعد الدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من
الثرى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو
سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو
سراوة : أى صار سرياً ورجل سرى : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة
اسم للجمع ، وليس يجمع عند سيويه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :

تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فليل
على فصلة . والهام الذى ينفذ ما يهيم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع
أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء
إلا ما يريد ولا يصيب أحداً إلا بإذنه ، وقد تخرق في الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى
صار الغمام - السحاب - حاسداً لهما لقصوره عنهما في البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجوداً ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ،
يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال براء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة
المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلاً ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى
هو الإكثار .

(٣) السوام ، اللاشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو
في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعى لأنه ينحر إليه للأضياف فهى
تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبٍ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَفِيضٍ إِلَى الْكُومَاءِ^(١) وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ

لَوْ حَيَّ سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لَحَمَاكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَاسِعٍ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ^(٣)

فقوله في عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد في الدار أحسن منك . قال ابن جني ، ويمكن أن يكون « في عيون أعدائه » ظرفا لحسن ، فالعنى هو في عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسنا في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رآته الإبل لأنه يذبحها للأضياف فهي تكرههم ؟ جوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسنا وقبيحا ، وفي الأول قبيحا لاغير (١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيئا . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محميا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يقدونك بنفوسهم من الموت لوقبل انتفاء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم بها بونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » - في البيت السابق - أى ولحماك سيفوف عوار - مجردة - من الأغماد ، دينها استحلال قتل النفوس ، فهي لا تخرج من شئ ، ولكن زيتها الإحرام أى العرى كالحرم فى الحج ، فإنه يكون عاريا من الثياب .

(٣) يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله - وهو افتتاح الكلام - ثم قيس - وهى قبيلة الممدوح - ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم - بالرفع - أجرى « الباء » ك بعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا والله لا يُبْلَى لِي مَا بِي وَلَا لِلْمَيَابِيتِ أَبْدَأُ شِفَاءً^(١)

(١) لاسم بن معبد الوالى ، غاصر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكت إبلى وحق لها البكاء وفرقت المظالم والمدا

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلما كان غالبا ، فكتبت إليه المصدق - أى عامل الزكاة - وكان رقيق الوالى عريفا فظن مسلم أن رقيقا هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيق ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزنة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية .

أَتَمَّا مُرَّةُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ^(١)
لَيْلَهَا صُبْحُهَا مِنَ الدَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامُ^(٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَفْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ الْفَا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالخفض - خفضه بالباء وأدّاد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرات : كل قبيل انضموا فصاروا جملاً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حالفت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعبس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخعي :

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كِرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نَعِيمٌ وَعَبْسٌ يُبْقَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَةٌ قَوْمٌ بِأَسْمِهِمْ غَيْرُ كَاذِبٍ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وعدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات هب - والنعام تشتهي جمرات النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذ الحبيب يبيّن فقال :

نَفَى وَاضِحَ الشَّرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ مَحَا جَعَتْ قَسَطِلِ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل النعام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ما جاء ليل النعام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن المعنى تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَّغْتَكُمْ رُبَّاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا انْتَبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْإِقْدَامُ^(١)
وَقُلُوبٌ مُوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّوْ عَ كَانَ أَفْتَحَاهُمَا أُسْتِسْلَامُ^(٢)
فَانْدُو كُلُّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ قَذَرَاهَا الْأَسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ^(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرَّهْمِ كَمَا مَرَّ بِنَا آتٍ نُطْقُهُ التَّمَنُّامُ^(٤)
طَالَ غَشْيَانُكَ الْكَرَاهَةِ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْخُسَامُ^(٥)

(١) الانبراء التبرع للشيء ، ونقد الشيء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذاها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقي هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كثير :

فَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبطاشهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراها : هزلها وأنحلها . وأراد براها : أى الشطبة والحصان ، فاكنتى بضمير الأول ، كافى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخيل ؛ والتمنام ، الذى يتردد لسانه بالثناء . يقول : إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتام بالثناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرَاهَةُ : جمع الكَرْهَةِ ، والكَرْهَةُ من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَنْتَكَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَنْتَكَ الصَّفَائِحَ الْأَقْلَامُ^(١)
وَكَفَنْتَكَ التَّجَارِبُ الْفِكَرَ حَتَّى قَدْ كَفَاكَ التَّجَارِبُ الْإِلَهَامُ^(٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُبْلَامُ^(٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِقَفْرِهِ إِنْغَامُ^(٤)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّمُوسُ وَلَكِنْ فَضَلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامُ^(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجل ذلك الانتلال كالقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتاج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتاج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد ما لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفت ما حق لا تحتاج إلى التفكير فيها ، ثم صار الصواب بدينتك حتى صرت لا نلهم سواء ، فكفاك إلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحري .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا
وَيَوْذُ الْأَعْدَاءِ لَوْ تَضَعُ الْجِدْ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْآرَاءَ

(٣) البراز . المبارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك نفراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أي دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرؤوس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَزْدِحَامٍ وَلِلْعَطَايَا أَزْدِحَامٍ^(١)
خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي بَيْتِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْبِ ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجُهَامِ^(٤)
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَكَ بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفتيام التي حوله لتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيباته . وهذا
إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
وهذا كقول البحتری :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِكَ عُدْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرِ
(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلتمام : الزيارة .
يقول : من إصابة الرعد أفي لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسحب : العطاء ، والجهم : السحاب
الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
فيه - أما ما يكون فيه الماء فإنه يكون ثقیل الشيء :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
- للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك
واتظام كلامك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيتك عن المرور
بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أُنَامٌ^(١)
لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٢)
كَمْ حَبِيبٌ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ الثَّقَى لَوَامٌ^(٣)
رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَتَذَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ^(٤)
إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَذَا لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامٌ^(٥)

(١) الأنام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلق أُنَامَا » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سبيلا إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصمة الله إياك .

(٢) الدنيا . النقاىس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالاك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنيا ؛ أما عليك شيء محرم تتق عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له ، فلا يتبها له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يغشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على المهلاك وكل شيء ، لا يتفكر فى عاقبة شيء إلا ما كان من دينية أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى المهلاك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجزة ابن جنى — الذى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى توى الدنيا صار كأنه لأحرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شيء سوى الدنيا ، فكأنه لم يحرم عليه شيء .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، اسكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقمت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأ كد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وباعدك عن الأنام رفعا قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القريض . الشعر ، من قرض الشعر . إذا قطعة ، كأن للمرء يقطعه من فكره ،

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ^(١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمة تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^(٢) (١)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . الفصص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله للمندر حين أراد قتله في يوم يؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قتله والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب المعلى بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أَمْ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدَ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكناً من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكمة » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراءة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصابه . والبطش : الأخذ بغبلة وقوة . يقول : لا أحداثاً . الحوادث السارة ولا أذى الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها . وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس له ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة وعجازاً .

- (٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَمَا أَرَمَى (١)
 (٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
 (٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا وَأَهْوَى لِمِثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هو أبدى : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أرمى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذَى زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادٍ
 وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلُهَا تُكْرِى
 « قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و« من » - من مفجوعة - : زائدة ، ومفجوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التى شربت بها : كأس الموت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وحبه التراب : يجوز أن يكون حبا لادفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كنوس وأكؤس . والكأس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجية ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قذح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » . بيضاء لثة للشاربين « وقال ية ابن أبي الصلت :

مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِي قَلِيلًا فَاَلْمُوتُ لَأَحِقُّهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كَلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدِمًا^(١)
وَلَوْ قَتَلَ أَهْلُهَا أَلْمَحِينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

يُوشِكُ مِنْ قَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُوَأْفِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالرَّهْ ذَاؤُهَا^(١)
(١) الشكل : القعد . وقدا : قديما . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها
خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل
واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول نظر إلى بيت
الحجامة :

فِيهِ كِيٌّ إِنْ نَأَوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
كما قتلها هجرى أقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
وقد نفى في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلْلَكُمْ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتْلَكُمْ

(١) قال ابن بري : عبطة : أي شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أي موت
عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أي ذا عبطة وذاهرم
فحذف المضاف أيضا ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ حَبِّهِ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الذَّاقِ
تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِأَشْيَا
فِيهِ كِيٌّ [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَاسُلِ وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

(٧) عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
فَلَمَّا دَهَنَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(١)
(٨) مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغْذِي وَتَرْوِي أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٢)
(٩) أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا غَمًّا^(٣)
(١٠) حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٤)

(١) بقول : كنت عالماً بالليالي وتفريقها بين الأجابة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهنتني هذه المصيبة لم تزدني بها علماً ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتُنِي زَعْمَ— وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمرئية : يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتتفع غيرها ، ثم جعل للصراع الثاني تفسيراً للصراع الأول فقال : غذاؤها وريها في أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وريها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » ليالي والأحداث : يعني أن منافع الليالي في مضره غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وريها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ريها وشبعها في جوعنا وظمئنا قال : ويروى : نجوع ونظمأ ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالي ، والمعنى غذاؤها وريها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا تروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها في ضر غيرها .

(٣) الترحه : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزنى عليها فكأنى مت بها غما ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإننى بعد موتها بالسرور أعدده مما فأتجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِي وَلَفِطَى كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرَبَةَ عُضْمًا^(١)
وَتَلْتَمِسُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأُنْيَابَهَا سَحْمًا^(٢)
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُجِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى^(٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا اللَّيَالِيَ وَالنَّجْمَ أَشَدَّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا^(٤)

(١١)

(١٢)

(١٣)

(١٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « بحروف »
للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه
بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من
كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه
تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكرثت النظر شغفاً به
لاعجباً حقيقياً ، قال ابن جني : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب
الأعصم .

(٢) المهاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه
على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداده - جبره - هذا :
ويقال لثم فاها - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة -
وقيل لجليل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى لَا نَبْهَنُ الْحَيَّ إِنَّمَا نَخْرُجُ
نَفْرَجْتُ خَيْفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تُخْرَجْ
فَلْتَمَسْتُ فَاهَا آخِذَا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفُ بِيْرِدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(١)

(٢) رقا الدمع والدم : انقطع ، فأصله الحمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول :
لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وصليت
عنى بعدما أدمى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عنى إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

(١) النزيف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على المصدر المشبه
به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب النزيف للماء
البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز
صغير لطيف .

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدَّرَضِيَّتْ بِي لَوَرَضِيْتُ بِهَا قِسْمًا^(١)
 فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمًا^(٢)
 وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
 فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

طى ، ولكن الذى أذهب ذلك السم كان أهد عليها من السم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
 مِن الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ

ومثله له :

أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ فَاقِرَةٌ نَجَّتْكَ مِنْ فَاقِرَةٍ^(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتنى هى بموتها وفاتتنى ذلك الحظ لأننى لم أدركه وكانت قد رضيت بى حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظا لى

(٢) استسقى : طلب السقى ، والغمام : السحاب . والوغى : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقى السحاب قبراها فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب فى الدعاء للقبور بسقى السماء - يعنى تركت الحرب وجدأ بها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وَبَرَّغْنِي أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الْوَدَّ وَأُهْدِي إِلَيْكَ صَوْبَ الْغَمَامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعنى أن موتها أعظم من فراقها .

هَيِّنِي أَخَذْتُ النَّارَ فَيْكِ مِنَ الْعِدَا

(١٨)

فَكَيْفَ بِأَخْذِ النَّارِ فَيْكِ مِنَ الْخَمِي

وَمَا أُنْسَدَتْ الدُّنْيَا عَلَى إِيضِيهِمَا وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى

(١٩)

قَوًّا أَسَفًا أَنْ لَا أَكِبُّ مُقَبَّلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ اللَّذِي مُلْنَا حَزَمًا

(٢٠)

(١) يقول : اجعليني واحسيني بمنزلة من أخذ نارك من الأعداء لو قتلك فكيف أخذ نارك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عَنْكَ الْمَوْتَ يَا حَزَرَ إِذْ أَنَى رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ سَيُوفٌ قَوَاضِبٌ^(١)
وأحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لَوْ كُنْتُ تُمْنَعُ خَاضَ نَحْوُكَ فِتْنَةً مِنَّا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ^(٢)
(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « قوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . واللذى : أراد اللذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لفة فى تنبيه « اللذ » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنَى كَلْبِيبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٣)
وقول الأشهب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم مُمُّ القومُ كلُّ القومِ يا أم خالدٍ^(٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ماعرض من الحديد وحدد ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنص عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

هو ساعدُ الدهر الذى يُتَقَى به وماضِرٌ كَف لا ينوء بساعد
وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أَلَا قِي رُوحِكَ الطَّيِّبَ الَّذِي (٢١)
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
لَكُنْ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا (٢٣)
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَنْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

كَأَنَّ ذَكَرِي الْمُسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمًا (١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا (٢)
فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا (٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِنَالِقِهِ حُكْمًا (٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَتِهِ طَفْمًا (٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى (٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملثا حزامه وعقلا . يتأسف لغيته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعم شئ إلا طعم المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شئ أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شئ أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِيمَا^(١)
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْقَارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا^(٢)
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْفَشْمَا^(٣)
وَجَاءَهُ يَوْمَ الْقَلَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدُ الْبَطْلُ الْقَرْمَا^(٤)
إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ فَأَبْعُدْ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا^(٥)

(٢٧)

(٢٨)

(٢٩)

(٣٠)

(٣١)

(١) اليتما : مفعول لجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يغيضونى .
(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدونى :

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنَعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ
وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم فى كل حال ؛ يعنى أظلم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم فى الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعد للفعلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيى أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وخیلٍ قد دَلَّتْ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ^(١)

(٥) قل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وقل السيف : ثلثه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالخيلى : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا

مشى مشيا لنا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجه ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنِ قَوْمٌ كَانَ نَفُوسًا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ^(١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا^(٢)
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَ^(٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فصار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء : مبتدأ، خبره : يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يمكن لدى طالبه عزم : يعني لا يدرك شيء ألبته إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فأعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستنكاف من الشيء . يقول : إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكان نفوسنا ترى السكينة في أجسادهم لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ القية ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهة : جمع كراهية ، فصلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فليست بأبلى بك؛ ويانفس زیدی قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كراهيها — أى فى كراه أهلها — يعنى زیدی قدما فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول : لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتي نفس تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَا أَيْمَى إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوْائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ ^(١)
 وَلَسِكُنْتِي بِمَا شُدِّهْتُ مُتِمِّمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَاتِمِ ^(٢)
 وَقَفْنَا كَأُنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ ^(٣)
 وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطَى تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلْتَمِ الْمَنَاسِمِ ^(٤)

(١) أنا لا أَيْمَى : أى أنا لائِمٌ نفسى إن كنت الح . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائِم : أى وقت لوم اللوائِم . وللعالِم أى معالم ديار الأُحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأُحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائِم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لا أَيْمَى : أى فأنا لائِمٌ نفسى فى قصور محبى ، لأن ثبات على وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائِم على فرط جزعى وبكاى علمت بما عرانى من ذلك فأنا لائِمٌ نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبء ، يذكر وقوفه فى ديار الأُحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهكت ستره ولم يعلم .

(٢) شدة الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : القدى تيمه الحب - أى عبده وذله - يقول : ولسكنى من فرط دهشك ذهلت عن إدراك ما خاضرنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكتمان ، وعبارة الواحدى : ولسكنى من فرط دهشى وذهولى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالسكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائِم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخنف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلىم - تقبيل - أخفانها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ الْهَوَايَ دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّائِمِ
حِسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مِشْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ الْفَوَائِمُ ^(٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدْنَ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالنَّاسِمِ ^(٣)
فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومَهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ ^(٤)

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّي أَنْ مَشَى فِيهِ الْخَلِيلُ

(١) القنا : الرماح . والتائم : جمع تيممة ، العودة . يقول : ديارهن منيعة لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرماح لا بالعود .

(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و« مسن » تبخرن . يقول : لعمري أبدانهن ورتقهن إذا مشين متبخرات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةٌ فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَاهَا
وفي مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْمَلَةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةً فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرٍ

« العارض : الخد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن نعورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكأن تراقيهن حليت بشعورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ الثَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَائِيَاها

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأراقم : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمنه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائبها وخطوبها ؛ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ ^(١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ ^(٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُوحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ ^(٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمَ بَأْسِمِ ^(٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل . هنا - تقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حملك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلاً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكميم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، وعبدك : فسبب صلاحهم التعدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذي كثر القتل عليه حتى امتزج بدماء للقتولين عليه . يعني أن تراحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى : من المحلم أن تراحم من يرحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي يراحم الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مَنْ قَلِبَ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموا ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا إنم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم » .

إِذَا صَلُّتُمْ لَمْ أَنْزِلْكُمْ مَصَالاً لِصَائِلٍ وَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ أَنْزِلْكُمْ مَقَالاً لِمَالٍ (١)
وَلَا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَتِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضُفِّ الْعَزَائِمِ (٢)
عَنِ الْمُقَتْنِي بَذَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَتُجْتَنِبُ الْبُخْلُ أَجَنَابَ الْحَارِمِ (٣)
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْغَنَائِمِ (٤)
وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُنْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ (٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فإذا صال أو قال أو في طي الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذي لا يجارى ولا يشق له غبار .
(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفيت لي القوافي - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضعت عزمي في قصد المدوح حتى يعوقني عنه ضعف عزمي : أى فلا أصل بقعودي عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كالسقوبة لى طي ذلك .

(٣) التلاد والتلید : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف .
يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التلاد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبرة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام ما يقتنيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبرة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلاداً له يهب التلاد ويجعل بذله تلاداً له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - بحذف إحدى التاءين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغنائم : السحائب ، وأراد بكبرها ثقالا : أن ماءها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا في مكان عفاة منه ، لأن عفاة منه في أمان من نواب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاة يغيرون على أمواله ويترقبون في نعماته ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلماذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنى ، وهى مدخرة لسكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثله .

وَذِي لَبِّ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمٍ^(١)
تَمَرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تَطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ^(٢)
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
واللجب : اختلاط الأصوات . والمثار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه :
المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر
يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « المثار » ، فإن الجيش الكثير ينير
ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الرب :

بِحَيْشٍ لِهَامٍ يَشْعَلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلًا
وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثِقَّةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقداً - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
معتاد ، فلم ينسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضيفة من شدة
غبارها أو من كثرة عقباته التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضوؤها إليه إلا من خلال
ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
التفصى من اللحم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفُّ عَمَّاوُهَا بَغِيرِ احْتِيَالٍ
رُبَّمَا تَكْرَهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ مَرَلُهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ
والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْتِ الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفَرُّ مِنَ الْبَنَانِ
يريد هنا أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
منافذ ضيقة فيقع مستديرا .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالتَّهَامِ^(٢)
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةٍ^(٣) ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاهِجِ^(٤)
وَطَعَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفَنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ^(٦)
حَمَتُهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
سُيُوفُ بَنِي طَفِيجِ بْنِ جُفٍّ الْقَمَاقِمِ^(٧)
هُمْ الْمُخْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوُغَى وَأَخْسَنُ مِنْهُمْ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٨)

(١) حافاته : جوانبه . والهوام : جمع هممة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من برق الأسلحة ولعائتها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لثقله ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخنق عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طعن : عطف على « ضرابا » . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « حمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطفج بن جف : جد المدوح — قال ابن جني : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطفج — في الأصل — بضم الفين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقاقم : جمع ققام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قاقم » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حامي على الأعداء فلا يهومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طفج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجلولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعددون

وَمَنْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ وَيَحْتَمِلُونَ الْفُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ^(١)
 حَيِّثُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَالِهِمْ أَقْلٌ حَيَاءٌ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ^(٢)
 وَلَوْلَا اخْتِفَارُ الْأَسَدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ^(٣)
 سَرَى النَّوْمُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ^(٤)
 إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُخْتَرِمُ الْعِدَا
 وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغَمِ الْمُرَاغِمِ^(٥)

في للكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الفرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حييون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلبثون لأقراهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِهِ حَيٌِّّ وَصَدُورُ الْقَنَا بِوَجْهِهِ وَقَاجٍ

(٣) قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنعة ، وهي للعروف . يقول: ذهب النوم عني في مسيرى إليه - المدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلا عما يقصده . هذا : ويقال : سرى ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلا ، بالألّف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النَّصِيرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتِ لَيْلِكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

(٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى - من أشكى الرجل : إذا

- كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّنْ زَادٍ قَادِمٍ^(١)
وَكَاذِبٌ سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمُرِي الْمُتَقَادِمِ^(٢)
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِي جَدُّهُ غَيْرُ هَانِمٍ^(٣)
بَلَى اللَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ وَأَجَلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ^(٤)
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ^(٥)

أزلت شكواه - والهمزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أراضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : اللغاضب ؛ والمراغمة : اللغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتعمد عليهم وعاداهم . يقول : لأنه بمن على الأسرى فيطلقهم من الإيسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - يذل - للمراغم : أى الذى راغمه وبنافضه .

(١) يقول : نقضت الناس لما بلغتته نقض القادِم حالة زاده لاستغفائه عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فها مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا المعنى مثل قول أبى فراس :

أَيَّامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمُرِي
(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم أنا نانى وعيد الأعداء « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجمله « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدهى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعهم فوقهم حتى يكون منهم مكان عمامهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون في ذلة وخوف كما بين ذلك في البيت التالى .

(٥) الفلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأتى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتاً يتجدد على مر الاخطات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ^(١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجلا :

حَيِّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَ أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجَلًّا مُنْظَمًا^(٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمًا^(٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر
أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْقَمَامُ^(٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود لجودته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا
تعريض بالذين ييارون المدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان
الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له
عليك ، وكأنك لم تقاوم من لم تقاومه فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك
محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت
لغلبة له .

(٢) الخطاب فى « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز « من »
زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع
خفض على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائدا على القسم ، لا للقسم .
(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من
شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَمَ .

(٤) هم : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والخبز أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ^(١)
فَطَقْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَقْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٢)
سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي صَفَائِحُ دَمْعِهَا مَاءُ الْجُسُومِ^(٣)
قَرَبْنِ النَّارِ نَمُّ نَشَانٍ فِيهَا كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النِّعَمِ^(٤)

(١) للغامرة : الدخول في المهلك ؛ والغمرات : الشدائد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الشديد الصعب ، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الأمور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » ؛ وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : سبكي حزناتى فرسى ومهري سيوف دمعا الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلها - قال الواحدى : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتنفى ، وقد أمنت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحب وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطما - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هى رواية ابن جنى وتروى قرين - من القرى - : ما يقرى به الضيف - أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحب قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للقرى - لاللقارى - فحس موجب القرى بأن جعل النشاء - للنشاء - للقارى .

- (١) وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ السُّكُومِ^(١)
 يَرَى الْجَبَانَ أَنَّهُ الْمَجْزَى عَقْلٌ^(٢) وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ^(٣)
 وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرءِ تُغْنِي^(٤) وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ^(٥)
 وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ^(٦)
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْمُلُومِ^(٧)

* * *

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخبث . والسكوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأيدى الصياقل جراح منها .
 (٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن اقتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
 (٣) تغني : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغني صاحبها وتكفيه مؤنة الحسف والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغني عن الشجاعة وهي تغني كيفما كانت فتستغني عن العقل ، ولكن إذا اجتماعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للعقول ، وهذا المعنى من قول أبي تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد : لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرح حين تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التي جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد استنباط العلم بمجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطلا كية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يحالسه ثلاثة نفر من بنى حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أنحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحدا إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوما ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلا ورجلا ، فأهجمهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى الثُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ^(١)
يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخْوِكَ ثُمَّ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ ^(٢)
يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ ^(٣)

قربعته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصفرُ الأبصارُ صُورَتَهُ والذَّئْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّفَرِ

(١) لهوى الثفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفاء واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظرا عرضا ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إِنْ الْحُبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبُ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

ثم قال : إني نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فعشقتها وكنت أظن أني أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب . ثم : هناك . ورنأ إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطررت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جني : يرميه بأخته وبالأبنة وم إشارة إلى المكان الذي يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضي : شيب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالأبنة وبأخته وهو يقول يرنو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنهما يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان في جماعة من نساء يداعبن ، فقلن له : ليتنا بناتك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عجب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال في أخرى :

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وكقوله أيضاً :

دِيَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَدَا يُحَفِّظَنَّ لَا بِالتَّمَامِ
وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ *

ثم قال لحبيته : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي ، ثم أراد البالغة في ذكر حسنهما فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي .

* تَحْشَى عَلَيْهَا أُمُّهَا أَبَاهَا *

وقال أبو تمام في مثل هذا :

بِأَبِي مَنْ إِذَا رَأَاهَا أَبُوهَا قَالَ حُبًّا : يَا لَيْتَ أَنَا بَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن المذل في جارية كان سميها بنته .

أَحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أَرَاهُ بَزِيدُ عَلَى مَحَبَّاتِ الْبَنَاتِ

أَرَانِي مِنْكَ أَهْوَى قَرَصَ خَدِّ وَرَشَفَا لِلنَّكَابَا وَاللَّثَاتِ

وَالصَّاقَا بَبْطُنٍ مِنْكَ بَطْنِي وَضَمًّا لِلْقُرُونِ الْوَارِدَاتِ

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَخْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْمَجُوسِ إِذَا التَّقِينَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : المجوس واليهود إنما عرفا على حد يهودى ويهود ومجوسى ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان فجريا فى كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلا كالحيين فى باب الصرف ، وأنشد :

أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا^(١)

(١) قال ابن برى : صدر البيت لامرؤ القيس ، وعجزه للتوأم اليشكرى . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض للناس بالشر - ينزع كل من قال إنه شاعر - فأتى قتادة بن التوأم اليشكرى وأخويه الحارث وأبشريح ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فإلظ أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا *

فقال ابن التوأم

* كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا *

فقال امرؤ القيس

* أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ *

فقال ابن التوأم

* إِذَا قُلْتُ قَدْ هَدَأَ اسْتَطَارَا *

فقال امرؤ القيس

* كَأَنَّ هَزْبَهُ بُورَاءَ غَيْبَ *

فقال ابن التوأم

* عِشَارُ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا *

رَاعَتِكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأُسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التي تروع الناظر ، ورواها ابن جني : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً تَنْعَى الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأُسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضاً ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنْفِي أَضَاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لِحَارَا *

فقال امرؤ القيس

* فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظَلِيماً *

فقال ابن التوأم

* وَلَمْ يَتْرُكْ بِجِلْمَتِهِمَا حِمَارَا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويبة ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أُرقت له : أى سهرت من أجله مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها فهي تسكر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله : وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير الطياء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظلياً به ولا حماراً إلا وهو هارب أو غريق . والجلبة ما استقبلت من الوادى إذا وافته . »

لَوْ كَانَ يُفَكِّنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَمُّ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَفْهَمُ (٢)
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْمَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة -- أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جارطى عاجلا فسترشباى فكأنه تلم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويعصم يحفظ . يقول : ليس بياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) نترم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى طى المرء أذهب جسم العظيم أسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الناصى قبل الأوان حتى يصير كالهمرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن الهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شِيتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحتري :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَنْهَلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن مكيال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عُقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ تَبَذُّوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَّى وَعَافٍ يَنْدَمُ^(١)
لَا يَخْذَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ^(٢)
لَا يَسْلُمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٣)
يُوْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ^(٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْعَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ
(١) نبذ الشيء : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛
وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة : الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم ، فمطلق من الإيسار ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن ميسره يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جني : الندم على كل حال غير مستحسن :
قال الحطيطي .

مَنْ يَقْعِلُ الْخَيْرَ لَا يَمْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(١)
(٢) يقول : لا تتخضع يكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه ، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيباً فلا يتعرض له ،
قاله ابن جني : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن
يتقدم عليهم ، قال العكبري : وهو منقول من كلام الحكيم : الصبر على مضض الرياسة
ينالك به شرف النفاسة .

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الحسبيس الحقير ؛ واللثام جمع لثيم ،
ضد الكريم . وضيم الفعلين الآخرين : للقليل يقول : إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينهما

« شوقي » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جني : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أي لا يعدم جزاء عليه
وجائز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .

الظلمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَعَلَّةٌ لَا يَظْلِمُ^(١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْفَلَعِ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليفة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فإنما تركه الظلم لمة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكميم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه - ابن كيفلغ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرط . ، ومعنى البيت من قول الفردق : وَأَنْخَتْ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارَكَةٌ طَرِيقُ مُعَمَّلُ
وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلٍ وَلْمُدْبِرِ
كَأَجِيرِ الْمَنْشَارِ يَعْتَوِرَانِهِ مُتَنَازِعِيهِ فِي فَلَيْجِ صَنْوَبِرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمَلِمُ بِسَاحَةِ إِنْ شِئْتُ فِي أَسْتِي فَأَتْنِي أَوْ فِي حَرِي
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خَلَقَتْ لَهُ فَمَلَقَ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبُرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَنْعَمِ الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرَنَيْنِ لِأَبِي الْإِسْمِ كَقَدِيرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَصَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يَوْتِرِ
مَا زَالَ دَيْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي حَتَّى بَدَأَ عِلْمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَرْنِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْهَمٍ رِيَّانٍ مِنْ مَاءِ الشَّبِيحَةِ أَعْجَبِ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سَكِينَةٍ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمِلْقَتَيْهَا خِضْرِمٌ ^(١)
وَأَرْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتَرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مَظْلُمٌ ^(٢)
وَعِثَاكَ مَسْئَلَةً وَطَبِشَكَ نَفْخَةً وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمٌ ^(٣)
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَثَرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ ^(٤)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيٍّ وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ ^(٥)
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَغْفَايِهِ تَحْتَ الْمُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ ^(٦)

عَبَلٍ إِذَا قَلَقَ النَّسَاءَ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْمَرِ

(١) السَّالِحُ : للواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة .
ويريد بميلته : الفرج والرحم : والحضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المني -
لكثرتة في رحمها - بالبحر .

(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكمك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص -
لأنه أعور قصير - وأصلك ذنء لثيم .

(٣) يقول : أنت مكذوب فيكون غناك في مسألة الناس ، وليس وراء طيشك حقيقة ،
وإنما ذلك نفخة نفخت فيك ، ورضاك أن ترى ذا فيشلة - ذكر - من عبد أو ممن مائل
العبد : وربك الذي تعبدته درهم يعني أنه بخيل .

(٤) للمناواة : للمعادة ، وأصله للمناواة ، لأنه من النوء وهو النهوض ؛ والسكر
جمع كمره ، وهي رأس الذكر ، يقول : لانعاد الرجال فإنك لا تقدر عليهم ولا لك بهم
طاقة : وإنما قدرتك وإقدامك على « أيور العبيد » يصفه بالأبنة .

(٥) العذل : اللوم ؛ ويرعوى : يكف ويقطع ، وعن غيه : فالنئ نقيض الرعد ،
ويروى : عن جهله .

(٦) الملوج : جمع عليج ، وهو في الأصل : حمار الوحش ، لاستعلاج خلقه وغلظه ،
ويقال للرجل القوى الضخم من كفار المعجم - غير العرب - عليج وهو المراد هنا .
يقول : يمشي القهقري حبا للاستدخال ، أي أن الملوج كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على
غير العادة ، فإن من عادة الركوب أن يمشي إلى قدام ، وهو بخلاف الركوب لأنه يلجم من
ورائه هذا : وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين
والرجلين ، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على اللغى على حد قول الأئمة :

أَرَى أَرْجُلًا مِنْهُمْ أَسِيْفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْعِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثنوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول :
فلان لغوب — أى أحق — جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكر فتذكر المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابهم : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبيه — كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه — » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقة ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّجْمُ^(٢)

جمع الترية واللبة بما حولها ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لأن المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الغضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدمها ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف أقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل — القيد — يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزید بن الصمق

انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوقَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرِمٌ^(١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبداً يحرك جفونه يستدغى العالج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفتح عن التحريك : هذا : وقال المبركى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقة وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق والمعنى ولذلك عملاً فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيْتُ لَا تَأْوِي وَلَا تُفَاشَا^(١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكن عى لا يفصح ، ولهذا جعله مشيراً ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لا معنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بهقهية القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر الطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بهقهية قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه عيثن بشيئين ، شبه حديثه بهقهية القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجزوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهماً ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلاً فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْلِي مُفَارَقَةً إِلَّا كَفَّ قَذَالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَنْتَعِمُ^(١)

وبلسانه درهما ، فشرد الظي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيبين بشيبين ، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيبين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن عجيبها معنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَةِ الْحَى إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَنَا هَذَا الْحَامُ لَنَا إِلَى حَامَتَيْنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
فَحَسَبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا ذَكَرْتَ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أي ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقلية يقلاه : لغة طى . ، والقلى : البغض . وقال ابن سیدم : قلتيه قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يفلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جني : قلاه وقلية ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قلتيه في الهجر قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى في البغض قلتيه — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر في الأمر وكن حكيما معنى ولا تقبل بمن سعى في إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصاب ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَامَتَيْهِ أَوْ نِصْفَهُ قَدْرِيهِ تَمَّ الْحَامُ مِيَةً
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبعضمايتها تكل للثائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبُ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ^(١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدُ مِنْهُ لِمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ^(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَ

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » المصدرية . و« ناطقا » نصب على الحال ، وأفضل المضاف إلى الفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و« أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتعقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تحقير المرئى ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكنا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد ؛ وإن جمعت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يحز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والمبتدأ محذوف ، والتقدير وهو يقسم لحذف هو ، وقال البلازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن مآراها . أحسن ما تكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا ، وفى جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنداً أحسن ما تكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : صاب من الحيات فيه سواد نوياض

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ ^(١)
 أُرْسِلَتْ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفَرَاهُ أَضِيقُ مِنْكَ مَاذَا أَرْغُمُ ^(٢)
 أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبُهَا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهِيَ فِيكَ تَكْرُمُ ^(٣)
 فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَلَشَدَّ مَا قَرَّبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ ^(٤)

وفاعل « يود » ضمير الدليل ، والعايد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الدليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الجلية أقرب إلى المصافاة من الدليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْوُدَّ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ الْمَوَاسِي ^(١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مبانة طبعه فتتفع - يريد لا تضر -
 وصدافته تدل على مناسبتها فتضر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

هَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَاقِعِ الْأَحَقِّ
 « الواقى : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتفاء الضرر والبيت مبني على الذى قبله : أى أن عداوة الدليل الذى يطوى كشهجه
 على البغض تظهر ما أضمر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يسارته العداوة ويترى بص
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سمعتها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الانجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالانجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بنى العباس على بنى أمية .

وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّغَاءَ لَمِنْ يُرَارَ قَيْنِمِ (١)
وَلَمِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِيَابِهِ تَذْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَكَ وَتُنْتَهَمِ (٢)
وَلَمِنْ يَهِينُ الْمَالُ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمِنْ يَجْرُ الْجَيْشُ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ (٣)
وَلَمِنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الْكُفَاةُ بِمَازِقِ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِ، الْمَعْلَمِ (٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان يرغب كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويديره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيقُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمِ (١)
« يدروننى : كيربغوننى ، ويقال فلان يرغبى أو يديرنى على أمر وعن أمر : أى يرادنى ويطلبه منى » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبى العشائر ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقلوه « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبى العشائر خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يرار » والأخذعان : عرقان في صفحتى العنق قد خفيا وبطنا ، ويقال لأقيمىن أخدعيك : أى لأذهبن كبرك . والوجء : اللكر والضرب ، ومراده بوجء أخدعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت بيباه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نَفَتَ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والمال مكرم يضمن بمثله ، فالضمير عائد على المال ، ولك أن ترجمه للمدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .
(٤) الكفاة . جمع كفى ، وهو البطل للشمئل بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والعلم : الذى وسم نفسه بسيماء الحرب . وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ النَّابِ مِمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندى كسالم والسلام ، قال ابن برى : هذا وهم قبيح - أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أَطْرَعَ الْقَنَاطَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَّى قَقْوَمَهَا بِأَنْعَرَ مِنْهُمْ^(١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفَوَادُ مُشِيعٌ وَالرُّمَحُ أَنْعَرُ وَالْحَسَامُ مَصَمَمٌ^(٢)
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةً وَقَعَالُ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أُعْجَمٌ^(٣)

واجتاز بيملك نخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَ هَسْكَرِ الْمُمَامَا وَلَمْ يَثْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُمَامَا^(١)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تننى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فتشفها بذلك ، يريد شدة طعنه وتناجه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقى هو والسكاة فى مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أبيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعجه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .
(٣) الفعّال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبه
كرمت أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أجم من أى جيل كان ، قال الراجز :
سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ^(١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ بِسَلْمٍ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقَّةِ صَوْتٍ مِثْلَهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَّةَ صَوْتٍ أُعْجَمَ

فإنه عنى بالأعجم : حمامة سمع صوتها .

(٤) الهمام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أجم وقوم أجم

وَصَارَ أَحَبُّ مَا نَهَيْدِي إِلَيْنَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَنَّ تَفْقُدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ تَذُمَّمْ أَبَادِيكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْفُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمَقَامِ^(٣)

يقول : زلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيمُ وليس الله شافِ هَيَامُهُ بِفِرَاءِ مَاغَى الْحَمَامِ وَانْجَدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا : داء يأخذ الإبل فتهم في الأرض لا ترحى ، يقال : ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صِبَابَتِي بِمَرَّةٍ كَانَتْ تَغْمَرَةً فَتَجَلَّتْ
وَأَنْتَى قَدْ أَبْلَتْ مِنْ دَنْفِهَا كَأَذْنَفْتِ هَيَامُ ثُمَّ اسْتَبَلَتْ^(٢)

(١) القلى : البغض ؛ ولغير قلى : احتباس جميل . يقول : قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري : الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بفضله بعضا . والأيدى : النعم . والجسام : العظام . يقول : لسنا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى : تتابعت ؛ والغمام : السحاب : وهذا تتمه لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثرت عليه المطرمل مقامه - إقامته - واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملك نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكره المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغمام ، وقال : المعنى ؛ إنما عفا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالمطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف : فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واعتقل : برا من مرضه

وكان مع أبى المشائر ليلا على انشرب ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرأ فقال :

أَعَنْ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوًا وَيَسْرِي كُلَّمَا شِئْتُ الْقَامَ (١)
وَلَكِنَّ الْقَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكَرَامَ (٢)

* * *

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرأ آدم فى شهر ربيع الآخر

سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمُتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ (٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلٍ إِذَا لَمْ أَجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَ (٤)
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الْغَيْمِ مَرَمِيًّا بِهَا كُلُّ نَحْرَمٍ (٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو : السير السهل . يقول : الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذنى ، وكذا الغمام لا يسرى بمشيئتي ؛ ويريد بالريح والغمام : المدحوح على تشبيهه بهما فى سرعة العطاء وكثرته . يعنى أن الذى يفعله ليس يفعله بإذنى ومشيتى إنما يفعله طبعا طبع عليه . كما بين فى البيت التالى .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها : خبره ؛ والتبجس : التفجير .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أى لى فراق ؛ وقال المكبرى : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أى حدث فراق . وأم : أى قصد ؛ ويمت : قصدت يقول - عند ارتحاله - : هذه الحالة التى أنا فيها فراق ، والذى أفارقه - يعنى سيف الدولة - غير مذموم - وهذا الفراق هو فى الوقت عينه قصد لإنسان آخر - يعنى كافورا - وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أى فيه ، يقول : لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لى

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والنحرم الطريق فى الجبل . يقول : هذا الفراق أو هذا الذى أذكره من أنقى والاحتفاظ بكرامتى سجيبة - طبيعة - نفسى التى هى أبداً خائفة من أن تظلم ويخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمى بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ عَلَيَّ وَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَنِيمِ^(١)
وَمَا رَجَبُهُ الْقُرْطُ الْمَلِيحُ مَكَائُهُ أَبْجَزَعُ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَنَّمِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَابِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعْتَمِمْ^(٣)
رَمَى وَاتَّقَى رَمِيهِ وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأُسْهُمِي^(٤)
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُلُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَفْتَاكُهُ مِنْ تَوْهُمِ^(٥)

(١) الشادن : ولد الغزال ؛ والضنيمن : الأسد . يقول : فكمن من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لا رتمالى عنهم ا قالباكي بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكي بأجفان الضنيمن : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنيمن : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحْدِثَ لِي نَ قَارِقَتُهُ نَدَمٌ

(٢) القرط : الذى يعلق فى شحمة الأذن . ومكائهُ : فاعل للمليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، وللصمم : الذى يطبق للفاصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الضربى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الضدر ، ولكنه من رجل فإذ أعذره . فكفى بالحبيب للفتح : عن المرأة ؛ وبالحبيب للمعم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أى سيف الدولة - ولم أهجه لحى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرمى ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالهجاء بالانتقام ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والعنى أن حبي إياه منعنى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمى وهو وراء جنة - ستره - من حبي منعنى من أن أرميه .

(٥) يعتاده : ينتابه ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم فى أحذية أسرع إلى تصديق ما توممه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبرة الواحدى : للسى يسى الظن ، لأنه لا يأمن من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، فكلمنا سمع من شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي يَشْهَدُ اللَّهُ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتُ قَاتِمَتِي

وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ هُدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ^(١)
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ^(٢)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلَّتْ عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ^(٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : الاتفاق بالجواهر قبل الاتفاق بالأجسام .

(٣) يقول : وأصنع عن خليلي علماً بأنني متى جازيته على سفيه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى واعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَزِيبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ^(١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلْتُ أَطْفَارًا يَلَا جَلَمَ^(٢)
بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُنْدِيهِ وَالْحِمَةُ تَقْوِي الْإِلَهَ وَمَالٌ يَرْعَى مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قُوَّتُهُ دُونِي مُؤْتَرَةً تَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتَمِ
إِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وَمَنْ رَوَى

وأحلم عن خلي وأعلم أتق متى أجْزَاهُ يوماً على الجهل أندم
يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق في شيء

(١) رجل نزيب : وذو نزيب : ذوشر ونميعة ؛ والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) القمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقي القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
وَأَهْوَى مِنْ الْفَتْيَانِ كُلِّ تَمَيِّذٍ
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
وَلَا عَفْةً فِي سَنَفِهِ وَسِنَانِهِ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
فِدَى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
جَزَيْتُ بِجُودِ الدَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ^(١)
تَجَبَّبَ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْقَوِّمِ^(٢)
بِهِ الْخَلِيلُ كَبَابَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ^(٣)
وَلَكِنَّهَا فِي الْكُفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ^(٤)
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ^(٥)
سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهَمِ^(٦)

(١) يقول : إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وباشاة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرج الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافته .

(٢) السמידع ، والسמידع ؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والتجيب . الفاضل الكريم - ضد اللثيم - والسهمري ؛ الرمح القوى الصلب وصدره ؛ مقدمه مما يلي السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسמידع . والعيس ؛ الإبل البيض والسكة ؛ الحملة في الحرب - من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب ؛ طعنته في السكة ؛ طعنه في السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له كيف طعنته في السبة ؛ هي حلقة الدبر - فقال إن رمحك قد سقط من يده فأكب ليأخذه فطعنته ، والنجيب الجليل من خمس فرق . والعرمرم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثير وأقطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماءهم ، وإنما عفته في كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفي فرجه لا يقرب الزنا ، وفي فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا يأكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه
(٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدم : الأسود . جعل الكرام

أَغْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّضَ وَرَاءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخُلُقٍ مُطَهَّمٍ^(١)
 إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَقَفْ وَقَفَّةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ^(٢)
 يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْمَذْرُؤُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ الْفَكْرُمِ^(٣)
 وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي^(٤)
 شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّفْعُ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ^(٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدم يتقدم تلك السوابق وهن يحجرين على آثره . يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى يأدم أغر ، فهو نعت لأدم ؛ وبمجد : متعلق بأغر ، وشخصن رفرن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . يقول : إن هذا الأدم أغر غير أن غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفه واحدة في مجلسه - وهو يتعاطى سياسة - الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقولوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة . وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضيف المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى المعجاء على معنى لم أر مثله فى خسته ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من يحنها على ورود المعركة ؛ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى : والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنفع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهواة ، وهى الأحمة المتندلية فى أقصى الخلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين . من باب التغليب . يقول : إذا سطع الغبار وثار حق وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْأَدَمِ (١)
 وَيَوْمًا يَنْفِيطُ الْخَالِيسِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ (٢)
 وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَنْظُمِ (٣)
 فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا مِيرَتْ نَحْوَهَا
 بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمَتِيمِ (٤)
 وَلَا تَبْعَتْ خَيْلِي كَلَابُ قَبَائِلٍ كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَلَاتِ دَيْلَمِ (٥)

فهو حينئذ ثابت في المركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يقرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرى (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتيني عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم
 (٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى حرب الأعداء فأنتعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى ؛ أنى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء لما أجب لهم من الحسد لتعمق والتفيط لمكانى فيشقون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه
 كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم : الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم : جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْزَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ (٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب : إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا انْتَبَهَتْ آثَارُنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ^(١)
وَمِنْهَا بِهَا التَّبِيدَاءُ حَتَّى تَفْمَرَّتْ مِنْ الثَّيْلِ وَاسْتَذَرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ^(٢)

وقال ابن جني ؛ سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أريد بالديلم الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأمكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذي يقفو الآثار - يقبعا - والنسم . خف البعير . يقول :
إن الذي اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن السير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أي لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويحبوا الحيل ، ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أي إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذي (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]

(٢) تفرمت : أي شربت قليلا من النعم ، وهو القدح الصغير ؛ واستذرت . نزلت في ذراه : أي في كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : ومننا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعني سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصار آثار الحيل والإبل كالسمة لها — أي العلامة — حتى وردت النيل — نيل مصر — فحسرت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحمل الأحياء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشنت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة في ذلك ما قال ، والده خان همدان وحرض ووسيع — ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبني أنف الناقة وقبل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يجرؤون البرود جراً صهب السبال يبتغون شراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، والوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلا .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نجدها في « الفضليات »

وَأَبْلَحَ بِعَمِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْحِي^(١)
 فَسَاقَ إِلَى الْعَرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَقَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجْمَعَمٍ^(٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا
 حَدِيثَنَا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيَكَ فَاخْتَرْتُكُمْ^(٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهُهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفِّهِ فِيهِمْ كَفُّ مُنْعِمٍ^(٤)

أُنَحْنَا فُسْمَنَاهَا النُّطَافَ فَشَارِبٌ قَلِيلًا وَآبِ صَدِّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أو كثر - » وسامه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلح : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروي بالجمع ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصدي : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدريت بطل أبلح يعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إياه أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن القرات - وزير الأسود ولم يكن للتنبي مدحه قال ابن جني : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جني يحاول دائماً أن يوجه مدائح للتنبي في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء التنبي ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف ، والجمعجم : من قولهم جمعجم كلامه ؛ إذا عماء وستره
 ولم يأت به على الوجه الذي يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بالبن ولم ينقصه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جني ؛ هذا التنبي يشهد
 بمادكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - نخذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو جرمان ؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأثت الحكم
 فيما تختار ؛ يعني إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيي في قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بي وذنوك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً
لِيَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا
وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلَّهُ

وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ^(١)
سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ^(٢)
مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْفٍ وَمِنْصَمٍ^(٣)
وَإِنْ كَانَ بِالنَّيْدَانِ غَيْرَ مُوسِمٍ^(٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجمه أحسن الوجوه وبده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم. قال الواحدى: يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد - قديم موروث - فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلومه وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضرر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) المعصم : موضع السوار من الزند، يريد أن «المهر» الذي أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالحيل ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة - كما كشف عن ذلك في البيت التالى - هذا : والمهر هو الصغير السن من الحيل، و«الأُنَى» مهرة وجمع الذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع المؤنث : مهر ومهرات . قال الريع بن زياد العبسى يحرض قومه فى طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتلته لما قتل حدنفة بن بدر الفزارى :

أَفْبَعَدَ مَقْتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ نَزَجُوا النَّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوِي الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تَشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
وَجُحْنَاتٍ مَا يَذْفَنُ عَذُوفَةً يَقْذِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ^(١)

(٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والوسم : اللعلم . يقول : لك الخيل

(١) المهنيت: الحيل تجنب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوها ولا عذوفة - بالذال والذال - أى ما ذاق شئنا .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كُمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ نُفْسَهَا أَنْتِظَارَكَ فَأَعْلَمَ^(١)
وَلَسَكِنْ مَا يَمْنَعِي مِنَ الْعُمْرِ فَأَنْتُ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ^(٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمَسْلَمِ^(٣)
وَمِثْلِكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فَوَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلَمْ^(٤)

وقال يذكر محمى كانت تشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك
في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمْ بِحِلِّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ^(٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان
وإنما خصها بالذكر لكان ذكر اللهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقائى فى الدنيا
لجعلت ثلثى ذلك المقدار مدة انتظار عطايتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالُ يُحْلِدُنَا إِلَى الْأَشْيِبِ أَنْتَظَرْنَا سَلَوَةَ الْكَبِيرِ

(٢) البادر : السريع ؛ والمتغنىم : الذى يغتنم الشيء . يقول : ما فات من العمر
لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرك ، فجدى بحظ من
يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه
فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضاً مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذاباً إلى هوائك وموافقة لرضائك لآتى قدت نفسى إليك
قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك ومماحتك يكون فواده وسيطاً بينه وبينى فيكلمه عنى
ولا يهوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعَال : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تجشم الأسفار
وإخطاره بنفسه فى طلب العالى - : ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن
فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولا أنه لا مطمع للأثم فيه بأن
يطيعه أو يخذله هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامٍ ^(١)
 فَأَنِّي اسْتَرَجِحُ بَذِي وَهَذَا وَأَنْتَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ ^(٢)
 عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرْتُ عَيْنِي وَكُلُّهُ بَغَامٍ رَازِحَةٌ بُغَامِي ^(٣)
 فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَيَاةَ بِظُلْمِ هَادٍ سِوَى عَذْيٍ لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ ^(٤)

الغنى ملوم كما يحل من لو مكا ووقع فقال لوم كما فوق الكلام : أى الجراحات ، فالكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني واتركاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الباء» من ذراني ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمسالكها ، ودعاني مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقي وجهي ، لأنني قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا بمعنى بالفلاة والهجير . يقول : راحق فيهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمدد ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتي صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فمعنى البصرة عين راحلقى ، ومنطقى الفصيح : بغامها ، وقال التبريزي : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجبت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتي ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برق النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ جِيرَانًا حَدَثَ جِوَارِمٍ كَرَامًا إِذَا عُدُّوْا وَفَوْقَ كِرَامٍ
 يَمُدُّونَ بَرَقَ الْمُزْنِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ فَمَا رَزَقُهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامٍ

يَذِمُّ لِمُحَجَّتِي رَبِّي وَسَنِيْفِي إِذَا احتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مُخِّ الدَّمَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِنِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفَيْهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفازة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة لىامن بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سنى يعنى : لا أستصعب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخير « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أمسى ضيفاً للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للنعام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ، ويروى مع - بالحاء المهملة - وهو وصفرة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مع . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الحب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعاً يبشون بوجوههم وكشعهم منطو على الحبث عاملتهم بمثل ما يعاملونى به ؛ فهم يكاشرونى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودتى لم أكن على ثقة من مودته لعلنى أنه من جملة الخلق . حكى عن التنبى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحكك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحمقى - لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رافق اللون وبى المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأجرالها - أى تلبدته فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَتَفُّ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكَرَامِ (١)
أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّثَامِ (٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسُ أَعَزَى إِلَى جَدِّ هُمَامِ (٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكُهَامِ (٤)
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطَى بِلَا سَنَامِ (٥)
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٦)

(١) آتف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
وقال آخر :

لئن فخرتَ بآباءٍ لهم شرفٌ لقد صدقتَ ولكن بشس ماولدوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغن عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبنا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه فلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضيا .

(٥) الملى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياها فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل : فى الثبت السوء « شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبى المرعى متين الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحَبُّ بِيَ اللَّطِئِ وَلَا أُمَامِي ^(١)
وَمَلَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنبِي يَمْلُ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ ^(٢)
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقَمٍ فَوَادِي كَثِيرٌ حَاصِدِي صَنْبٍ مَرَامِي ^(٣)
عَلِيلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ ^(٤)
وَزَارَتْنِي كَأَنَّ بِيهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ ^(٥)
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَتَهَا وَبَاتَتْ فِي غِلَظِي ^(٦)
بَضِيقُ الْجِلْدِ عَنْ نَفْسِي وَغَنَاءُ فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ ^(٧)
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّ لَتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ ^(٨)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
(١) الحُب : ضرب من السبر ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير إلى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إني بمصر غريب فليس يعودني بها إلى القليل من الناس ، وفوادي سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطلبى - صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير المدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم
(٥) وزارتنى : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلاً - يقول : كأنها حية إذا كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز فى جنبه علان . والحشاي : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تنبت فى الفراش ، وإنما تنبت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

كَانَ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ^(١)
 أَرَأَيْتُ وَقْتُهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةً الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ^(٢)
 وَيَصْدُقُ وَغَدَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ^(٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ^(٤)
 جَرَحَتْ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشُّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ^(٥)
 أَلَا يَأْلَيْتَ شَمَرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ^(٦)

الفعل ، وإنما خص الحرام للفاقية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الفعل. وقال ابن الشجري: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع : سال انسكب : أى بأربعة أدمع . يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع . يريد كثرة الرضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من العاطين أيضا . والموق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والعاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعده ثم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - : عندي كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمتك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهم .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : سبيل اللجام ، والزمام : للقدود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَزْمِي هَوَايَ بِرِاقِصَاتٍ مُحَلَّاتٍ الْمُقَاوِدِ بِاللَّغَامِ^(١)
 فَرُبَّمَا شَنَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامِ^(٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ^(٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ^(٤)

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وراقصات : أى يبلى تسير الرقص ، وهو ضرب من الحب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بابل تسير الرقص وقد جهد الزبد على مقاولدها فصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخعي :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْمَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللَّغَامِ الْجَفْدِ مُلْتَفِعُ^(١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صعبا كان يسافر ويقاقل فيشفي غليله بالسيف إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطوة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفي به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على غلصت منه كما تخلص الحمر من النسيج الذي تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمبلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذي هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَذْمَى أَخَشَتَهَا وَاغْتَمَ بِالزَّبْدِ الْجَعْدُ الْخُرَاطِيمُ
 « تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش ، وهي حلقة تكون في أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَمَا فِي طَبْعِي أَتَى جَوَادُ
وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ (١)
أَضَرَّ بِجِسْمِي طُولُ الْجِمَامِ (٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُقْبَرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ (٣)
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزْعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ (٤)
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرَضَ اضْطَبَّارِي وَإِنْ أُنْجَمَ فَمَا حَمَّ اعْتَزَامِي (٥)
وَلَا أَسْلَمَ فَمَا أَنْبَى وَلَسَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ (٦)

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب فيقول : أكلت كذا وكذا مما يضر ، وليس في طبعه أن الذي أضر بجسمي طول لبثي وقعودي عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه في اللرابط ، فيفتر ويبي .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقَتَام : الغبار وأراد بدخول القَتَام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد - يعني نفسه أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها .

(٤) فأمسك : أي الجواد . ولا يطال له : أي لا يرخي طوله ، وهو جبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخي له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيختلف من الخلة - التي تعلق على رأسه - وليس هو في اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفرائس ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا الثلث قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت في بدني فإن صبري وعزمي باقيا على ما كانا عليه لم يمرض بمرض جسمي .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولسكني أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوِيلِ الْمُرْخَى وَثِنْدِيَاهُ بِالْيَدِ (١)

(١) الطويل : الحبل الطويل جدا ، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى .

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرُّجَامِ (١)
قَابُ لَثَاثِ الْحَالَيْنِ مَغْنَى سِوَى مَغْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ (٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرْمُ أَيْنَ الْحَاجِمِ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ (٣)
جَازَ الْأُلَى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدَرَهُمْ فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ (٤)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَيْهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ (١)

(١) السهاد . السهر والكرمى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجوا قبورى أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حيا فتمتع من حالى السهر والنوم ولا ترج النوم فى القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالٍ فَنَفَوْكُمْ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) المحاجم . جمع الحجمة ، وهى القارووة يحجم بها الجلد . والجلم . أحشى المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظن . فلذلك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خَلِّ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أُمَّةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ ^(١)
 سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ ^(٢)
 أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُخَفُّوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ ^(٣)
 إِلَّا فَقَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْثَمَمُ ^(٤)
 فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤَذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْتَعَطِيلُ وَالْقَدَمُ ^(٥)
 مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّي زَعْمَرَا ^(٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر . رجاله عسكره ، وبالأمة التى لارحم لها . الأسود - كافورا - يوغهم بانقيادهم له ، يقول : لا شئ اقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ما تريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنج فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحق شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لا شئ عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكتم منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندي : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهَمُومُ ^(١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمَقِيمُ ^(٢)
 تَشَابَهَتْ الْبَهَائِمُ وَالْعَبِيدُ عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ ^(٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءٍ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَالَةٌ قَدِيمُ ^(٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضٍ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمْ يَتِيمُ ^(٥)
 كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ ^(٦)

تعالى قادر على إخراج الخليفة بأن يملك عليهم اثنا ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدوم الدهر . يشير إلى أن تأخير مثله إخراج للناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي للمحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافور - من يقتله ويبطل حجبتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الظلم والأذى ، ليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بخوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - وللموالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبتسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، ومملك المملوكون فالتبتس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيدا أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبتسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراما (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَوًا مَقَالِي لِلْأَخْيَمِيقِ يَاحْلِيمُ^(١)
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَالْتَيْمُ^(٢)
فَقُلْ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْفُوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ^(٣)
إِذَا أَنْتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَيْمٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسَيِّءُ قَنَ الْوَمُ^(٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة نذر عليها اسم فانتك ، وكانت مما
أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :
يُذَكِّرُنِي فَاتِكَا حِلْمُهُ وَشَيْءٌ مِنَ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ^(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي قد ألبستها حجارة سود . والبوم : الطائر
المعروف الذي يسكن الحراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح
الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خسيس كثير الصيوب
وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت
بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهوًا » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول .
يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاها . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما
ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة :
عبي في منطقته عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من
الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبق
إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان عى ، ومن قال لابن آوى — وهو
من الأم السباع وأخسها — بالليم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى في مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً
لم يكن لى فيهما اختيار ، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟
(٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضع ليم ولم أوجه اللوم إليه
فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرٍ أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ الْوَمُ
(٥) الند : عود يتبخربه ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجَدِّدُ لِي رِيحَهُ شَيْئُهُ (١)
وَأَيَّ فَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِكًا ضَرْفَهُ (٣)
بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ يَمَلْهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ يَمَلْهُ (٤)
فَأَجُودُ مِنْ جُودِهِمْ بِخُلَّةٍ وَأَحْمَدُ مِنْ تَحْدِيهِمْ ذَمُّهُ (٥)
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَكَاغَلْمَرٍ سَقِيهِ كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « شيء » : لند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أي لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالكا : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتاك قتال : لفزعت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لم يمال كثيرا مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمي :
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعًا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمدهم . وقال العكبري :
للعنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يهبه كان يعمده من نفسه بخلا .
قال : وقوله أحمد من أحمدهم : أي لا يذم إلا بالإسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمد من حمدهم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والغنى ؟

(٧) النية : الموت ؛ والحجر : تذكر وتؤنث ، فن ذكرها ذهب بها إلى التبيذ . يقول :
إن النية كانت منه تنبث في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبصارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَأْوُهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَعْمُهُ^(١)
وَمَنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ^(٢)

وقال يذكر مسيره من مصر ويرى قاتسكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ^(٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالخمر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جني : يعني أن الزمان آق من موته بمافيته نقض
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجه
عند ابن جني أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » — حلى ما ذكر
في تفسيره — وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذي قبله : إن الموت الذي أصابه هو
بمنزلة الخمر سقيها الكرم : أي كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذي عبه — يعني الخمر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذي ذاقه هو الموت
وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدي : وللعنى حلى ما قاله ابن فورجه
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الخمر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذي ذاقه من طعم الخمر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك »
لما أهلكه . فشرب شراب الموت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أي خليق وجدير . يقول : إن من ضاقت الأرض عن همته لخليق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتياها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* حَلَى النُّفُوسِ حِنَايَاتٍ مِنَ الْمِمْ *

(٣) حتام : هي « حق » و « ما » ، حذفت ألف « ما » لامتزاجها بـ « حق » — وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ مُحْسٍ بِهَـ ^(١) فَقَدْ الرِّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنْمِ
تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ^(٢) وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْمَذَرِ وَاللَّمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً ^(٣) لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ
وَتَنَزَّلُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ ^(٤) مَاسَرَ فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ
لَا أَبْيَضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَـ
قَلْبِي مِنَ الْحُزَنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ ^(٥)

استعملها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : تفاعل — من السرى وهو السير
ليلا — والنجم : اسم جنس — أى النجوم — قال تمالى « وبالنجم هم يهتدون » ، والو
من « وما سراه » — حالية ، والخف للبعير : بمنزلة الحافر للذابة . يقول : إلى مق نسرى
مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا على قدم كالناس
أى أن النجوم لا يصيبها السكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « الفجم » ، وفاعل « يحس » الثانية :
غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هنا ط لفة
والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » والمم : جمع لمة ، وهو الشعر
المجاوئ شحمة الأذن والذى يلم بالمنكب . يقول : إن الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا
البيض ؛ ولمكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البيض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسَوْدَ

« القسما — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكيم : الحاكم ؛ واحتكنا : تحاكنا . يقول : لو احتكنا إلى حاكم من حكام
الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، واسكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونجعل
الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأننا نتغترفه من السحاب فتودعه
رواينا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل يغيضة إلى ، فليس إتعاى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بَنًا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ^(١)
تَبْرَى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تَعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللُّجُمِ^(٢)

بنفسها لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غر الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المهزون : ينسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفه بالإكرام .

(١) أَيْدِيهَا وَأَرْجُلُهَا : أى العيس ، ، وأسكن الباء فى « أَيْدِيهَا » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرَقِ أَيْدَى نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ^(١)
ومرقن : أى خرجن . من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حشنتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأَيْدِيهَا ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاوُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَثَرِ^(٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطروء يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تَبْرَى ؛ تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* يَبْرَى لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلِ^(٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تنبرى الحيل للعيس وتعارض أزمتهما باجمها وأعنتها ؛ أى تباريها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لعلو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون الاعم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع : فرق : محتو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلمة ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو مبيضها - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضًا الْأَيْسَارَ بِالزَّلْمِ (١)
نَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمٍ (٢)
بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَانُونَ مَنْ لِحَقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنَّعَمِ (٣)
قَدْ بَلَّغُوا بَقَانَهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهَمَمِ (٤)
فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيْبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ (٥)

(١) غلثة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقينا : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويحتمعون على اليسر . والزلم : السهم من سهام اليسر . يقول : سرت من مصر في غلثة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى القامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقي على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلثة كلما ألقوا عمامتهم التي على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم : يعنى أنهم مردل متصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس — كما بين ذلك في البيت التالى .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفحة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : بالماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا — بالتشديد — مبالغة في بلغوا — بالتخفيف — ورواها بعض الشراح بلغوا — بالتخفيف — وقال في تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا — بتخفيف اللام — والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرجوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمهم :

(٥) الضمير في « به » للقنا . يقول : هم — أبداً — في القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكانتهم في الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) اصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤابنها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَمَلُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبَهْمِ (١)
تَخْدِي الرُّكَابُ بِنَا بَيْضًا مَشَافِرُهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرُّغْلِ وَالنِّيمِ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ تَنْبِي مَنبِتِ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للغي أنهم لتمرهم في الحرب والقتل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، اشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهي ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهمة : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لاتنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال اللأزني (١) .

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَابِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
(٢) خدت الناقة تخدى . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعي .

حَتَّى غَدَتْ فِي بَيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمِبَاةِ تَخْدِي وَالْتَرَى عِمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والنيم ؛ فبتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهي بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جني : لأنها لاتترك ترى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين المتنين

(٣) كهم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السباط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بكرة وحشية تقدم ذكرها ، ومبأتها : مكمنها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح المبابة لما نون طيبة ، وكان حتما الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعِ الْمَرْبِ وَالْعَجَمِ ^(١)
لَا فَاتِكَ آخَرَ فِي مِصْرَ نَقْصِدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ ^(٢)
مَنْ لَا تُشَابِهُهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْءٍ أَمْسَى نُشَابِهُهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ ^(٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْخُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الخوف قد كم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأمدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلَتْهَا مِنَ الطَّلَحِ تَبْنِي مَنْبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد عنباً » .

(١) القرية : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريماً لذلك ، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارَضَ الشَّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانِ عَارِضِ الشَّوْلِ جَافِرٌ ^(١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل القدى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده فنقصده ، وليس له خلف مثله كرماً وشجاعة ، فقله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم نعتة بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرّم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جهر فهو جافر وفي الأثر أن علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً في الشمس فقال : قم عنها فإنها جفيرة : أى تذهب شهوة النكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ^(١)
مَا زِلْتُ أَضْحِكُ. إِبْلِ كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَصَبَتْ أَخْفَافُهَا بَدَمِ^(٢)
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ^(٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ^(٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددى في الدنيا كفى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على العدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إِبْلِ - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها مما يضحك لضحك إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختصبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفي الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختصبت أخفافها بدم في قصده أو في المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تمرى بعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أى أسير عليها . وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للعبود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفصائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى حدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع - المتن ألف الوصل في أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه في الضرورات - أى الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفِيفٌ فَقَالَ لَهُ إِغْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعُهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون في أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامي :

الضَّارِبُونَ عُمَيْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمَنْبِلِ يَوْمَ مُحَمَّرٍ ظَالِمٍ حَادٍ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ ^(١) فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْطُّلُومِ
أَسْمَعُ مِنِّي وَدَوَائِي مَا أَشْرَتْ بِهِ ^(٢) فَإِنْ غَفَلْتُ فِدَائِي قِلَّةُ الْفَهْمِ
مَنْ اقْتَضَى بِسُورَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ^(٣) أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلْمُ

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً ^(١) عَلَى حَدَّثَانِ الدَّهْرِ مِثِّي وَمَنْ جُلِي
وكقول قيس بن الخطيم :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ ^(٢) بِنْتُ وَتَكْثِيرُ الْحَدِيثِ قَمِينُ
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليل للتخلص من الضرورة وكذلك
الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأعلام . يقول : قالت لي
الأعلام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما ضلت بالسيف وما تقول من
الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا
من قول البحترى :

تَمْنُو لَهُ وَزَرَّاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً ^(١) وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْذِمَ الْقَلَمُ
(٢) هذا جواب منه للأعلام ، يقول — لها — : أسمعني قولك ، والذي أشرت
به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها صار دأى هو
قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .
(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأعلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب
حاجته بغير الهندي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجل — بضم الجيم
وسكون الليم — اسم امرأة .
(٢) نث الحديث ينثه ثا : أفشاء : أي جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير
حظ على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سراً فإنني كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهَمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ^(١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ^(٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أعفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن طي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتني وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المستول : لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتني ، وقلة فهم من القاضي ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ «هل» بـ «لا» ، لأن للمتني حجاب ليس هو الحبيب ، والذى أراد للمتني أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أعفر ، لم أصل إلى ما أطلب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جني : جعل «هل» و «لم» اسمين فجربا و «هل» حرف استفهام و «لم» حرف نفي ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة في «لم» كسرة الساكن إذ احتسج إلى تحريكه للقافية . كقول النابغة * وكأن قد^(١) . وحكى الخليل قال قلت . لأبي الدقيش — الأعرابي — هل لك في ثريدة كان ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه^(٢) (١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق في أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابي : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى ، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف ، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ،

(١) قطعة من بيت هو :

أزِفَ التَّرْحَلُ غَيْرَ أَنْ رَكَبْنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهري : أبو الدقيش كنية واسمه الدقيش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقيش ؟ فقال : لا أدري قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبي الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش ؟ قال أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد وأنا في زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد ، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدٍ نَشَأَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخِذْمِ^(١)
 مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالمَوْتِ شَفَرَتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ^(٢)
 صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ^(٣)
 هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنُ كَالْحِلْمِ^(٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
 فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
 في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعِلُ
 (١) الخدم : جمع خذوم : أى القاطع : يعنى السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
 فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صجة السيوف ، يعنى إذا لم
 ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أى حده فاعل قاضية : يقول : من
 كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقاضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
 وناقة كزماه : قصر خطاها ، يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى
 لا لؤم فيها ولا قصر : يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
 معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن
 بلوغ الحاجة ،

(٤) ماشق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ماشق عليها النظر
 إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه فى الحلم . لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى
 المنام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
 فيكون المراد الشئ الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
 للبصر ، وعلى الرواية الأولى له « ما » . قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
 يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
 شقوقه ومقاساة النزاع . . . وهذا كلام — كما تراه — فى غاية الفساد والبعد عن الصواب
 وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزاع والحشرجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِثَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفَرَبَانِ وَالرَّخَمِ^(١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَشْتَرُهُ^(٢) وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ نَفَرٌ مُبْتَسِمِ^(٣)
 غَاضٍ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ^(٤) وَأَعُوزَ الصَّدْقِ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ^(٥)
 سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدَتْهَا^(٦) فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ^(٧)
 الدَّهْرُ يَنْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبَهُ^(٨) وَصَبْرُ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الْخَطْمِ^(٩)
 وَقْتُ يَضِيعُ وَغَمْرُ لَيْتَ مُدَّتَهُ^(١٠) فِي غَيْرِ أَمَةٍ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ^(١١)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وشدة فتشمته بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبارة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن التبربان - جمع غراب - والرخم
 جمع رخمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرك منهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداد . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متقلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهاياك واقتحامها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاء لدرکها أما كن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركبها .

(٥) الخطم - بالضم - جمع حطوم ، وبفتح الطاء . جمع الخطمة : أي التي تحطم
 من ألت به . وصبر جسمي : يروي : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ^(١)

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمًا^(٢)
كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرٍّ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ غَنَمًا^(٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلت أُنْذال يضيع الوقت بصحبهم؛ ولت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون من أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فى هرم وأناهم بما يلرحون ، ونحن أتيناه وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسقى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوْا إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُحَرَفًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرُوفِ
وقد نظر المتن فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَذَعٌ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْخُرُوفُ

(٢) نثره . أى منثوره - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى اللطير الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مائج : يروى مازج ، والنعيم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصَ الْبِنَانِ كَأَنَّهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

يقول : كأن الهواء - وهو مائج بهذا الورد عند نثره بمر من النعم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بمر قد حوى النعم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَازِرُهُ نَازِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِقَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
فَلْيُرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكَرَمًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها في أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكانها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد في قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابقات : التمامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الحرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل في تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعْرِضْ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيـل : أى تمكن من جمعها بالخيـل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها في الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى والذي ينثر الخيل - أى يفرقها - في الضياع فينظمها بها ، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثانٍ لـ « يرنا » ، والضمير في « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عودته : رقاها رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معلقته ، وصدرة :

* إِذَا مَا الثَّرَى فِي السَّمَاءِ تَقَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى^(١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه عين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فترك وقاية لكرمه من أعيينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعين : إذا أصابته العين - وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات في نثر الورد غير مليحة ، وليس المتنبي من أهل الأوصاف ، قال العكبرى : إنما المتنبي من يحسن الأوصاف في كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال - أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثمانئة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفا ، فتهيئتهم أصحابه ، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَمَّا مَفَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِينَهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْأَخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيْهَا السَّكَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْفَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُوَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَآهَ وَلَا يُكْفَى^(٣)

(١) المفعول : المنزل الذي كان به أهله ففنى بهم . لما قال زور والزيارة تقتضي المحبة
فنى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : زور هذه الديار على غير محبة
لمفنى من مغايتها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن في ذلك من غير
ساكنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) المفعول : الغاية . والسكاة : جمع كفى ، وهو البطل المستقر في السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفى : نمحس . وأراد بالذى يكفى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكفى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكفى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنى
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبرى - كانت
تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل النغير (١) » .

(١) النغير تصغير النمر ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار
المصاير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نمر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَاتَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا^(١)
وَأَنَّا إِذَا مَا أَلَمْتُ صَرَحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الْعُزْبَ وَالطَّمَنَا^(٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمْنَا^(٣)
وَحَبْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدُسُنْ مِن هُنَا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا^(٤)

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أي فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار للوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف : أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاءه مرفوع بـ « حبيب » : أي المحبوب لقاءه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاءه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « اليم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحوي في هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أي جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أي اقرب و « ها » للتنبيه ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للآتين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والاول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر اليم - وفي التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجل ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والماء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركت الماء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أي لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيـل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أي جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أي الخيل - أي خيل العدو - أي اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا^(١)
تَمَدُّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَلِيشَ لَمَسَةً نُبَارُ إِلَى مَا نَشْتَهِي بِذِكِ الْيُمْنِ^(٢)
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسُ نُتْبِعُ الْبَارِدَ الشَّخْنَا^(٣)

« يصفه بالعتاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى منجيته : أى طبيعته . وقد أخذ المتن قوله حشوناها الأسنة من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجَدُّ بِرَكْبٍ رَدَعَهُ وَآخَرَ يَهْوَى قَدْ حَشُونَاهُ نَعْلَمَا
« يقال للقتيل ركب رده : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطيح بالزعفران ، والتعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جني : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى « حشن » ونحوه .

(٢) تمد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيوش الروم وأدنا منهم دنو اللامس من اللامس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبري في تفسيره الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للككيت .

قَبِيحٌ بِمَثَلِي نَعْتُ الْفَتَاةِ إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا
ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمعي : بار يبور بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، أفعال - من برت الشيء أبوره : إذا خبرته - وأنشدوا بيت الككيت هذا ، وقول الككيت « إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا » أى إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكتنا وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السفخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم فإذا برد ماسفكتنا أتبعنا دما طرياحارا .

وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
 فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا^(١)
 فَمَنْهُ الْأَلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَدَهُ أَغْنَى^(٢)
 يَفِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْمُلَا وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَدْنَى^(٣)
 فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلَا اللَّهُا وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى^(٤)
 وَمَا انْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنَا^(٥)

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن -
 بفتح اللام - ورماح لدن - بضمها - يقول : إن كنت فيهم سيفاً قاطعاً فدعنا تقدم
 إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قتل إن سيف
 الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفاً ،
 فتهب جيشه للمسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأشار
 بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننثني عن الجيش ، فما
 تجعل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الدين ؛ ولا نأتى : لا نقصر ، ونصرة : تمييز . يقول : نحن الذين
 لا نقصر في نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغثيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأدنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى
 ولا يرضى عنده بالعيش الأدنى ، فكأنه يقول أفيك بنفسى .

(٤) اللهأ : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ،
 لأن الدماء إنما تجري بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجري بمجودك ، ولولاك لم
 يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم ،
 فخافوا خوفاً منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفاً ،
 فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفاً ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛
 وهذا من قول دعبيل :

مِ الْفَنَسِ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَنَ لَدَيْهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقَبَحَ

وخال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورعها وفرسا ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الْهَبَاتُ صَوَانَهَا ^(١)
تَرِينًا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكُهَا وَتَجَلُّو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا ^(٢)
وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَحَدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا ^(٣)
وَمَا أَذْخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا ^(٤)
وَتَتَمَرَاهُ بَسْتَقْوَى الْفَوَارِسِ قَدْهَا وَيَذْكُرُهَا رَاتِيهَا وَطِعَانَهَا ^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل لصل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتهى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتهى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنه ، إنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومتنديل كان هبة أيضا ، كما قال
فى موضع آخر :

• أَوَّلُ تَحْمُولِ سَبَبِ الْحَمَلَةِ •

(٢) الصنّاع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى تربنا إيام فيها ،
وتربنا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكتف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئا إلا صورته ماعدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصنّاع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئا هو فى وسع المصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول . - وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستغواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصرفه واستعماله ، وإظهار عجزهم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم
السكر والطمع .

رُدَيْنِيَّةُ تَمَّتْ فَسَكَدَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا رُجُومًا وَسِفَانَهَا^(١)
وَأُمُّ هَتِيقٍ خَالَهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَقَانَهَا^(٢)
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنْتُهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا^(٣)
فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أُمَانَهَا^(٤)
وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا^(٥)
وَمَالِي ثَنَاءً لَا أَرَاكَ مَسْكَاةً قَهْلُ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا^(٦)

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسانان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الحال والأم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الحال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقها . يريد أن الفرس كانت قبيلة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانتة : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتها عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهي تشين للمهر بقبحها ، ولأنها أمه ، والمهر يزينها بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبته خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) السنان : سير الأجسام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعنت عليها وقرطت عنانها (*) يبدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه يرحمه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، قهْلُ لك نعمى - نعمة - لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مديده بالعنان فجعله على قذال فرسه ، وهى تخضر تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :
 حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذُمُّهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ^(١)
 يَا مَاهُ هَلْ حَسَدْنَا مَعِنَهُ أَمْ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ^(٢)
 أَمْ انْتَجَعْتَ لِلْفَيْ يَمِينَهُ أَمْ زُرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ^(٣)
 أَمْ جِئْتَهُ مُحْنِدًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ^(٤)
 يَا رَبِّ لَجَّ جُمِلَتْ سَفِينَتُهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَقَّتْ عُودُهُ^(٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فمظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بمحص رجل ضرير من أهل العلم يفسر للنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بعنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتلوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) المعين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فخرت وزدت .

(٣) أصل الاتجاع : طلب للرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه .
 والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا

يقول : أم جثته تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيت زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جثته لتحفر خندقا لحصونه منعا للعدو ؟ لاجابة به إلى الخندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ وَشَرَبَ كَأْسَ الْكُفْرَةِ رَيْنَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غَنَاءَهُ أَيْنَنَهُ وَضَمَّتْ أَوَّلَهَا عَرِينَهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُهَا مُسْتَهْدًا جُفُونَهُ (٣)
مُبَاشِرًا بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ مُشْرِقًا بِطَعْنِهِ طَمِينَهُ (٤)
• عَفِيفَ مَا فِي نَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥) •

البعيد والمون : جمع غانة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفا : أخذتها وافية ،
وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فمكّن له كالسفين ، ورب
روض بعيد الراعى أهلكته خيله حمرة . وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها
بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون - يعنى عاصيا متمردا مغرورا بهمه -
أذهبت الخيل جنونه : أى أذهبت حقه انقياد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع
بمعنى الشاربين - أى رب قوم لا هين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل
حتى كثر رنينهم - أى صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على
« شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ السَّمْعَاتِ الشُّرُوبَ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكُتَنِ (١)

(٢) الضمير فى « غنائه ، وأيننه » للشرب ؛ والضيغم : الأسد ، والعرين :
مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطريه أيننا ، لما ألم به من
قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطنتها
وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطنت خيله جبينه وهو يقودها
إليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طمينه : مطمونه . يقول : إذا طمن إنسانا شرفه بطمعه إياه ، لأنه رآه أهلا
للمبارزة والمহারبة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وصماه الكتن للضرورة
قال ابن : لم اسمع الكتن فى الكتان إلا فى شعر الأعشى ، والسمعات : اللغنيات
جمع سمسة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيِّمُونَهُ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ^(٢)
 • شَمْسٌ تَمْتَحِنُ الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ^(٣) •

إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِنَسْتَعِينَهُ يُجِيبُكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِّنُهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَفَى الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ بَلَفَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير العطاء — يصخر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمتحى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى المدح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت بأسيف مستعينا ، أجابك قبل إتمام سين
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في « نفسه » للمدح ،
 وفي « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أنت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — في
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) هما : فاعل المحذوف يفسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، حذف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل ، يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ^(١)
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢)
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النَّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكِمَاءِ عَوَالِي الْمُرَانِ^(٣)
لَوْلَا سَيْفُ سَيُوفِهِ وَمَضَاوُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنْ كَالْأَجْفَانِ^(٤)
خَاضَ الْحِمَامَ بَيْنَ حَتَّى مَا دُرَى أَمِنْ احْتِقَارٍ ذَاكَ. أَمْ نِسْيَانٍ^(٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من الرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
الذل والضم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى البالغ من العلى .
(١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفء في الحرب ، يؤكد
تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيغم : الأسد ، والمراد بأدنى ضيغم : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون .
وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكساء : جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
والعوالي : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
بالعقل ، فالأدنى أفضل من البهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
الأمون : الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لا لحم أطيب من لحم .
وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
ولولا العقل ما عرفت الأيدي تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستأقت أموالاً ورجالا ، فبانت
حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، ففيل لعلام منهم : كيف صنع قومك بهوافر الخيل حتى
لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جملوا المران أرضية للموت ؛ فاستبقوا بها
أرواحهم .

(٤) سمى سيوفه : بمعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول حمرو بن معد يكرب
الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام الموت - بسيوفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي اللَّغَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ^(١)
تَحَذُّوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ الشَّرُوحَ بِمَجَالِسِ الْفَتَيَانِ^(٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنَ فِي الْمَهْجَاءِ غَيْرِ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ^(٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْضِ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ^(٤)
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغَيِّرُ مُحْسِنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ^(٥)
إِنْ خَلَّتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدَعَاوَهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ^(٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول « درى » لغة طيء . وثانى مفعولى « درى » محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : فـ « أل » فيه للمهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تحذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الفارة على أعدائه .

(٣) الوغى والمهجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فتطاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من للمركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقه : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرج من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غِبَارُهُ فَكَأَنَّهَا يُبْعِرْنَ بِالْأَذَانِ^(١)
يَزِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانٌ^(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتَرْبَةٍ مَنِيَجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ^(٣)
حَتَّى عَبَزْنَ بِأَرْسَاسٍ سَوَاحِمًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ^(٤)
يَقْمُضْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخُصْيَانِ^(٥)

فكأنها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جني : وهذا كقوله .

تَقَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعْفَى شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسَّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاساً نظرها ؛ واسكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكأنها تبصر بآذانها ، وهذا من بدع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحرى :

وَمُقَدِّمُ الْأُذُنَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِهِمَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جني : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أرسناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد — لسرعته في السباحة — تنتشر عمايم فرسانها .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدى : جمع مدية — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصي لتقلص . خصيته لشدة برده .

وَالسَّاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ ^(١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْعَجِينِ حَبَابُهُ وَتَفَى الْأَعْنَةُ وَهُوَ كَالْعَقِيَانِ ^(٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّمِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ ^(٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَيْرِ قَوَائِمِ عَقَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ ^(٤)
 تَأْنِي بِمَا سَبَتِ الْخَيُْولُ كَانَهَا تَحْتَ الْحَسَانِ مَرَايِضُ الْغِزْلَانِ ^(٥)

(١) المعجاجة : العبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالمعججتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جني : يعنى عجاجة المسلمين وعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ماذهب إليه ابن جني . قال ابن جني : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، وقلما تثار المعجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتنبي - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو للساء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والساء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبابه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض ، والضميز للماء . وعادية : أى رাকضة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عادتها أن تفتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ^(١)
 قَدْ كُتِبَ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي حَمْدَانَ^(٢)
 الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعَ عَلَى ذَوَى التَّيْجَانِ^(٣)
 مُتَصَلِّكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْسِكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ^(٤)
 يَتَقَيَّلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٥)

مرايض لها ، هذا : والمرايض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاض يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أَرْبَاضاً لَهَا أَرَى مِنْ مَعْدِنِ الصَّيْرِانِ عُدْمِي^(١)
 (١) و(٢) بحر أى هو — النهر — بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه .
 والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق .
 وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدولة ببحر تعود
 أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته
 أنت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٢) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللدح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجرته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والقدم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك القدم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم ونخامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتمرضهم للغارات وشدايد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا (٥) الثقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها أرى : أى لها آخية من مكانى البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قاله ابن السكيت . وقد تسمى الآخية آريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدلى : القديم

خَضَعَتْ لِمَنْصُوكِ الْمَاصِلُ عَنُوةً وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ^(١)
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ وَالسَّيْرُ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ^(٢)
وَالطَّرِيقُ ضَبِيقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ^(٣)
نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهَا يَضَعْدَنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعِقبَانِ^(٤)

والظلم الذكر من النعام . والريقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : الدب .
يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعنى أنهم مثل
البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيولة - لجأوا إلى ظلال خيلهم .
ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقة السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والدواب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :
وهذا من قول امرئ القيس :

بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يَمْلِكْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَهَا لَمْ تُوجَزِ
شَرُّ الْعُقُولِ وَتَرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعَقْلُهُ الْمُسْتَوْفِزِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير الذي أسلفنا ،
قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين
في الشرف والسبق إليه كالفرس اللطيم . وقال ابن فورجه وابن القطائع : إنما الراوية
يتقيلون ، يعنى أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أى
التشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنوة : أى قهرا .

(٢) و(٣) و(٤) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : القذلة والعار - أى ما يغض منه الإنسان ؛
والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ، وهى القطعة
من الحديد والمراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسُ يُجْحِي الْجَمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّمَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ (١)
مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ (٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُؤْمُهُمْ بِأَمَانِ (٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصذر علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والغضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعد يا مناكب العقاب ، فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشتباهه عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفنها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والجمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعِذُّونَ مِنِّي يَا هُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَّاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلاً :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهير جعل المدح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل التنبئ هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتابعة . والذرى جمع ذروة ، وهي أعلى كل شيء . يقول : مازلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعلى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جني : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجمام : جمع جمعة ، وهي عظم الرأس الشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا نَجْمًا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانٍ^(١)
يَغْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلًا يُمْتَقِفُ وَمُهَنْدٍ وَسِنَانٍ^(٢)
حَرَمُوا الَّذِي أُمَلُّوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمْ أَمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحَرَمَانِ^(٣)
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهْجَةً نَائِرٍ شَفَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الْإِخْوَانِ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطوان في هزيعتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلا : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح . يقول : كان وقع السلاح كوقع المطريأتى دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان يعد نفسه مدركا أمله ، لأنه نجما بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشئ : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أمله منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشئ : تأملا ، وأملته آمله أملا .

(٤) المهجة : الروح . والتأثر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب نأر شغلته صيانة روحه عن إدراك نأر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك نأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية الهجو ، لأن العرب يمدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة نأر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبُ كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَ الْعَانِي ^(١)
وَمَهْذَبُ أَمْرِ التَّمَايَا فِيهِمْ قَاطَمُنُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ^(٢)
قَدْ سَوَدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِفَةَ الْفَرَبَانِ ^(٣)
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ ^(٤)
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ ^(٥)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من المجيء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغل سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : للمعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته للنأي في إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة النأي له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد في سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضمير في قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الفرسان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالفرسان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحرارة . وأصله الحمز فليته لتضريح . والنارنج : معروف . يقول : لما بثر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج في الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفرعون في الحرب ، كما لا تفزع هى ولما ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِيْفَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلُهُ
قال ابن جني : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمهونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست في معنى الصلبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جَرَاءَةٍ حَدِّهِ مِنْهُ الْجَبَانَ يَكْفُ كُلَّ جَبَانٍ ^(١)
 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ ^(٢)
 أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانَ ^(٣)
 يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ ^(٤)
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَّ دُونِكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَّ فِيكَ لِسَانِي

وقال في صباه في المکتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسْفَا يَوْمَ الْفَوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ ^(٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العِمَاد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال : فلان رفيع العِمَاد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمم وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أنا في ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتني بإحسانك حتى قتلني : أى استعبدتني بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاء غيره يبلية إبلاء . والآنسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينْ^(١)

المهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له «أبلى» ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومنى إلباء المهوى البدن : إذهابه لطمه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح المهوى إنما يشتد عند الفراق . والمهوى عذب مع الوصال ، سم مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أُرْيَةَ مَالِمَ يَشُبُّ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أُرْيَةَ : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى المهوى ييدنى إلى الأسف
والهزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛
ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تكبير الروح - وأن تجعله مضارعا -
على تأنيها - وأصله تردد - بتأين - فحذفت إحداها للتخفيف . والخلال : هو ذلك
العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجيء فى بدن مثل الخلال
فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى
إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين »
لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل
العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرأنى أبو بكر الشعرانى خادم المتنبي :
الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى
سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أَتَبَقَى الْمَهْوَى وَالشَّوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيتُ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِ كَانَ الرُّوحُ مِنِّى فِي مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والمكبرى - كثير قد ألت به الشعراء القدامى
والحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِ الْمَهْوَى بَرَى الْمُدَى وَأَذَابَنِى صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتُ أَعْمَلُ مِنْ أَمْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَتَقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ نَوْلًا مُحَاطَبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي^(١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛
وأني رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — صاحبه — : كفاني فعل
النحول بي أني رجل لو لم أنسكلم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال
أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنِّي حَيٌّ إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطتنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تطبيقه النحوية
على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يعر « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى
باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك
ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجمله « نولا مخاطبي » وصف لرجل ،
و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال :
نولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » بمعاملت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ،
وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله .
والعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا^(١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا
بما دل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « نولا » ، والتقدير : كفى
بجسمي نحولا انتفاء رؤيتي لولا وجود مخاطبي ، و « نحولا » نصب على التفسير ،
والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيلا لتفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حَبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لا تنفاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لحب النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بحسمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بحسمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء في نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك يزيد ، وأما قوله : « أنى رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كالزيادة في الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » في « مخاطبتي » و « ترى » إلى الياء في « أنى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن « الياء » في « أنى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التي في « أنى » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى كان قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذي » في قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً * ^(١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أنتم » في الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبَتْنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَسْرَأَ لَا أُطِيعُهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلى بن أبي طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَةَ كَلَيْتَ غَابَاتٍ غَلِيظَ الْقَصَرَةَ

* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأمد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكيال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تمكيل كيلا وافيًا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةٌ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَسَقِيُّ الَّذِي اذْخَرْتُ لِعِيرُوفِ الزَّمَانِ^(١)
وَتَجِدُنِي يَدُلُّ بَنِي خَنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ^(٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفق : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتي تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد نخذى مضر . يقول : إن شرفي يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف^(١) وأما قعة فيقال إن خزاة من ولده ، من ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبه فى النار »^(٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمرائها : أى أسرع ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه اتقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ^(١)
 أَنَا ابْنُ الْفَيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ^(٢)
 طَوِيلُ النُّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ السَّنَانِ^(٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد
 عمرو بن مرة الجهني :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ^(١) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
 * النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ *

وأما «نص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن النذر ؛ وقوله «كل
 كريم يمان» يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه
 كفاية ؛ ويكفيهم غفرا قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن
 من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا»

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء :
 ابن الماء . واللقاء : ملاقة الاقتران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب
 ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو
 من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا افارقها .

(٢) الفيافي : جمع فيفاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل
 آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
 الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجيدها
 وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح
 به العرب .

* وَإِنَّ أَعَزَّاءَ الرِّجَالِ طِيْلَاهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ،
 وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحِمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ^(١)
يُسَابِقُ سِنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانٍ^(٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحاظ : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب يقول : هذه الأشياء مني حديدة - قوية -

(٢) النايا : جمع منية ، وهي الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال صخرة :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ

ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلَغِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَقٍ قَبْلَ السِّفَانِ قَلَى حَوْبَائِهِ يَرْدُ^(١)

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأشدوا لهم بن مرة وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا

غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَى بِي هَالَكَا

وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَمَانٌ هَازِرًا لِي وَإِنْ تَارَكَا

وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنِّي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعي فإنه رَوَاهُ وَأَرْهَنْتُهُمْ عَطَلًا لِفِعْلِ مُسْتَقْبَلٍ عَلَى فِعْلِ مَاضٍ وَشَبَّهَ بِقَوْلِهِمْ : قَتَلْتُ وَأَصْلَكَ وَجْهَهُ ، لِأَنَّ الْوَاوَ وَائِ الْوَاوَ الْحَالِ . فيجعل « أَصْلَكَ » حالا للفعل ، وقد تاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة » وقال : هي قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذًا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(١)
سَاجِدُهُ حَكَمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي^(٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي^(٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليونهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعبرى »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيفي قلوب الأعداء فيهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأُثْمِرَ مَرْفُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هبأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدٌ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسي ، وإنما يجوز ذلك في أفعال معدودة نحو ظننتى وحسبنتى وباهما ؛ وقد جاء شاذا : فقدنتى وعدمنتى ، ولا يقال ضربتني ولا رأيتني ولا أكرمتني ، وإنما يقال ضربت نفسي وأكرمت نفسي فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسي ، وقد جاء رأيتني ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائي من شئت ولساني كسيفي في الحدة ، فلو جعلت لساني مكان سيفي لا كتفت به ، لأنى أبلغ من التأثير في أعدائي بلساني ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمرى — لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي^(١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي^(٢)

تكرمه : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملاء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبارة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفَيْض ثم قال — التني — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفاض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذا به وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف محفیه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جني — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسمم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبين أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يدها سكرا ، أما أنا فإني أبقى على صحوى : أي لا أشربها حتى لا تحول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جني . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَفْتَنِي بِمَقَامٍ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْتِي

هَجَرْتُ أَنْفَرَكُمْ كَالذَّهَبِ الْمَصْنُوعِ فَخَعَرِي مَا مَزْنُ كَالْحَجِينِ^(١)
 أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٢)
 كَانَ بَيَاضُهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ^(٣)
 أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُ بِهِ رِفْدِي يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدِينِ^(٤)

(١) الزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ والحجين : الفضة . وقوله كالذهب المصنوع : حال من « الحجر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الحجر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ خَافَةٌ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ

ومن قول الجيز أرى :

مِنْ لُطْفٍ إِشْفَاقٍ وَدِقَّةٍ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكِيكَ

وَلَوْ اسْتَطَلْتُ جَرَحْتُ لَفُظَكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لا يغار على شفاهم : ويقول من يعذره - التنبي - إنما يغار لأنه يرفع شفته عن رتبة الكأس والحجر ، لأنهما - أى شفته - للأمر والنهى والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير فى « بياضها » للزجاجاة ، والراح . الحجر ؛ وأحدق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الحجر السوداء - بياض محدق بسواد عين .

(٤) الرfid : العطاء . يقول : إن الرfid الذى سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِّلْمَلِّ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَغَفِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحَبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلَلْسُنَا وَأَلَدُ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَغْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المجنون :

وَمَا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَا الْحُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتُخْرَسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أَجِيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

قُبِيعٌ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنَى مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرُّ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَبُحٌّ بِالْمَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْمَوَى إِلَّا لِمِنْهَتِكَ السِّرِّ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْمَوَى وَتَهْتَكْتَ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرٌ سَبِيلِهِ لِإِظْهَارِهِ
أَعْصَى الْعَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيًا ؛ هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتقصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و « الألسنا » يروى بفتح السين - أى الدلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللمة أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصْلِي صَلَةُ الضَّنَا^(١)
 بَنًا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذَرِ مَا أَلَوَانُنَا جَمًّا امْتَمَعْنَ تَلَوْنَا^(٢)
 وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنَنَا^(٣)

لَمْنِي أَنْتَنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)
 وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الخطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكْمٍ^(٢)
 ومن أنه : قال في جمعه السن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال في جمعه السنة
 كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من للذكر وللؤنث ، وقد تقدم ذلك في
 هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصل : خبر « لیت » ؛ والكرى : النوم ؛
 والجرم : الذنب ؛ والضي : المرض والهزال . يقول : ليت الحبيب الذي هجرني من غير
 ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كواصل الضي الجسمي من أجل صده وبعده عني ؛
 يعني أن الضي ملازم له ، فتمني أن يكون وصل الحبيب ملازما له ملازمة
 الضي جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحيتنا » و « بتنا » تامة ؛ والواو بعدها حالية ،
 و « امتمعن » يروى سفعن ؛ وهو بمعنى امتمعن ؛ وحليتنا : وصفت حليتنا ؛ وهي هيئة الشخص
 وما يتميز به ، وامتقع لونه : تغير حيائه أو خيقة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا
 أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا ، فكنت
 لا بدري بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، لحذف « أن » وبقي الفعل
 مرفوعا ، وقد مررت له نظائر . والعوازل : جمع العاذلة - اللأمة - يقول : لشدة حرارة
 الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العوازل أن يحترقن فيما بيننا ، قال
 الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان ينم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

(١) مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشرين وهب الباهلي .
 (٢) فليت بأنه : يروى فليت بياؤه : ويروى وددت بأنه ؛ والمك : داخل الجنب ،
 على المثل بالعكس الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتٍ ثَمًا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْخَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَفَّتِي الصُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الحطيب التبريزي : وجه الإغفاق أن ينم إحراقهم على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والمحبة ، وهى الاسم
 من الإغفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن الملى :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَعْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُقٌ وَشَفِيقٌ ، وإذا قلت أشفقت منه فإيما تعنى حذرت ،
 وأسلمها واحد ، ولا يقال شفت ، وقال ابن دريد : شفت وأشفقت بمعنى ، وأنكره
 أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ،
 وسكن « فاء » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلما
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجره .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْأَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْخَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلاح : جمع فلاة ، المفاضة البعيدة . والركاب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالسير ، وقطع الركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والثمار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع للكان والزمان والركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي الْفَدَى وَبَلَفْتُ مِنْ بَذْرِ بْنِ عَمَّارٍ الْمُنَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١)، وهو ظرف غير متمكن؛ مثل سحر، يقول لقيته ضحى وضحى، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه، قال ابن بري: ضحى مصروف على كل حال، قال الجوهري: ثم بعد الضحى: الضحاء، محدود مذكر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيته، كما تقول من الصباح أصبحت، ومنه قول عمر رضى الله عنه: أضحوا بسلامة الضحى: أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى، ويقال أضحيته بسلامة الضحى: أى صليتها في ذلك الوقت؛ وقد أسلفنا القول على «الضحى» في هذا الشرح بأن وفى من ذلك.

(١) منها: أى من الدنيا؛ ويروى: فيها. ويقال وقفت ووقفتى زيد ووقفت دابق ووقفت وقفا للسالكين، فقوله أوقفنى الندى: معناه عرضنى للوقوف، قال أبو عمرو بن العلاء: لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً؛ وأوقفته: لغة عند بعضهم: والمضى: جمع منية، وهى الشئ الذى يتمناه. يقول: وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند المدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه، وهذا من الخالص الحسنة. هذا: وحذف التنوين من «عمار» - كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء السالكين كقوله تعالى «وآتيننا ثمود الناقة»، قال العكبرى: قرأ القراء كلهم بغير تنوين، وكلهم صرف «ثمود» إلا حمزة وحفصا وواقفهما أبو بكر فى آخر سورة النجم، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى «لثمود»، قال: وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى الثمر، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حللن للنبي صلى الله عليه وسلم:

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعٍ^(١)

فكلهم روه مرداس - من غير تنوين.

(١) الصرد: طائر ضخم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر، يصطاد صغار الطير، الجمع صردان، والنقر: طائر يشبه العصفور، تراه صغيراً ضاوياً، وتصغيره نقر، وجمعه نقران.

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح.

لَأَبَى الْحُسَيْنِ جَدَى يَضِيقُ وَعَاؤُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَرْزَمُ^(١)
 وَشَجَاعَةً أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا^(٢)
 نَيْطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِخْرَبِ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا أُنْثَى^(٣)
 فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْمَنَا^(٤)
 نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنًا^(٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماعطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لايسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عطا .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علقت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمخرب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : المدحج - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ وانثنى : رجع . يقول : علقت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بمد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

أَلَلَّهُ يَنْفَلِمُ إِنِّى لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لجن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قديصنون الكرم بعد الأعمىاز ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراء والطرء - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى .

(٤) يقول : أشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفَرُّ مِنْ الصَّفِّ الَّذِى مِنْ وَرَائِكَ
 (٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تغفه على عواقب الأمور حتى يعرفها بقينا ، لا وهما

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ قَبِظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّفًا^(١)
أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى قَمَّ لَهُ هُنَا^(٢)
يَجْدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْيَنَّا^(٣)
وَأَمْرُهُ مِنْ قَدْرِ الْأَحْبَبِ عِنْدَهُ فَقَدْ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفَنَّا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ ولتكفن: لا لبس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدرى فيظل لا لبس كفنه توقعا لبفته وتأهباً للموت. ومتكفنا؛ قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: للاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. ونم: للمكان البعيد المترأخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلاً عند غيره بعده ماضياً لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيداً على غيره بعده حاصل بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين. يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته، وفى هذا نظر إلى قول البحرى:

مُلُوكٌ يَمْدُوثُ الرَّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَغَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَاثِلًا^(١)
(٤) أمر: خبر مقدم؛ وفقد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبداً مستعملة فى الحروب.

(١) المخاصر: جمع محصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَسْكِنُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استسكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حذقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والإحسان : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبني ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبني الضرب زيدا . يقول : إن الرغب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقا ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سِوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : الهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيَّتِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقا فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتُ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتَى كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط

الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، وروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْذَّنَا^(١)
 مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حِينًا^(٢)
 لَمَّا قَفَلَتْ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَخَشَةُ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
 أَرَجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْقُوطًا^(٤)

(١) الذنا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تنقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . قوله «مثل» بالنصب - صفة لمصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القدي الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل القدي الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تنقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثير يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جني : لقد أفرط - المتنبي - جداً ، لأن الذي فيه الأفلاك والذنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذي أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومن عليه بالعمو ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذي انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلي :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرِيجٌ^(١)

(١) أراد بالبالة الرائحة والشممة ، مأخوذ من بلوته ، أى شممتها وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ^(١)
سَلَكَتْ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجِنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَذْرَنَ فِيكَ الْأَهْمِينُ^(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال المعبر السلولى، وقيل لعمرو بن الأطنابة :
إذا ما مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي ثِيَابِهَا ذِكْرُ الشَّذَا وَالْمَنْدَلِ الطَّيْرِ^(١)
يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فامررت بطريق لإصارت
الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُسَكُّهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ
(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأثيل القباب للنظر إليك : وتمايل القباب : هى
القباب فىكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك
دخلت فى الصور المنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطيمة العبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
رائحتها والدأية : فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا اتكأت : وقيل الشذا فى هذا المبيت من الهك ،
والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندلى » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من
صنعتة ، وقيل الطير المشقق للكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِيبُنَا فَخَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصَتْ بِنَا^(١)
أَقْبَلْتُ تَبْسِيمُ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ يَحْجُبُنَ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا^(٢)
عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عُنْدِي لَوْ تَبَتَّنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيِّ وَالْمَيِّ^(٤)
فَمَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها
بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدمك غلب
حق ظهر في البهجة التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أى باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو الملحح الوجه والحب : ضرب من
العدو . الحلق المضاعف : الدروع - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وبيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدروع
والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعثير : الغبار . والعنق :
ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابي :

تَبَتَّنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَقَفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْبَوَاتِيرُ
وأخذه العتابي من قول الأول :

وَأَرْعَنَ فِيهِ السَّوَابِغَ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَتْهُ الْخَوَافِرُ
[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافي : مضطربة ؛ والنية : الموت ؛ والني : جمع نية ، ما يتمناه الإنسان
من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
أدرك أمنيته : أى فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالِ مَعْدِنًا ^(١)
 فَطِنَ الْفُؤَادُ لِمَا أُتِيَتْ عَلَى النَّوَى وَلَمَّا تَرَكْتَ خَافَةً أَنْ تَقْطَعُنَا ^(٢)
 أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيْئًا ^(٣)
 فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَاحْبُبْنِي مِنْ بَعْدِهَا لِيَخْصُنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا ^(٤)
 وَأَنْتَ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَا ^(٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

حَلَى أَنَّهُا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلَّهَا عَجَائِبٌ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فطن للشئ — بكسر الطاء وفتحها — بقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعابني عليه : أي فلتست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجى : إن فؤادى لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير فى خدمتك وما أهملته من السير معك ، لآنى كنت خائفاً أن تقطن له فتعابني عليه : يعنى أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبي ، وليس بشئ .

(٣) عليه : أى على ما فعلته . والضمير فى « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته ، أى خسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أى فاغفر لى — أى ذنبى أو تقصيرى — وفدى : خبر عن محذوف . أى أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أى من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك بنفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعنى إذا عفوت عني وأعطيتنى كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جلته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به إلى بدر

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي تَجَالِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعَنًا ^(١)
وَمَكَائِدُ الشُّفَهَاءِ وَأَقِيعَةُ بِيَهَمٍ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى ^(٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفَانَا ^(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأنى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جني : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدِدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناه ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناه به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفت الريح الفصون : حركتها واستخففتها قال ذو الرمة :

مَسَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهُتُ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ
وتسفت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشَى الْقَمِيصِ نَصَبَتُهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلاات التى تلد واحدا ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير الاعم — فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا رُزُّهُ أَخَفُّ عَلَىَّ مِنْ أَنْ يُوزَنًا^(١)
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعْنًا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا^(٢)
خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْفَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنًا^(٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفَيْنِ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفَانِ
الضيافين : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقرأه الضيوف .
يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
بليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء
كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخانه ، والجليس
الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .
(١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرث بعد ذلك لغضب
الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
لم يستحق أن يوزن لحفنة ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الفزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيبويه لا يجيز
تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير النقص وتدع المتصل ، وأبو العباس
يجيزه ، فالصواب عند سيبويه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
فيه ما لا يجوز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
والغائب فالواحب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَا بَذْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكُونُ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جِبْرِينُ^(٢)
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيَا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

* * *

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَذْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَعَتْ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَأَضِغَافٍ وَلَا عُرُلٍ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكأت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن يتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعرهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلمهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنو جهل فلما أنشداه إياها أطلقوه ، وقبله :
وَقَائِلَةٌ مَا بِالْبَلَاءِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعده :

لَعَلَّهُمْ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءُ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِيَّ بِمَدَّةِ عَثَرَةٍ وَتَصْطَلِحُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنَى عَجَلٍ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِيذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ أَلَمٍ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (١)
وَلَمَّا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْخُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلْقٌ تُخْطِئُ إِذَا جُنَّتْ فِي اسْتِفْهَامِهَا بَيْنَ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دق وجل من عبر الدهر وصروفه فكانهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَذَاسْنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرُ
ويقول البحتري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجيل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين في الشر والأوأم ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالخر هنا : الكريم - ضد اللئيم - يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقه ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . وروى : خلق - بالحاء - جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهاائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : ما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا - وفى البيت - نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلَقٍ غَيْرِ مُضْطَفِنٍ ^(١)
وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهْمُ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ نُوثِنٍ ^(٢)
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أَعْنَفُهُمْ حَتَّى أَعْنَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَإِنِّي ^(٣)
فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد . والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة - ومضطفن : ذو ضغن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلجهمهم وفضلى يعادوننى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أى الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعنفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتى ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأئنة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النخري :

رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوُومُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ ^(١)
يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى - أى أقصر - فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .

(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُذْقِعِينَ بِسُبُوتِ صَحْبَتِهِمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)
خَرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْنِي بَطُونَهُمْ مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا أَمْنٍ (٢)
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ (٣)
وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا كَيْمًا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ (٤)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ (١)
يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان : العقل الذى به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .

(١) الواو : واو « رب » ؛ وللدقع : الذى لا شئ له ، من دقع - بالكسر - إذا لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبروت : الأرض لا نبات فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبروت . ويقال للقبر : سبروت من ثم . والحلل : جمع حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقيص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول : رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذى يسرق الإبل خاصة ، ثم شئ به كل اص . وغرنى : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرنى : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر . ومكن الضباب : بيضها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول : هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون عليه بالأمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهى ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم أمرى وهم لا تخطئ ظنونهم بأنى أنا المتنبي الذى سمعوا به ، وكيف أكتم خبرى عنهم خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « أتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والمذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقة ، وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شديقه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ، ولم يصنفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أَعْرِبُهَا فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ ^(١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْقَرْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشَنِ ^(٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتُ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ ^(٣)
 لَا يُعْجِبُنِي مَضِيًا حُسْنُ بَرِّهِ وَهَلْ يَرُوقُ دُفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَنِ ^(٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي استقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظننى مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَهَاقِلَةً

يريد المتنبي أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها ، وقد تقدم لذلك نظائر . وأصل الإعراب التبيين ،
 ومنه الأثر « والثيب : تعرب عن نفسها » وأصل معنى اللحن : العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلغازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنًا ، ومنه الحديث « وأمل بعضكم ألحن بحجته » أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى المتنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الحشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحق سهلة هينة ، وعزى
 الآن المركب الحشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستحسن الخطوب
 الصعبة لقوة عزى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعولمن خاض المهالك
 وكم من قتل مع القدم للجبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك للقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضمين : المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا ينبغي للمظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

للهِ حالٌ أرَّجِيها وتُخَلِّفني وأُتَقَضِّي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمِطُّنِي^(١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْاثِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ^(٢)
 تَحْتَ الْعِجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا نُنْوِشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ^(٣)
 فَلَا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُذْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَفْرُورًا عَلَى دَخَنِ^(٤)
 نَحِيمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْتِ دَاءٌ يَصْهَرُهُ حَرُّ الْمَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ^(٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو . والإخلاف : ضد الإنجاز وأُتَقَضِّي : أطالب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثانٍ لأُتَقَضِّي ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطالب دهرى بمحصلها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حالٍ يرضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمحصلها فباطله في نبليغه إياها . وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكيني من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى بمحصلها وهو يعطى - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحمهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الغبار . والمضمرة من الخيل : للعدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استعبدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك مفرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يمتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا غرونى وناقرونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فيخارب عليها .

(٥) نعيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؟ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذا به والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكَرَامُ الْأَلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ^(١)
فَهَنَ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمَنَنِ^(٢)
قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخْلَصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ^(٣)
غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدُ فَجَرُ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ^(٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره فى البيت السابق
يقول : إن عسا كره قد نصبوا خيامهم فى الصحراء يذيبهم حر الهواجر فى قتن صم —
شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول فى قتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى
لا تحبب الراقى .

(١) الألى : الدين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبى : هو المدوح ، نسبة إلى جده .
يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإياه
وفوضوها إلى عهده ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ
على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفرصة ،
وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ،
وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهوز — أى بدأ . والمنن جمع
منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم
فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى
هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى
لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورج فى معنى هذا البيت
والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من
الكرام آباء ، فلما هلكوا كملوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ،
فجعلوه كفيلها ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على
سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمنن » أراد بدأ
بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألمى إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما
ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متميزين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غص : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد
فجر ليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْعُ لَا لِلرَّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَفْمُهُ لِقَوَامِ الْجِسْمِ لَا السَّمَنِ^(١)
 أَلْفَايِلُ الصَّدَقِ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرُّ وَالْعَلَنُ^(٢)
 أَلْفَايِلُ الْحُكْمِ عَنِ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَّاهِي عَلَى الذَّهْنِ^(٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ^(٤)

وليس هو بمن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : بياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن بياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « عجائب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشع الشارب نشعا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَارِيٌّ وَلَا هِيمُ
 (الحقبة : الدهر وقيل السفة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا يتال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرئ ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجرّه على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضر خلاف ما يظهر رياء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعيى بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الخصم النقي على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشع ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليفر وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْمَتْنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ (١)
 قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاوَهُ مِنْ مُعَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ (٢)
 كَانَتْهُمْ وَلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وَلِدُوا أَوْ كَانَ فَهُمْهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب ؛ حتى لو لم يقل جدى فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنسب على الأصل ، وهذا المعنى من قول بعضهم :

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِهِ أَغْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 ومثله قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَنَّا إِلَّا شَهِدَتْ بِهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ
 (رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأروم - بفتح الهمزة - الأصل ، وبضم الهمزة :
 ج)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير الصب ، مثل الهطل
 يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « متن » على المتنبي لأنه يقال
 سحاب متن ولا يقال متن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
 وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على المتنبي وقالوا : من إلى تكرار
 اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
 عيباً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
 ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) إغفار : الجبل المحكم القتل ؛ والقرن : الجبل يقرن به البعيران . ومن مغار :
 في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثاني لصيرت . مدحهم
 بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علماً بأحوال الدنيا —
 ماضيها وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جني : هذا مثل ضريبة ،
 يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
 أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون في الدنيا وتجري فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
 علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
 بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولاً هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما فى البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا مِنْ الْحَمَائِدِ فِي أَوْفَى مِنَ الْجَنَنِ ^(١)
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ يُزِيلُ مَا يَجِبَاهُ الْقَوْمُ مِنْ غَضَنِ ^(٢)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُفْتَرَفٌ مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ ^(٣)
لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَتَقِ وَلَا مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالشُّقَنِ ^(٤)
وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ ^(٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لعلهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة المتقدمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الهامد ما يبق أعراضهم من الدم أكثر مما يبق السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الفضن : تكسر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبتسط وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والمزجون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصي قربه من الداني ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القريب والبعيد ، وإن عطاه يعم القريب والبعيد .

(٤) اللزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . والاشق : الوحل الذي يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم تفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذي يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكدره ؛ قال المعبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .
(٥) يقول : ولم تفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أَحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِیَّةَ أُعْتَدَلْتُ حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُدَنِ ^(١)
وَمُنْذُ مَرَزْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعْتُ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا نَبْتَ عَلَى الْقَنْ ^(٢)
أَخَلْتُ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنْعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ ^(٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
وجميع القايح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بهمائل سيفه أو نحو ذلك ،
وقد يحتجب بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والثوب الذى يحتجى به ، وجمعها
حبى - مكسور الأول - وحبى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه وروى بيت الفرزدق :
وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّ حُلُمَائِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدره وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
وتحسب مثل اختبى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذُؤَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبَى الْمَوْكِبُ ^(١)
والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
المتحاربين . يقول : مذجلست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حق كأن
أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
من التميز - خفضت هيئة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
من النبت فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنٍ ^(١)
وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُوْنَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَى ^(٢)
فَمُرْ وَأَوْمِرْ تَطْعُ قُدُسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ يُجْرِي الرُّوحَ فِي حَضَنِ ^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا ^(٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات عطلوها استغناء بعبائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للآحداث . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمنن : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أوميء ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأوميء ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تميز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أجد من رأى حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد تجدد ولا قريبا منها - يقول : مر من شئت وأوميء - أشر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمى : صفة ؛ لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمى ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يبتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أَمَلْتُ سَاعَةً سَارُوا كَشَفَ مِعْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَتَاهُمُ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَظْلُ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِذْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي فَمَا تَلَقَّيْ إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحي : القوم النازلون والطاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند حيل الأحبة أن تكشف معصمها - أي تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه يتيه ويتوه : ضل وتغيره ، وأتاهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أي لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعدي ، والواخيدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخذ : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخدا ووخذانا : وهو أن يرمى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء . والخدر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - في السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدٌ^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعِ

(أي ذات نفس متقطع من صمها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمط : جمع نمط ،

(١) خود : نعت لبهكنة في قوله .

ولو أني أشاهُ كُفِنْتُ نَفْسِي إِلَى بَيْضَاءَ بَهَكْنَةٍ شَمُوعِ
والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَقَرَّى مِنْ مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا^(١)
يَعْتُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدِّ كُمِّ هَانَا^(٣)

ضرب من البسط له خل رقيق) : وفي حديث عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فعدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : مالى أراك حشيا رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحنى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والحدت فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبى : إن وخدها يزعبه لشدة ترفه فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأفكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَهَنَنْتُ أَوَّلَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن المسك يحبه كالمستهم به ويلتف عليه حتى يصير للمسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدهم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَاطِرِي فَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدِّكَ فَلَيْمْتُ فَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
 إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعَنِي قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
 أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكُرُنِي وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
 وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْنَمَا كَانَ^(٤)
 مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي أَلْقَى الْكَيْمَى وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف: الضروع ، واستعار للمياه أخلافا لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول: إذا برقت السحاب بشرتكم بالقطر - المطر - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلا وتهدي للمحب نيرانا أى تذكى نيران شوق - لأنها تلعن من جانبكم الذى ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
 (٢) قدمت - بفتح الدال - تخدمت ، وبكسر ها : وردت . وشيئني: تبعني؛ وأسلامكم مثل أسلوكم : يقول: قلبى يتبعني ويطيعني فى كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعني وإنما يخوننى ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى:
 أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدَى مُقْبِلُ
 وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدَّنِي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ
 (٣) الصفع: الإعراض . والإهوان: الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ، كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطُولْتُ الصَّدُودَ وَقَلَّمَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ
 (يريد: فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول: إذا ظهرت لمن يذكرنى بالسوء فى غيبقى عظمى وخضع لى ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضا عنه واحتقار له ، لأنه لا يقدر أن ينظر إلى فى حضرتى .

(٤) يقول: وكنت وأنا فى وطنى وبين أهلى غريبا قليل المرافق والمساعد ، ثم قال وكذلك النفيس العزيز: غريب حيث كان ، ولو فى وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة إنما هى لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام:

غَرَبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثَرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
 فَلَيْطُلُ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقِيمًا بِهَا لِمَاتَ غَرِيبَا
 (٥) محسد: خبر مبتدأ محذوف: أى أنا محسد الفضل؛ والمحسد: من يحسد كثيرا

لَا أَشْرَبُ إِلَى مَالٍ يَفْتُ طَمَعًا وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَافَاتٍ حَسْرَانًا^(١)
 وَلَا أُسَرُّ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَيَّ الدَّهْرُ مَلَانًا^(٢)
 لَا يَجْذِبُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِبَرَانًا^(٣)
 لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانًا^(٤)

والكمي : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه لقي في المعركة ؛ فقله مكذوب على أرى : أي يكذب على أعدائي على أثرى وخلي ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَفْتَكِبُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاَقَيْنَا اقْشَعَرُ
 وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ
 (١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « اشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو العبيد : اشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مفرج وأنشد لذي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَرْتُ بِنَا أُمِّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
 وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أنطلع إلى مالم يفت من الدنيا ، ولا أنحسر على مافات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أنطلع إلى شيء ، ولا أنحسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْفَنَى الَّذِي يَرْضَى بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَطْلُ عَلَى مَافَاتٍ مُكْتَبِيَا
 (٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلن : حركن . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حييت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتجمع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعَيْسُ أَهْقَلُ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيَيْنَانَا^(١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قُلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا^(٢)
 ذَاكَ الْأُمَيْدُ الَّذِي تَقْنُو بَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أَصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانَا^(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالى . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء
 ظواهرهم من للعانى البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ،
 وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد ينقد المتنبي : أراد أن
 يزيد على الشعراء فى ذكر اللطايا ، فأتى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل
 ينشط لركوبها ؟ وللمدوح أيضاً عصبه لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس
 الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيراً من الناس
 كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفٍ عِندَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت . وإن
 كان قد أكد بقوله حياً وميتاً . على أن المتنبي خصص فى البيت التالى .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعميانا ؛ و « عميانا » مفعول ثانٍ لرأيت
 وفاعل يراه : ضمير المدح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه
 هذا المدح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتنطق من
 الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه المدح .

(٢) الجواد : السخى الذى يحمود بماله ، والأقران : جمع قرن . بكسر القاف . وهو
 الكف فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان
 لفظ الجواد قليلاً عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قريباً من يقال لهم شجعان
 يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع
 إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) للمعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى — يقال قنوت الشيء
 أقنوه قنوا — وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما مجموعه من المال يقتنيه
 إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزاننا ، لأن ذلك للمال لنا
 وإن كان فى يده .

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَمَلِهِ حَتَّى تَوَقَّعْنَ لِلْأَزْمَانِ أَرْسَانًا^(١)
يَلْقَى الْوَغَى وَالْفَنَاءَ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفِ وَالضَّيْفِ رَحْبَ الْبَاعِ جَذَلَانًا^(٢)
تَخَالَهُ مِنْ ذِكَاةِ الْقَلْبِ مُحْتَبِيَا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانًا^(٣)
وَتَسَحَّبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجْرُ الْخَلِيلُ أَرْسَانًا^(٤)
يُعْطَى الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا^(٥)
جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عَذْنَانًا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده وتحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إيها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوغى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتبياً : متوقداً شديد الحرارة ، والبسر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للغنية ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ما تجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشاناً : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعني : أنه يعطى

التقصاد ويعطى الذي بشرهم من قبلهم أيضاً لشدة كرمه وارتياحه للبدل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَامُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّنَّانَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : اللاء القليل واللاء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف .

مَا شَيْدَ اللَّهِ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ الْآثَانَا^(١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا^(٢)
 كَانَ أَلْسِنُهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانَا^(٣)
 كَانَهُمْ بَرْدُونَ الْمَوْتِ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِ رِيحَانَا^(٤)

وعدنانا : بدل من الفر . قال ابن جني : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسني : ضد السوأي . وقالوا : للمراد بها الجنة يقول : كانت الحسني جزاء لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الفر ؛ يعني أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسني » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فيهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة لإحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أي رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعوا والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدي : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذي قبله : يعني أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاته الأقران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاته الأقران في الخطابة والمكاملة .

(٣) الحرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأُسنة نفسها . يقول : إن أُسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم في النطق . فكان ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس القشبييه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأُسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحتری :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَلْ مَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانُهُ مِنْ عَضْبِهِ
 (٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم لذيذا كالسواء للظلمان ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذي يشم وهذا بسبيل من قول البحتری :

الْكَاثِبِينَ لِمَنْ أَتَيْتُ عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعَدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانًا^(١)
خَلَائِقُ لَوْ حَوَّاهَا الزَّنَجُ لَا تَقْلِبُوا ظَمَى الشَّفَاهِ حَمَادَ الشَّعْرِ غَرًّا^(٢)
وَأَنْفُسُ يَلْعَبِيَّاتٍ مُجَرَّمَةٌ لَهَا اضْطِرَارٌّ وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَفَانَا^(٣)

يَتَزَاخَمُونَ عَلَى الْقَتَالِ لَدَى الْوَعَى كَتَزَاخَمَ الْإِبِلِ الْعِطَاشُ بِمَوْرِدِ
(١) نصب « الكاثنين » على « اللدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى
خبر الكاثنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخْ لِي لَا يَذْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطٌ
(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاه : دقاق الشفاه مع صمرة
كأنها لم ترتو فتغلظ ؛ والزنجي يوصف بغلظ الشفاه حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبًّا عَرَفْتَ قَرَائِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
وهران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبح صورهم لقطت
هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
بيض ، ومع غلظ مشافهم كأنهم ظمى الشفاه . وعبرة بعض الشعراء : هذه الخلائق
الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
الحسة والهمجية لصيرتهم كراما يبيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تقبلوا من الجمودة إلى
الجمودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : وللعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
شعور الزنج زائدة الجمودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق » واليلمى : الألمى الحاد الفطنة . وقوله لها :
أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشنان : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هيا الفرزدق رجلا من ضبة فنفاها ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشعر
للبيعر . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه
من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأَجْبِنَةً وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانًا^(١)
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتُ نَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَهْبُ الْوُهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - لأجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطنة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على الدح : أى أذكر ، أو أعنى ، ونحوهما . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

• كَانَ جَبِينُهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ •

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل المكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها فى أيدى
العفاة فكان أنه اتخذهم خزاناً لأمواله . وعبرة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزاناً مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الخازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّ مِنْ مَلْهُ يَشْكُكُنْ فِي الْقَوِّ مِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء المجهول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المحزة :

(١) الأبا : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

لَا أُسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَأَمَّ إِنَّ نَبَّهْتُ يَنْظَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السَّكَرَامَ بِهِ وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا^(٢)
وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَكَبْرُهُمْ قَدَّرَا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت به : أى صادفته كذابا ، وأجيبته : صادفته جيانا والمرتب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى الملا ، وفى السر ما لا تفعله فى العلان ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَمَّا لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى بَظْهِرِ الْعَيْنِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى السكرم . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا محلك من السكرم . وكنت كمن به يقظان واليقظان لا ينبه ، كذلك أنت لا تستزاد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على نصب السبق فى شعره ، ولولا تاملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَأَمَّا لِيَنَّ قَوْمٌ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء وضما . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبنى قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أنلىق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تطبيق بلفظ للتنبى ؛ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء للمعرى ومنزلته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا الطيب لو قال مكان هذه السكلة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار السكلة التى ظفنتها ثم قال لى : لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فحرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :
 زَالَ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَلِجْنَحِ اللَّيْلِ لِحْنَانٌ^(١)
 فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانٌ^(٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
 هنب قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر^(*) :
 مَا أَنَا وَالْخُمْرُ وَبَطِيخَةٌ سَوْدَاهُ فِي قِشْرِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ^(٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسر ها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
 وجهه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل،
 مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقي في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
 مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الحجر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
 وإعراب بطيخة : إعراب الحجر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَبَيْبَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ^(١)
 وقال المذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ^(٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالْإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أيبك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
 يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
 بالظرتين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانباً الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) للتلف : للفازة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذكراً جملاً . لأن الذكر أقوى
 من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أعجم للشاق بالسير في الفلوات الثلاثة ، الشاهد
 نصب السير « أنظر شرح ابن يعيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْفُلْنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطِّئِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلُّهُ نَجْلَاءٌ لَهَا صَائِكٌ يَنْخَضُبُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّكَّانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمِ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخِيزُرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنُهَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهدا . يقول : مالى ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن يوم الطعن .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطئتي ؛ ومن خفضه عطفه على الطعمان ؛ والتجلاء
الواسعة ، وصائك : لازق - صاك به الطيب يصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلُكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجلاذ الإنسان وتجايله : جسمه وبدنه ، لأن الجلاذ يحيط بهما ، وجمع الأجلاذ :
أجلاد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلني كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) بم : أى بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشيء تلبي به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ما كن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لدى الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا عَنْ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول : بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى
شيء الهوى به ولا أحد أسكن إليه . قال العكبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر ، وهى
يغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة :

سَهَرْتُ بِمَدِّ رَحِيلِي وَخَشَّةَ لَكُمْ مُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَازْعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول : إن همته أعل من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتمنى
على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه
يطلب الزمان بأن يخليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل
والنهار كالتضادين ، ويجوز أن يريد : إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحرى :

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعَرُّفِهِ الزَّمَانُ^(١)
(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى ،
والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط .

(٣) هذا تأكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدث لك الدهر ، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يردده إليك هذه رواية الواحدى ،
وتبعه العكبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم : وهومن التجوزات
للاستقبة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فيا كرم : يتعجب من كرمهم ، والمستخلف للتبدل : قال ابن برى أى
صار خلفا وبديلا للظباء والبقر .
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

يَمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا^(١)
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنفُسُهُمْ فِي لَأْسِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهٌ حَسَنٌ^(٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ^(٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُنْجَى عِوَضٍ لَنْ تُتْ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَمَّا تَمَنُّ^(٤)
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ يَمَّا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمَنٌ^(٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطرى البيت . يقول : المتنبي سرورك بالشئ لا يديعه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرد ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضرب بالهين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبع وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاكلة ، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكميم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يشقون الدنيا : تخصيص لا معنى له ، وتعميمه أنسب .
(٢) دمعاً مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حق تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختبار .
قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنِ عَذْوِي ثِيَابَ صَدِيقِ
(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة للسرعة . والبين : البعد والفراق
وطى : متعلق بمؤتمن . قال ابن جني : هذا تشبيب من يضر في نفسه عتياً وموجدة
يقول : - لمن شبب بهم بعد القى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عني فإن الفراق اليوم - أى بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أَرْضَى بِحُكْمِهِ وَلَا تُضَرُّنِي غَائِلَتُهُ ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفي الكلام تعريض لا ينحى .

(٤) المودج : مركب النساء . واللهجة : الروح . يقول : لستم أهلاً لأن تجذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :
(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَأَى الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ بِشَاهِدٍ دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفُنُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أى انعه ،
أى أظهر خبر وفاته ، قال الكميّ :

نَعَاءُ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)

يقول : إني قد نعتت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأننى كنت ميتاً ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أى قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبى ، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائى يتمنون موتى ولكنهم لا يدركون ما يتمنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعنى أهلها — تشهى الرياح الموافقة لسيورها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشهى . هذا : ويجوز فى كل — كما قال
العسكري — الرفع وال نصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يتمنى ،
فلما أضمر الفعل فسر به بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربته فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا فى لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجربى مجرى « لا »
فى نحو قول زهير :

(١) يقول الكميّ هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للحم بن عدى بن عمرو والسكيت من أسد بن خزيمة بن مدركة ، وكان
متحسبا لمضر وهاجيا لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أسد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكميّ محققا لذلك : انع جذاما غير مبتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعَرِضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّبَنُ^(١)
جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ حُبٍّ مِنْكُمْ ضَغْنٌ^(٢)
وَتَفْضُوبٌ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْفِيسُ وَالْمِلَنُ^(٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأَنْيَسُ وَلَا بِالْدارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ^(١)
أنشده سيبويه بنصب الدار لأجل حرف النفي ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
بـ « ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيبويه
لمزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِّنَى وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِنِّي أَنَا عَارِفٌ^(٢)
أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويدم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
من جاوركم لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراعاة لوخامته . وهذا مثل ، يريد :
أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يها آخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض
لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن
أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : العطاء . والمئن : جمع مئة اسم من امتن عليه إذا عدله صنائعه يقول :

(١) وصف زهير داراً خلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فيغريروا ماعهد من
آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أصعبها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقداه قليل له تعرفها بالنازل من
منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى يسأله
عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاءَ تَكْذِيبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ^(١)
تَحْبُوُ الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَاءِهَا الثَّفَنِ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْيٍ وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْيٍ وَهُوَ بِي جُبْنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) اليهاء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة يهء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك المجري بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، لكثرة ما يخيّل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك المجري بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَهْلَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِيعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلمة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير في هذه اليهء ومتابعتها تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها - على الثفنات - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذيني مادام حلى يعد كرمًا ، فإذا كان يعد جبنًا لا أحلم قال الفند الزماني :

وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

وَلَا أَقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ
سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَخَشَّةٌ لَكُمْ
وَأَنْ بُلَيْتُ بُوْدَةً مِنْ لِي وَدَّكُمْ
أُبَلَى الْأَجَلَةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ
عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكَ الَّذِي غَرِقَتْ
وَلَا أَلْذُ بِمَا عَرَضِي بِهِ دَرِينُ^(١)
ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوِي الْوَسْنُ^(٢)
فَأَنْزَنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِينُ^(٣)
وَبُدِّلَ الْمَذْرُوبُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنِ^(٤)
فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمِينِ^(٥)

(١) الدرر : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد القتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحك أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : الناس . يقول : لما فارقتم استوحشت افراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لأننى إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أى بفراق مثل رحيلى عنكم . وقن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتم كما فارقتم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقه كما فارقتم . قل الواحدى : ومثل هذه الأبيات مانشده المبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِنَانٍ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي امْتِنَانٍ
وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
أَشَدُّ مِنْ فَاقَةٍ وَجُوعٍ إِنْ غَضَاهُ حُرٌّ عَلَى هَوَانٍ
فَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِقَوْمٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجبل : واحد الجبال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجمل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : نداسم للهجر . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مثواى هناك حتى بايت جلال فرسى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزار لما مات تحاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأعمار - إلى جرم فى

وَأَنْ تَأْخَرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأْخُرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَالْهَكْنَى ذَكَرْتُ لَهُ مَوْدَّةً فَهَوَّ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِفَضَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قُولُوا لِقِطْطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْعَةَ الْفَرَسِ

وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :

إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمْطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَلَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إِذَا مُضَرُّ الْحُمْرَاءِ عَبَّ عُجَابُهَا فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ

وأعطى أمار الحمار والأرض وما شاكلها فسميت أمار الحمار وأنشدوا :

فَلَوْ أَنَّ أَمَارَ الْحِمَارِ تَنَاصَرَتْ لَكَانَ لَهَا مِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر
يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التائين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله
وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
عني ما آله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من
خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالي .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
له من المودة والمحبة ، فلماذا يتأخر عني ما وعدي به

(٣) عناء الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »
أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجاء

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَا لَيْلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا^(٢)
كُلَّمَا أُنْبِتَ الزَّمَانُ قَنَاقَةً رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاقَةِ سِنَانًا^(٣)

ينص به في الحرقدة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فمات بغصته وإن سر في بعض الأحيان.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فما يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرٌ مَا أُصْفِيَ وَمُفْسِدٌ مَا أُهْدَى لَهُ يَبِيدُ

(٢) قال ابن جني : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم ترض - بالتاء - والضمير لليالي . يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيب من محنه حق أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلْتُهُ بِي كَافِيًا^(١)

قال ابن جني : هذا البيت — والذي قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القناة : عود الرمح والسنان زجه الذي يطمن به . يقول : إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة للعادي مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القناة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للعداوة . وعبارة ابن جني - سوتقلها الخطيب

(١) البرك : كل شكل البعير وصدرة الذي يدوك به الشيء تحته . يقال حكه يركه ، ومن المجاز حكك الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرَكُهَا بِهِمْ وَأَعْطَتْ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنَ بَيَّانٍ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدي :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَكُهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُفَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَضْفَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى ^(١)
 غَيْرَ أَنْ النَّفْسَ يُبْلَقُ الْمَنَآيَا كَالْحَيَاتِ وَلَا يُبْلَقُ الْهَوَانَا ^(٢)
 وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَّى لِحَيٍّ لَمَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَا ^(٣)
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْءٌ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا ^(٤)
 كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا ^(٥)

التبريزي - - الزمان إذا عجزت قناة إنما ينبت بها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح. فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلوا إلى هلاك النفوس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .

(١) هذا نهى عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاء الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .

(٢) كالحيات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقي ذلا وهوانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبع منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفى ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويمكن : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحترى :

لَتَمُرَّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
 والأصل فى هذا قول أعشى باهلة :

لَا يَصْغُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أَمْرِ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي فى هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ ^(١)
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ ^(٢)
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ ^(٣)
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْقَدْرَ يُبْتَلَى بِقَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِقَدْرِ زَمَانٍ ^(٤)
بِرَغَمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ ^(٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَبَتْ بِلَيْلٍ رَزِيئَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
فَقَدْ دَرَهُ .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهاته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارامذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جني : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التسكلم بغير معقول ؛ قال ابن جني : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في جملة . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يغوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدي : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .
(٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدي رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصييه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب معرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقَكَ قَبْسِي وَأَنْتَ يَمَانُ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَافَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا الْفَارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُنِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانِ (٣)
فَنَالَ حَيَاةَ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يَشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٤)
فَنَقَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بِرُغْمِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْذَّبْرَانِ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رحي فصهرته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شبيبا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يعنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .
(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل حى فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتثير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « أل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان غيبب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشّر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَآوِيَّ يَا رَبَّتَمَا غَارَةَ شَعْوَاءُ كَالَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ
« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : الكوأة ، أو الشيء الذى يؤسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريد ، فكانه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، حذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَذَرْ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرَانِ^(١)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ^(٢)
أَتَتْهُ الْمَنَابِيا فِي طَرِيقٍ خَفِيفَةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوَالَهُ وَعِيَانٍ^(٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برمح ، يعنى أنه كان شجاعا يبق نفسه برمح ولكنه لم يحمر في حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد : أَخَشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خبر « أن » ؛ ومعار : خبر ثان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يذر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حق لكانه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبرة الواحدى : ولم يذر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيما يقال : إن امرأة أدات على رأسه رعى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب . قال الواحدى : ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شيء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهمزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان ، يعنى في غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافور قال كافور : لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافور .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد الملهي :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِجَةً هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَابِيا وَالْقَنَا قِصْدُ

« قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » في لسان العرب — مادة « نوا » — والسماء : نجم معزوف ، وهما سماكان راح وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَسْوَاعِ جَنَانٍ^(١)
 تَقْصُّدُهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِجَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
 وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ^(٣)
 وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانِ^(٤)
 أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بَعِينَانِ^(٥)

(١) سلكت : أى للنايا . والجنان : القلب . يقول : لو أتته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معاناً بتأييده كما لم ينفع شيئاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والميت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكْرٍ عَكْنَانٍ أَمْ هَلْ تَرَى بِأَنْحُلٍ مِنْ أَظْمَانٍ^(١)
 يقول : أدى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطيه على تمسك فقرمه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتركة .

وَبَرَكَبُ مَا أَرْكَبْتُهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَبَرَكَبُ لِعِصْيَانٍ ظَهَرَ حِصَانٌ^(١)
 ثَقَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ^(٢)
 وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانٍ^(٣)
 قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانٍ^(٤)

للموصول - في صدر البيت - والعتان : سير اللجام . يقول : هل يمك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها علي شبيب ثم يمك عتات فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العتات في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكفر نعمة للنعم عليه ، وهذا إغارة إلى أن « شيباً » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جني ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عتاته فهاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبتها شيباً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أي لا يجمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) ثقى يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جني : ملك يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان المعنى أن يده - وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أي ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفي لصاحبه اليوم ؛ أي لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس فادر كـشبيب ، فهما في ذلك أخوان في القدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسَىٰ وَإِنَّمَا (١)
وَمَا لَكَ تُعْنَىٰ بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا (٢)
وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نَجَادُهُ (٣)
أُرِدُّنِي جَمِيلًا جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ (٤)
لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ (٥)
عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ (١)
وَجَدُّكَ طَعْمَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ (٢)
وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحُدَّ ثَانٍ (٣)
فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (٤)
أَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ (٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ما سبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اخيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لاحتاجة لك باستجادة القسى لرمى بها أعداءك فإن أعداءك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عنى بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا : وإسكان للميم خاص بالشعر والنجد : حمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطى شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الاقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الآيات ، قال الواحدى ؛ هذه الآيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يغنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضم له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك ؛ لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضم له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شئ ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَغَتْهُ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذُنَيْكَ جَاوِرٌ^(١)

(١) أذنك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأُشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغَنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكَلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسر به بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم الرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسيرا له ، وحببتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم الرفوع معها فيرتفع بالعايد ، لأن المكفى للرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يقتصر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدّر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين : هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لاوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لاوسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لاكثر من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسننت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَا كُلُّ مِّنْ زَادِي وَبِمُسْكِنِي *

قال الواحدى : ولاكل زاده وجهان : أحدهما أن التنبى أناه بهدايا وألطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه بما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكانه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بش ما جزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعدناقه بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى المدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَنِّ أَضْيَافُهُ يُوسِمُنَا زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبُلَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَّانَا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعي في 'بلييس' يطلب منه دليلاً
فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمْسَتْ بِبُلْبُيْسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُومَهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئاً من غلمايه وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئاً .
(١) يقول : نحن في الظاهر أضياؤه لأننا أتينا ، غير أنه لا يعطينا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنياً : ليت أطلقنا ! ثم قال : أعانته الله على تخلية طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبل ؛ والسبل : الطريق ،
يذكر ويؤث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل النجى يتخذوه سبيلاً » فذكر ،
وفيه « قا ، هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بلييس : هو ذلك البلد الذي بمصر ؛ والسعاة : للكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعي ، لسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئاً فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاية الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها في الفقراء ؛ وسى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي في
عمرو بن عتبة بن أبي سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَعَى عِقَالًا فَلَمْ يَزُكْ لَنَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَحْدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْمُهْجَا جَمَالَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالاً » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلبد ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبد ، ورجل
وبد فقير سوء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالاً ههنا
وجمالاً ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَّاكَرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَا وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا^(٢)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُيُوضَةِ فَأَخْشَى

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مِنْ بَسْكَ^(٣)

وقرت عنه تقرر : هذه هي اللغة الأظلى ، أعنى فعالت تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمة السرور باردة ، ودمة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سبيى لكراكر : وجفون ظبها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والمراد السيوف أنفسهم ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لا تزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لا تزال مسلولة ، قال ابن جني : لما وصف جفونهم بالسهر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكانها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجأزم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضم

(٢) البيت لثمن بن نورة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحذف على البكاء عليهم ، ومعنى اخشى : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخشى ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : لييك ، فحذف اللام .

وَحَصَّ بِهِ عَبْدَ الْقَزِيرِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَيْثِي أَنْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَلَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غَرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيث : المطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث
والمعين ، لأحياء لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبري « عنها » قال : والعين من الشيء
خيرته وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
ورحطه وإن تباعدوا عنه في النسب : أي أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المعاني : جمع مغنى والغنى : للنزل الذي غنى - أقام - به أهله ثم ظنوا عنه
والشعب : للنفراج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بؤان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بؤان ، وصغد سمرقند ، وطيبيا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأئمنة ، يعني أنها تفضل
سائر الأمكنة طيباً كما يفضل الربيع سائر الأئمنة . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أي تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أي يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ^(١)
مَلَأِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ^(٢)

كقول الآخر:

أَتَهَجُرُ سَلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ
قال: ووجه الرفع أن اللغاني: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالفتى العربي: نفسه. يقول: إني بها غريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أسمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح ویده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التي يستعملونها بأيديهم فهي الرايات والزازيق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لفتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى: جمل الشعب — لطيبه وطوب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جنة — لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بالفت في مدح شيء نسبت به إلى الجن، كقول الشاعر:

• يَخِيلُ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عِبْقَرِيَّةٌ •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاها لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل^(١)
هذا: والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحاصح، قال نقادة الأسدي:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالنمل والنحل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْهَمْ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ماسنك مامالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أَزْدَرْتُ نَقْدَى وَقَلْتُ لِمَالِي تَسْأَلُنِي عَنِ السِّنِّينَ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُثِّرْتُ عُثْرَ الْحُسْلِ أَوْ عُثِّرَ نُوحَ زَمَنِ الْفَطْحِ

طَبْتُ فُرْسَانَنَا وَانْخَيْلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمَنَ مِنَ الْحِرَانِ ^(١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ الْقَطَا
إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقِ وَالْعَطَا
لَمْ أَلْنِ إِذْ وَرَدَّتْهُ فُرْطَا
فَهُنَّ يُلْغِطْنَ بِهِ الْغَطَا
* كَالْتَرُجْمَانِ لِقَى الْأَنْبَا ^(٢) *

(١) طباه يطبوه وبطبيه طبيا وطبوا : إذا دعا . قال ذو الرمة :

لِيَالِي اللَّهِوُ يَطْبِينِي فَأَتْبِعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ
[أى يدعونى اللهو فأتبعه] ويقال أطباء على افتعله فقلت التاء طاء وأدغمت ، وفي
حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حق ماتعدل به : أى تحبب إلى قلوب الناس
وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ ^(٣)
والحمران فى الدواب : أن تقف ولا تبرح المكان . يقول : إن هذه اللغاني استمالت
قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحمران وأن تقف
بها فلا تبرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء — داء
الحمران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَنْتَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ
عِلْمِ سُلَيْمَانَ كَلَامِ النَّمْلِ كُنْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

[السواد : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررت : والحسل :
ولد الضب ، وسئل ربيعة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ،
قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشيء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحسبه ، وفراط القطا :
متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغط القطا والحمام بصوته
والنط وأصل اللغط : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :
(٢) حرك حرف الحلق من نمل لا فتتاح ما قبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنمل مؤنثة
وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ^(١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِبَنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي^(٢)
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفْرِئُ مِنَ الْبَنَانِ^(٣)
 لَهَا تَمَرُّ تَشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلا أَوَانِي^(٤)

(١) تنفض الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللآلىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغاني صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفضه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : المشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل مؤخره فخلله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشرأ بطولها دنانير لا عسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القش ففى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليم لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِمَعْرِ إِنْأَا.

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلِي فِي أَيْدِي الْغَوَانِي ^(١)
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرْدِ صِينِي الْجَفَانِ ^(٢)
يَلَنْجُوجِي مَارُفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ الْفِرَازُ نَدَى الدُّخَانِ ^(٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى مجريها وروى ابن جنى لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والغوانى : جمع غانية ، المرأة التى غنيت بحسنها شبه الأمواه ، فى اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذى يلبس و المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — فى الأصل — سير العجاء . واللبيق : العاذق الرفيق بما يعمل كالبق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق . وروى ابن جنى بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصينى الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغانى الطيبة دمشق — أى لو كنت فى غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عنانى إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافى هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد العجم . وقال ابن جنى — لو كانت هذه المغانى كغوطة دمشق فى الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذى ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جنى — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاء لغوطة دمشق فى الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذى يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير : ل«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للعنبر : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للضيف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبٍ جَبَانٍ^(١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خِيَالٌ يُشَيِّمُنِي إِلَى الْفَوْبَنْدَجَانِ^(٢)
إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ^(٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت - أيها الرجل - أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قلب شجاع جرى على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أى ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - المتنبي - ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلمهما معنى غير ماذهب إليه - أى ابن جنى - وإنما يريد - المتنبي - أنك إذا حطت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تتألى بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنْ نَفُوسًا أَمْتَكْ مَنِيمةٌ *

فالقلبان في البيت : قلبا من يحل ويرحل - أى قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلد بفارس ؛ ويشعنى : يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، فخيال منازل دمشق يتبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها يياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذببة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَثَمِ وَرَقَاءَ دُمَى ذُنْبَهَا الْمَدَى^(١)

(١) الذباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه فقطعته وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلموني معهم على فتكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَخْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى النَّبِيَانِ^(١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاهِدَانِ^(٢)
 يَقُولُ بِشُعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هَذَا بِسَارُ إِلَى الطَّعْمَانِ^(٣)
 أَبُو كُمْ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَّكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ^(٤)
 قُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ^(٥)

والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية اللينة . يريد لطيفها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يحاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أخوج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه ، لأنهم أعاجم لا بيان لهم ولاخضاعة ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجى : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالغناء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجى ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما فى الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرًا على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعمان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : "إنما تفعلون ذلك اقتداءً بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة موطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لى يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سيلى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيباً فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيته نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شيء .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالْدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ^(١)
لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْلِيمِ الطَّرَادِ بِلَا سِنَانٍ^(٢)
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعْتُ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لَغَيْرِ ذِي عَضْدٍ يَدَانِ^(٣)
وَلَا قَبْضٌ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللَّدَّانِ^(٤)
دَعَتْهُ بِمَفْرَاجِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا لَيَوْمِ الْحَرْبِ بِكَرٍ أَوْ عَوَانٍ^(٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمسك شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير التعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا تدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت - أى لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدى : أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أى مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جني : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعضد - بسكون الضاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطمع بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى ولا حظ - بالطاء المهملة - وهو خفض الرماح بالطمع .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَمَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرَ مُسَمٍّ وَلَا يُكْنِي كَفَنًا خُسْرَ كَانِي^(١)
وَلَا تُحْصِي فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ^(٢)
أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُبَّاعٍ مِنْ أَمَانٍ^(٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكرة . وقوله بمفرع الأعضاء رواها ابن جني : بموضع الأعضاء ، وقال أي دعتة السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعتة الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أي اجتذبتة واستأثرتة ؛ قال ابن فورجة هذا ما ذهب إليه ابن جني - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفرع الأعضاء يعني دعتة الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ما قل - ابن فورجة - يريد أن الدولة صمته عضدا وهي - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعتة بعضدا وهو ملجؤها الذي تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثلة أحد . فالمسمى : الداعي بالاسم ؛ والسكاني : الداعي بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفى الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد في جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان في أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض المدح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث في نواحي مملكته هيبة له وخوفاً منه .

تَذِمُّ عَلَى الْأُصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلِّ جَانِيٍّ (١)
إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِمُهُمْ نِقَاسٌ دُفِعْنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرَّعَانِ (٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صَحَابٍ تَصِيحُ بَيْنَ يَمْرُ : أَمَا تَرَانِي (٣)
رَمَاهُ كُلُّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي لِكُلِّ أَصَمٍّ صِلَ أَفْعُوَانِ (٤)

(١) تذم : أى الأرض . وفى رواية يذم : أى المدوح ، وأذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن التنبي أجرى التجرجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نُسَائِلُ عَنْ أَيْبِهَا كُلِّ رَكَبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدوح تحير كل تاجر من الأصوص فلا يخافون الأصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هيبة وخوفاً من المدوح ، وهى تضمن لسيوف المدوح كل من يخشى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينبجو من يده .

(٢) الثقات : الذين يوثق بهم . والمحاني : جمع محنة ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند ثقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحداً ، لأن هيبة المدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أَمَا تَرَانِي ؟ لأنه يعرض عنها فلا يحسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يحسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحداً . قال اليازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا تَرَانَا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهث ضمير الواحدة فى قوله تصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل النية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والشرفى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل الأصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعى ، فكما أن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية الأصوص بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لِمَا مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهُوَانِ^(١)
 حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ ثَمَرِيَّ يَحْضُرُ عَلَى التَّبَاقِ بِالنِّفَاقِ^(٢)
 بِضَرْبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَاقِبِ سِوَى ضَرْبِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَنَاقِبِ^(٣)
 كَأَنَّ دَمَ الْجَاهِلِ فِي الْعَنَاصِي كَمَا الْبُلْدَانِ رِيَشَ الْحَيَقُطَانِ^(٤)

(١) اللهم : جمع لاهية ، وهي العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى
 الأصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
 من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل في أيدي الناس .

(٢) ثمرى : جاد مشيع في الأمور ، كثير التشمير والانكاش فيها . وأراد بالتباق
 البقاء ؛ وبالتفاني : الفناء . يقول : إن المدوح رجل ثمرى حمى بلاد فارس بمضائه .
 يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم في الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون بيقائه ، وقال العروضى
 إن للمنى : حمى فارس بقتل الأصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
 فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان في ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا
 لهم على اغتنام التباقي ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم في القصص حياة »
 ولكن يدل على للمنى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمناقب والمناقب : من أوتار
 العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
 يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
 أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود
 وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
 قال أبو النجم :

إِنْ يُمِسْ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةَ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينزعه .
 والرباض : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
 أرقط بسواد وبياض قصير النقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُطْرَحْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنْ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
وَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَ كَشْبَلِيهِ وَلَا مَهْرَى رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنَظَرًا بِأَبِ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماءهم قد كست
البلدان ربش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللمهر : الحدث من الخيل .
والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أرقبهما
ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
أصله نزوعاً شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رحما في فلان » :
حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعاً في مجالس أبيهما
مثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رحما في فلان : يعنى أنه لايجرى في مجلس
أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فعلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
والمعالي : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو للمعالي ، فقد
عشقها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر — التى ترضع
للولود — فيكون المعنى : إن المعالي تولت تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
الصبي من رباة .

وَأَوَّلُ أَفْقَافٍ فَمَهْمَا وَقَالَ إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ هَانٍ (١)
وَكُنْتُ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا انْجَفَانِ (٢)
فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوُّهُمَا وَلَا يَتَحَمَّسَدَانِ (٣)
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ (٤)
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْءَى حُرُوفٍ أُنَيْسِيَانِ (٥)
دُعَاءَ كَالثَّنَاءِ بِلَا رِثَاءِ يُؤَدِّيهِ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ (٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعالى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و« لفظة » : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلاً يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك شمسان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوئهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكاً ملكك بل ملك الأعادى ، ولا وراثك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كأثره : فآخراه بالكثرة ويأى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضاً . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وغره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياء أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فآخرا — أى ابنا المدح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة الياءين فى أنيسيان : أى آليتين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسبق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرتاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رثاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

قَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرْنَدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ^(١)
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي^(٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليماني : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَأَهْرَاءَ وَلَا تَزُرُ^(١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغو من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالْأَهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقعه ويروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزَيْنِ مَا كُنْتُ فِيهِ وَوَلِيَّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ^(١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةً دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ^(٢)

* * *

(١) الحيز : السكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعته فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَمَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانَةِ أُجْدٍ^(١)

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة قنسب إليها تكون
منها يغلون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا
ولمعد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبرى . الحيز فعمل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيويوه يجمعهم حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيديويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامي :

تَحْزِيرُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْنَى بِخَافَةٍ ضَارِبِ^(٢)

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتثوين — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قَد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل . الصيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى القى شبت بالعر — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لُجْد موقفة الحلق .

(٢) يقول : تنحى هذه العجوز وتتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفا .

وأجل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَبْنِي نَصْرَهُ^(٢)

وقال بمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفرًا :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالْدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(٣)
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ^(٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو وتهب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرتك بالجوود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للتنبي بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحني وتحسن القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن انفتحت القافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضممار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإيطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرَتْ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا
ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللَّهُ يَمْلِكُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَقَامُ
(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ^(١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رَجُلَاهُ^(٢)

الحبل يبوءه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال المعراج :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَارِي إِذَا الْبَارِي كَسَرَ^(٣)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبِمَضْمُومٍ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول المتنبي : أنت من
الجلود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَسَكَانُكَ الْعَيْنَانِ وَالْأَذْنَانِ

(١) المأزق : المضيق ، راد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ » ، والضمير في فرسانه : يعود على للمأزق ؛
وفي تحاماه : يعود على الذي ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة للمأزق ؛ وتحاماه
— بحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الأبطال فى الحرب
لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المأزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المددوح الذى يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه — تنثنى وتهوج — قناة رمح
لئنها حين يحمل قرنه برمح فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جنى : سأله — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض يريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله
تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تَنْشِدُ أَثْوَابَنَا مَدَامْهُ بِالْأَسْنِ مَا لَهَا أَفْوَاهُ^(١)
 إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْوَانِهِ وَلَوْ نَانَ كُنْ جَدْوَاهُ^(٣)
 لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ^(٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْفَنَاءَ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقَوْمَهَا بِآخِرِ مِهْمٍ
 (١) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حمارة ولج به عثارة إذ قال : يخلع عليهم ثيابا تنشد مدائحهم فيه بألسن ما لهن أفواه تقعقع لجدها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها . قال العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَائِنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 ولم يكن للحقائب جمعجمة . إنما أراد أنهم يرونها عمتلة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس خلمه وأثوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدائحه بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ، فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم — الذي لا يسمع — وهذه الأثواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أى كن مما ينال ويحرز . قال العكبري : وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى : نلن : وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لا يلتبس فعلان وفعلن — أى المعلوم بالجهول — والجدوى : العطية . يقول : سبحانه الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لونية وأحرزت لفرقها المدوح في جملة عطايه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ، وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها في المرعى وجمع الشمس على تقدير أن ليكل يوم شمساً .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ^(١)
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ^(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشار وأنت تعرف بكنتك فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَكُنْ ذَلِكَ عِثًّا إِذَا وَصَفْنَاهُ^(٣)
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَّارِ مِنْ لَبْسٍ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ^(٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لا دين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنته . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنته عيا منا ، لأن وصفه يغنى عن كنته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
أى أتم خبر من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « أَلَمْ تَكُنْهُ » معناه كنته والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال : أَلَمْ تَكُنْهُ ، أى هل كنته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعأت كذا . ولم تقل : أَلَمْ تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يغشى أن تلبس معاني الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنته . (٢٦ المتنبي : ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فمات له فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر الحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارُ مُبَارَكَةِ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُنْقَى بِسَاكِنِهَا دَارُ غَدَا النَّاسِ يُسْتَنْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نَهْنُهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّهَا^(٤)

ولا يتوقى: رواها الواحدي: لا يتوفى، قال؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية، وهذا اللفظ رجلاً يزيد معناه على معاني الوري كلهم، لأن فيه من معنى الكرم وللدح مالميس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١) أفرس: أى هو أفرس؛ وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل وسببها: عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر. ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «ليس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبب الجياد جعل الحديد أمواه.

(٢) الملك: تخفيف للملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(٣) استسقاء: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعنى إذا كان مكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فذلك الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم.

(٤) يقول: هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنّها بعودك إليها، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرافك إياها؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ نَبِيهَا^(١)
لَا يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارَتِكَ نَبِيهَا فَإِنْ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَئِذِهَا^(٢)
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَاكَ أَوَّلُهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسبي رجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى
وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
وقال بهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ لِي ثَامًا فَأَلْأَمُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
وَإِنْ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانُ لِيَسْرِهِمْ أَبُوهُ^(٥)

(١) تاه فلان تها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
عن مكان آخر تاه الثاني — الذي حلته — على الأول — الذي فارقه — وافتخر عليه
بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعاني جمع مغنى وهو النزل والسكن
يقول : لا ينكر على الدار التي تحملها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لأن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقيها على معناها ولك أن تجعلها بمعنى الواو . يقول : إن
كانوا لثاماً فالأهمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراماً فأبو وردان ليس منهم ، أي هودعى
فيهم ، وقال العكبري : تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوميت رجلا
بوردان تشبه ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كما عرابه
ولا تصرفه ؛ والثاني أن تلفظ التشبيه ، تقول في رفعه : جاءني وردان ، وفي نصبه رأيت
وردنين ، وفي جره مررت بوردين .

مَرَرْنَا مِنْهُ فِي حِسْتَى بِمَبْدٍ يَمُجُّ اللَّوْثَ مَنخِرُهُ وَفُوهُ^(١)
 أَشَدَّ بِعَرْسِهِ عَنَى عَيْبِدَى فَأَتَلَفَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ^(٢)
 فَلِنْ شَقِيتَ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتَ بِمَنْصِلِي الْوُجُوهُ^(٣)

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرَوْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ :
 أَوْهٍ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرَاهَا^(٤)

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومع الشراب والشيء من فيه يمج به مجا ومع به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّوْا النَّصِيحَ ثُمَّ نَنَوْا فَنَاءُوا

(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان بعبد قد أقسم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شد العبد : إذا هرب وأشدّه غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .

يقول : فرق عني عبيدى بسبب امرأته ، يعنى أغرامهم بالفجور بها وودعاهم إلى ذلك فأتلّفهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلّفوا مالى لأنهم أتلّفوه على امرأته .

(٣) الجياد : الحيل ، وللنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .

يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شق وجه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفا لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قل :

فَأَوْهٍ لَدَكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتُمَهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ يَبِينُنَا وَسَمَاءُ
 وواها : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهَا لَرِيَا ثُمَّ وَاهَا وَاهَا

أَوْهٍ لِّئِنْ لَا أَرَىٰ مَحَاسِنَهَا وَأَضِلُّ وَاهَا وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَظَرِي مُحَيَّاها^(٢)
فَقَبَّلَتْ نَظَرِي ثَمَّ اطَّلَعَنِي وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا^(٣)
فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارتقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قريبا فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأننى لا أرى محاسنها ولولم أرها لم أستطع قريبا ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والحياء الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حق أنها منه بحيث ترى وجهها فى نظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى تنظر إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى نظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابلته شئ أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فاهها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لما كان ذلك منى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آوية واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آوية ، كما قل الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَهُ كُنْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تَزَجَى سَلَامَتُهُ إِلَّا فَوَادًا دَهْتُهُ عَيْنَاهَا^(١)
تُبَلُّ نَجْدَى كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِيهَا^(٢)
مَا نَفَضْتُ فِي يَدَيَّ غَدَائِرُهَا جَعَلْتُهُ فِي الدَّامِ أَفْوَاهَا^(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنٍ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهته : أصابته ، ويروى رمته . يقول : من أصابته بينهما فقيمته لم ترج سلامة .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقفت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعي كالطر تبلى خدي ، كلما ابتسمت بكيت ، فكان دمعى مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْكِي وَتَبَسُّم *

وكقول غيره :

أَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى هَجِيئًا كَحَاضِرٍ ضِجْكَ وَبُكَائِي
ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي :

عَذِيرِي مِنْ ضِجِّكَ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ
(٣) الغدائر : الضفائر ، وهي الدوائر من الشعر ؛ وللدام الحز . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غداؤها لكثرة ما ضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غداؤها الطيب في يدي طيب به اللدام .

(٤) في بلد : هذه المحبوبة في بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزین بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة المروس . يقول : هي في بلد فيه حسان كثيرات عذرات لكنهن لا يشهنها في الجمال ، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهن بعضا .

لَقِينَا وَالْحُمُولُ سَاتِرَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أُمَوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَيَايَاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَنْقُطُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصَمًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ حَيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَذَهَا وَتُفَاحَ لُبِّ نَانَ وَتَغْرَى عَلَى حَيَاهَا^(٥)
 وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهوداج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسناء لقيننا وقد سارت الركاب بين وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جني معنى : « فذبن أمواها » أجبرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهم قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدي : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادي سائرات فاستجبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينيها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقْلَتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسبيكم ، يعنى أنها مهابة صائدة لاصيدة .

(٣) فهن : أى فى كل مهاة . يقول : فهن من هى منبعة لا يجرو العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعه ويغار عليها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخنصرة : بلدان بالشام . وحياها : موطن حياتها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خنصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وتغرى وتُفَاح الشام — وهو أحمر — وشرب اللدام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصخصحان : الأرض

إِنْ أَغْشَبَتْ رَوْضَةً رَعَيْنَاهَا أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا^(١)
 أَوْ عَرَضَتْ عَائَةً مُقَزَّعَةً صِدْنَا بِأَخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا^(٢)
 أَوْ عَبَّرَتْ هَجْمَةً بِنَا تَرَكْتَ نَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَقْرَاهَا^(٣)
 وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجْرُ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا^(٤)

للمستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأفت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأفت بالصحرى حين شتاء كشتاء أهل البادية : أى طى رسم أهل البادية وعادتهم فى الصيد والغزو ونحوها مما ذكره فى الأبيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذى قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعينا ذلك المكان كعادة أهل البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانسها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بأخر خيلنا أولاهها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شرب ، جمع غارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مربنا قطيع من الإبل سطونا عليه فعقرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعل إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « ووقلوا للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى فى شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُسْلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا^(٢)

كَأَنَّ صُفْرِي وَكُبْرِي مِنْ فَقَاقِمِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
أراد صفري وكبرى فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكمأة : جمع كمي ، وهو البطل اللعني بسلاحه ؛ وينظرها : يملها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يجب فرسان الخيل قتلهم الكمأة : أي
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بدم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب
الثأر : وقال ابن جني : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أي يجب علينا قتل الكمأة ، ألا تراه يقول في موضع آخر :

تَحْمِي السُّيُوفِ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمي فالحيران الذي يعرف كثيراً من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جني : أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلها »
فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأحمج :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَافْقِرْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جني قال : ليس هذا بشيء لأنه يريد بقتلها من قتلته وقتله
أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل القتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بدمهم . وبعد : فالمعنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكمأة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضاً لأنهم يهلكونها
بكثرة الركض في الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أي جميعاً حال ، قال المعري : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

(١) جبراً كوم وناقة كوما : عظيمة السنام عاليته ، والهجان : الإبل البيض
الكرام ، يستوى فيه الذكر وللؤث والجمع ، يقال بغير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعني الآباء والأهملات ، والساج : السريع في
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُ بِرَأْسِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا^(١)
 أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَصَدَ الـ دَوْلَةَ فَنَاضَرُوْهُ شَهْنَشَاهَا^(٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا^(٣)
 تَقُوْدُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُوْدُ السَّحَابَ عَظْمَاهَا^(٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا^(٥)

(١) يقول : ومن منا يأمركه بصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحى من شاء منهم
 - من الملوك - أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أباشجاع : بدلا من قوله مولاه ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه
 قال ابن جنى : هذا البيت طى أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه
 ونعته وصماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع والمدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قل ذكرت
 أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التى ذكرتها لم تزد معرفته فوق شهرته
 فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وصماعها : قال ابن جنى : وهذا
 كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما
 يذكر الوصف للاسم إما للإيضاح كى يتميز عن غيره كقولك مررت بأبى محمد الكاتب
 وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يحىء للإيضاح
 لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للاطناب فى الثناء
 وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاه ، فقد علم أنه لا نى إلا أباشجاع
 فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا
 للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا
 ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى
 سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التى يبنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة
 على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبرة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعانى
 فهم ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بتقودها
 مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما
 نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الْخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَاَفَاهَا^(٢)
تُصَاحِبُ الرِّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جني : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها أن يرضاه للمدح وأن تعجبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزامه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلّة : الحصة والثلمة ؛ وملافاها - بحذف إحدى التاءين - أي تتلافاها : أي تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا يزيد الخمر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلّة تتلافاها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنقرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأْ هَلَّتِ شِمَائِلِي وَتَكْرَهِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَبَادٍ عُودٌ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحتري :

تَكْرَهْتُمْ مِنْ قَبْلِ الْكُثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمْنَ أَنْ يُحْدِثَنَّ فِيكَ تَكْرَهُمَا
والمصابي بيت المتن في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب بحامد الاستكمال ؛ فلا تجد الكهولة خلّة تتلافاها بتناول المدة وثلمة يسدها بمزايا الخنكة .

(٣) الرّاح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الرّاح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء مالا تجلبه الرّاح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الرّاح ، فلا تطبق الرّاح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضغه .

تَسْرُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ ثُمَّ تَزِيلُ الشُّرُورَ عُنُقَهَا (١)
 بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلَّوَةٍ قَاطِعَةٍ زِيَرَهَا وَمَشَاهَا (٢)
 تَعُومُ عَـوَمَ الْقَذَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَفْشَاهَا (٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفِرَّتِهِ إِشْرَاقَ الْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا (٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِيلُ دُنْيَاهَا (٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الربة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والكرائن : جمع كرينة ، وهي الجارية اللغية . وقال ابن جني : الكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه اللغيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والعطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حق يهب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزر :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . ولثنى : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول حزناً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة
 ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يعلوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطايها الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزيد يعلوها ويغلبها
 سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جني زبد - بكسر الباء - وهو الكثير
 الزبد لكثرة ما له .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هَمَمٌ مِنْهُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا^(١)
فَإِنْ أَنَّى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا^(٢)
وَصَارَتْ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَفْزُرُ أَحْيَاؤَهَا بِمَوْنَاهَا^(٣)
وَدَارَتْ النَّصِيرَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْنَاهَا^(٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فؤاده هم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان مع صغته - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همة ، وأصل الهمة من الهيم ، وهو الديب ، وهمت الهوام ، طى وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفاً :

تَرَى أَثَرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَذَارِجُ شَبَّانٍ لَهْنٍ مِمْهِمٍ

[الشبان جمع شبث ، وهو الضكبوت]

(٢) يقول : فإن أنى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنته باعتبار السكتية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - نخلط الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتكثر الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد طى ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبيدها ، لأنه لا يجد زماناً يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبغتها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يمتدحهم بيمتهم للرحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الرحمة وقوله أيضاً :

سُيِّفْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنْفَعًا بِهَا مِنْ جَبِيَّةٍ وَذُهُوبٍ

(٤) قال الواحدي : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

الْفَارِسُ الْمُتَّقِي السَّلَاحُ بِهِ الْمُنَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا^(١)
لَوْ أَنْكَرَتْ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيَاهَا^(٣)
الْوَاسِعُ الْمَذِيرُ أَنْ يَنْبِيَهُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْبِيَاهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأتقار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
يبدى همه ، وعبارة ابن جني : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأتقار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
وتسجد : تذل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمتنق ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للثنى وخيلاها :
تثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طي قال :
كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
وتثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لأنه يرى من
شجاعته وإقدامه ما لا يسمعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
لا يعمل معه شيئا .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
المرار الففقى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتَيْنِ سَوَّطُ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الملوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس
شاربه حتى يقتله . وسماها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
سيلمها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والملوت به من علاماتها ، أى أن من
ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى يتنبأ : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نِفَمَتَهُ لَمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا^(١)
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَدِي بِمَا صَنَعَتْ مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا^(٢)
وَلِ السَّلَاطِينِ مَنْ تَوَلَّاهَا وَانْجَأَ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا^(٣)
وَلَا تَقْرُوكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي^(٤)
فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَتَمَ الْخَافِقِينَ سَرِيَّاهَا^(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْهِنَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَرًا

(١) كفر : جحد . وعدت :جاوزت : والسجاياء : الطبايع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجاياء الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُغْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمُ الْقَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل ثم هي لا تبتنى - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك للنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنِهِمْ عَنْ بَيْنِنَا

يقول : كل أمر للوك إلى من يتولاهم ، أى لا نخدمهم ودعمهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجل إلى المدحوك تكن مثل اللوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدا لله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) في غير أمير حالد من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وبأهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقه وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عدها فهو أمير مجازا .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الرائحة إذا ملأت

مُبْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سَلِمُ الْمَدَى عِزَّهُ كَهَيْبَاتِهَا^(١)
النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ آلِهَةٍ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ^(٢) اللَّهُ

خياشيمه والحقاقان : أفقا للشرق وللغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، وفنم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أقعم المسك البيت أى ملأه بريحه ، وفعمت للمرأة ضامة وفعموة وهى فعمة : استوى خطها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، وغخلخل فعم قال :

فَعَمَّ تَحْلُخَلْهَا وَغَثَّ مُؤَزَّرُهَا عَذَبٌ مُقْبِلُهَا طَعْمُ السَّدَافُوها^(١)
وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيباتها : كحريها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر ثل هول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه عابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، واصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبد : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم للوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواء ومن يخدم سواء لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الباء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال بمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَابِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(١)
تَمَنِّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرَضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنْ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تميز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، التى هى تمنى ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك للموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى الموتى -- الموت -- فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه الموت أقسى الأدوية ، وللمنى إذا صارت أمنية فهى غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنابى . وأعياء الأمر : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للمداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية -- الموت -- لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المراء المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . والجمانى المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجمانى تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل انتهى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلِمَ طَالَ حَمْلِي جَفَنَهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِفَارَقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوْىِ وَلَا تُتَقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعِتَاق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكد يصبر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكد يصبر عنه فدخل في باب الإسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجلبيع^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد

(٣) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تغدر بي أنت، أي لا تمكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي، وقال ابن جني يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لفة في أحببت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهرى وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعجاع النهشلي:

أَحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْزَقُ
فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجلبيع: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي.
(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ بِشَيْئِكَ بَعْدَهُ فَلَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِياً^(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غَدْرٌ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِأَثَرِ الْغَادِرِينَ جَوَارِياً^(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا أَمَالُ بَاقِياً^(٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ زَلْتِ فَلَا تَطْغَى غَيْرُهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلاً يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيت به أيضاً : إذا اعتبته وأزالت شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنعمها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها فغلطها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمْدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَنْذِنُهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّكَ نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلْمًا نُجْفِيهَا *^(١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفك إياه . ثم هدهه فقال : إن شكوت فراقه تبرات منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادرين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادرين كانت غادرة ربها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاء له كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنى الغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من اللئى به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبيد ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهى كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفعته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءَ مَا أَنَّى أَمْ تَسَاخِيَا^(١)
أَقْلَ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتَكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيَا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى اللئ - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكان هذا للفقى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتغال من الفق ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم : مُشْفَعَةً كَأَنَّ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جني : جميع عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الرمح المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشقى إلى من فارقت ، فإنك تحب من ليس بجازيك بالحب ، كما قال البعترى :

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ عَنِّي وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَا يُجَازِيَنِي

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقلبه . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للحنفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهلى والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعِ الْقَلْبِ بِأَكْيَا^(١)
وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بِحَرًّا أُرْزَتْهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَايَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَانَا يَنْتِغِنَ الْعَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس فى صفة الألف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت ألوفا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جملة كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيلى إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفستاط وكسر الفاء لغة فيهن : وأرزته : تعديت زار والهاء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحي : إخلاصى . والقوای القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من الحماد التى تنسى من فارقتها ، فزرتة بحياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبرة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه ألوفا لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكفى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأرزته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فبانت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِالنُّحْدُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدَتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأرب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأرب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيًا^(٣)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الْأَفْنَانِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التاءين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تسمى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْفَعْنَ فِي الرَّكُضِ أُمَامَ الشُّبُقِ حَوَافِرًا كَأَلْمَنَبْرِ الْمُفَلَّقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباحق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تربها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجبة ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبرة الشراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل فترى الشخص البعيد كهيئته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذاناً ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . وللنجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصيب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالتناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أغفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير اللجام ، وهى

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجَنُومُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنُومِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعتتها ثم شبه أعتتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقه.

رَجِيْعَةُ أَصْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى يُسْرِى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك ؛ وبه: أى بالعزم يقول : سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جني : اقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه ، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه ، وفي معناه لأبى تمام :

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُنْمِشِي نَحْوَهُمْ قَدَمَا
وطريق أبى تمام أسلم ، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة ؛ ألا تراهم يقولون : انخلع قلبه فمات ؛ والمعنى : لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه ؛ يعنى ذكائه وتيقظ فؤاده ، فكأن قلبه ماش في جسده .

(٢) قواصد : حال من الجرد ، والسواقي : جمع ساقية ؛ وهى النهر الصغير يقول قصدا بها كافورا وتركنا غيره من الملوك ؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية ، وهذا من قول البحرى :

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْزِدًا فَحَاوَلْتُ وَرَدَ الْفَيْلَ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
« الصرى : نهر » روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال : له الوليد ! جعلنى ساقية وجعل الأسود بحراً . قال العكبرى : وإذا كان للتنبي قصد هذا فقله أبان عن نقض عهد وقلة مروءة ؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحداً ما أعطاه على بن حمدان — سيف الدولة — ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

(١) الرجعية والرجيع من الإبل : مارجمته من سفر إلى سفر وهو آلكال والشجاع : الأفعى .

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا^(١)
نَجُوزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عَنْدهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَبَادِيَا^(٢)

تغلب عالم بالشمس ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو اللثال الذى يرى في السواد . والمآقى جمع مآق والمآق واللوق : طرف العين بما يلي الأنف ، والملاحظ طر : فهم بما يلي الأذن ؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواء فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبرة التبريزى : شبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُيِّفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)

ولأن الشئ يذكر بالشئ فمن بدع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيَضَاءُ مَعْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُيُونِ يَحْسِبُهُ النَّاسُ ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوز : نتخطى ، وعليها : أى الخيل ؛ والأبأدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الخيل نتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى في وصف سواد حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشَّ قَرَّ وَلَا كَلْفَةٍ وَلَا بَهَقِ
لَيْسَتْ مِنَ الْعَبَسِ الْأَكْفِ وَلَا لَفِ لَحِ الشِّفَاءِ الْخُبَائِثِ الْعَرَقِ
بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ نَاعِمَةٍ تَنْشُرُ بِاللَّذْلِ مَيِّتَ الشُّبَقِ
إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
تَرْفَعُ عَنْ عُونِ الْمُسْكَرِمِ قَذْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
يُبِيدُ عَادَاوَاتِ الْبَغَاةِ بِالطُّفَةِ فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعه وعطاياه - ولو أنه قال :

• نرى عنده إحسانهم والأأياديا •

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده ينفى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا ولكن فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السرى مطلقاً ، وزجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فصرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان رجوا لقاءه منذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للراضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن رجوا أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « فتى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تقصد فتى .

(٢) العون : جمع عوان ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عنها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه بعل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المعكرات فعلاً قد سبق إليه وإنما أتى بالمسكارم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً يَمْشِي الْمُسْكَرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْنِدُ عُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو اللعدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
لَقِيتُ الْمُرُورَى وَالشَّخَايِبَ دُونَهُ وَجِئْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَخَذَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخَصَّ الْغَوَادِيَا^(٣)
يَدُلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَأَخِيرَ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذى أراه هو الوجه الذى كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذى أنا فيه هو الوقت الذى كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشخايب : جمع شخوب وشخاب ، وهى ناحية الجبل المشرقة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهرى : شخايب الجبل : رؤوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تيسى الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش للماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لتلقين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكد قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلما يسم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولا أن تجره عطفًا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والغواذى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحككت وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَالِيَا^(١)
وَعَبْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا^(٢)
فَقَدْ نَهَبُ الْجَيْشِ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا^(٣)
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرِبٍ بَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا^(٤)

(١) يقول : إنما يهود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بمطانتك فالآخذ منك يكسب الآخذ شرفاً ويعلى عمله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظَرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُوءًا لَا يَجْتَنِي شَرَفًا
قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالى » أنه يبذل الولايات والأموال التى يشرف بها الناس فالمعالي من عطاياها كما قال البحرى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَذُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَى فِي تَبْلِهِ الْمَوْهُوبِ
وقال ابن جنى - وكان يسيئ الظن بدائع التنبي في كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاءً : المعنى : عطاؤك يعلى محل آخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تديرها ، فكأنك قد سلمتها إلى من يحسن تديرها ، فهى تقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للسكرام ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر التنبي - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرى الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أتاك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وقانيا : مفعول ثان ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها ينفى ولا يبقى ولذلك تمها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما ينفى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للسلام واستعمالا للأدب في مخاطبة الملوك ؛ قال العكبري : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن محم :

إِنَّ الثَّانِينَ وَبُلَّغْتَهُمَا قَدْ أُحْوجَّتْ تَنَمِّي إِلَى تَرْجُحَانِ^(١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يَا ابْنَ الذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِفَانُ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانُ
وبعد : البيت بعده :

وبدلتني بالشطاطِ انحنًا وكنتُ كالصَّمْدَةِ نَحْتِ السَّفَانِ
وبدلتني من زَمَاجِ الفَنَى وَهَمِي هَمَّ الْجَبَانِ الْمِدَانِ
وقاربتُ مِنِّي خُطَا لَمْ تَكُنْ مُقَارِبَاتٍ وَثَدَّتْ مِنْ عَنَانِ
وَأَنْشَأَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى عِنَانَةٌ مِنْ غَيْرِ نَشْجِ الْعَنَانِ
وَلَمْ تَدْعُ فِي الْمُسْتَمَعِ إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانُ
أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأُنْشِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُضْطَمِّ الْمِجَانِ
فَقَرَّبَانِي بِأَبِي أَنْتَمَا مِنْ وَطْنِي قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ أَوْطَأَتْهَا حَرَّانُ وَالرَّقَّتَانِ

« الشطاط : حسن القوام ، والصمدة : القناة المستوية ، والزماج : المضاع في الأمر والهدان : الوخم الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحده عناة يشير إلى ضعف بصره مكانه يرى من وراء سحابة . والميجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنْتَ بِمَنْ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشْبَهَ الذَّوْاصِيَا^(١)
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنْتَمَا
تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدٍ سَاجٍ يُؤُدُّ بِكَ غَضْبَانًا وَيَنْتِكُ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتحنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكروهم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الحالية . يقول : لم تدرك الملك بالمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :
فَتَى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِيهَا لَا بِالْأَحَاطِلِ وَالْجُدُودِ
ومثله قول يزيد الهلبلى :

سَعَيْتُمْ فَأَذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ الشَّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدَّمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمرادى جمع مرقة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تمتد فى العالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) العجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلمة كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيته غير صاف لكراهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل . أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساج السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . وينتلك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب بظفرك بأعدائك .

وَنُخْرِطَ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً

وَيَقْعِي إِذَا اسْتَنْثَيْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيًا^(١)

وَأَتَمَّرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيًا^(٢)

كَتَابٍ مَا أَنْفَكْتَ تَجْوُسُ عَمَائِرًا مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيًا^(٣)

(١) نخترط : عطف على أجرد . وأراد بالمخترط السيف المنتضى المسلول وأمر : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فغضى في الضريبة وإن نهيته واستثنيت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نقاذه في الضريبة .

(٢) وأتمر : يريد رمحا أتمر ذا عشرين كعبا أو ذراعا . وواردا : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إيراده الخيل . أى في إيرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدمائهم ويرضاك ساقيا له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها . فكل منكبا راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بى أيضا صاحبا فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما أنفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتاب : جمع كتيبة القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظفنها وإقامتها ونجستها ، وهى من الإنسان الصدر مسمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّةِ عَمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبٌ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعجبني أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا (١)
وَأَنْتَ الَّذِي تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ ثَانِيًا (٢)
إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِيْ كَرِيهَةٍ فَسَنَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلُ النَّسَاوِيَا (٣)
وَمِنْ قَوْلِ سَامَ لَوْ رَأَاكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا (٤)
مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافي : الفاويز والفلوات
يقول : إن لك كتائب أو قدت كتائب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن
قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعني أن كتائبه لا تزال تأتي الأعداء للغارة عليهم .

(١) بهما : أى بالكتائب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهامات : الرؤوس .
والمغانى : جمع مغنى وهو المنزل يغنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتائب
ديار الملوك حتى قتلتهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون
الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعماير ويكون المعنى : غزوت العماير دون الملوك لأن
الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنفشى : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر
يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن
يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين
جعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى
لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه
حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ،
ولنسله صلة القول . يقول : لو رآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى
ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم
فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ
الرئيس . قال الجواليقي : واسطاحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ
وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع — وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذى —

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَا وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا ^(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيًا ^(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس
نملا فرأى أبو الطيب شقوفاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوهُ :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا ^(٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَحَازِيَا ^(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأقصاه : أبعدهُ ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بلفه الله غايته
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دَعَتْهُ : أى النفس ، و «إلى» متعلق بدعته أو لبأها على طريق التنازع .
دعته نفسه إلى المجد فللبأها وأجابها ، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أنها
هو ، فقيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نَائِيًا : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق أناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها قريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسي في قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
في حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة .
بموامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى آمين مينا وتغافل إخلاقاً وتغدر غدرًا ، وهلم
جرا ، والمحازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع في بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال في
الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلانا إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَنْظُنْ ابْنِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)
وَتَعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي الْفَعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا^(٢)
وَأَنَّكَ لَا تَذَرِي أَلْوَنُكَ أَسْوَدَ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا^(٣)
وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْبِكَ شَقَّهُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظَارُ^(١)
يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أجمع
بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم عغاز ؟ أى
كانك عغاز ومقايح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : السرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
لناظ جلد رجلتك ، وقوله تعجبني : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
النعال تشبها بالترفيع كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلتك نعالا ،
وإننى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأننى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك
أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت به وقت ما كنت
مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله فى ثوب من الزيت :
فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يعمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
فكانه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع البواد زيتيا ، أى أنت فى حال كونك
عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا
البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضع بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِشْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
فَأُضْبِجْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنِّي أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا^(٣)
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِ يَا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لاتفطن لذلك ولا تفرق بين المدح والمهزاء ، ولكن الناس فهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لامدح .
(٢) هذا تفريع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبهيّتين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى الصراع الثانى : إما بمعنى استفدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفدت للملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى للملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الآيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه السكافورية :
وَمَا طَرَبَى لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرَبُ



فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام
مطلع القصيدة :

الصفحة

٣	كدعواك كل يدعى صحة العقل جهل
١٥	إثنت فإنا أيها الطلل الإبل
٢٧	ما أجدر الأيام والليالي ومالي

قافية لليم

٤٣	وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه	ساجه
٦١	أين أزمعت أيهذا الحمام	الغمام
٦٧	أنا منك بين فضائل ومكارم	دائم
٦٩	إذا كان مدح فالنسب للقدم	متيم
٨٠	واحر قلباه ممن قلبه شبم	سقم
٩١	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم	الألم
٩٣	قد سمعنا ما قلت في الأحلام	النسام
٩٤	على قدر أهل العزم تأتي العزائم	المسكارم
١٠٩	أراع كذا كل للوك هام	غمام
١١٥	أيا راميا يصمى فؤاد مرامه	لسهامه
١١٨	رأيتك توسع الشعراء نيلا	والقديما
١١٩	ذكر الصبا ومراتع الآرام	حمامي
١٢٩	عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم	القسم
١٤٣	كفى أرانى وبك لومك ألوما	أنجما
١٥٠	إلى أى حين أنت فى زى عرم	كم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللم	ضيف ألم برأسى غير محتشم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إنى
١٦٤	الكرم	إذا ما شربت الحجر صرفاً منهاً
١٦٥	الحرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملاى النوى فى ظلمها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	زرى عظمها بالبين والصد أعظم
٢١٤	فسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	أما	مانقلت فى مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأمى إن كنت وقت اللوأم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقسا
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت فى شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هياما	روينا يا ابن عسكر الهاما
٢٦٣	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٣	ميمم	فراق ومن فارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكما يحل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك الكرم
٢٨٢	الهموم	أما فى هذه الدنيا كريم
٢٨٣	اسمه	يذكرنى فانكا حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم فى الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد فى الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	نزور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٣	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حتى منك تكرمه
٣٢٥	وبينى	إذا ما الكأس أرعشت اليمين
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إحسان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الخيزران	ما أنا والحجر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التعلل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القمران	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغافى الشعب طيباً فى المغافى

قافية الهاء

٣٩٧	تنميته	أغلب الخيزرين ما كنت فيه
٣٩٨	فتكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة:

الصفحة

٤٠١	قالوا ألم تكنه فقلت لهم وصفناه
٤٠٢	أحق دار بأن يسمى مباركة فيها
٤٠٣	لئن تك طيء كانت لثاماً بثوه
٤٠٤	أوه بديل في قولتي واهما ذكرها

قافية الباء

٤٠٧	كفى بك داء أن ترى الموت شافيا أمانيا
٤٣٢	أريك الرضالوأخفت النفس خافيا راضيا

استدراكات وتصحيحات

وهذه نصحيحات واستدراكات وزيادات بدت

لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:

جَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرٌ مُشَبَّرٌ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:

ما زلت أسمى معهم وأختلط حتى إذا جاء الظلام المختلط

* جاءوا بضئح هل رأيت الذئب قط *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتي :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للعجاج وقد رواه البرد في

الكامل على هذا الوجه :

بَنَيْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَتَطَّطُّ مَا زَلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُّ

وروي بعضهم بعد قوله بننا بحسان ومعزاه تتطط هذا البيت :

تَلَحَّسُ أَذْنَيْهِ وَحِينًا تَتَمَخَّطُ فِي سَمْنٍ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ

وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان

وتتط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،

وفي سمن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط :

اللبن الخيض يطبخ ثم يترك حتى يصعل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،

وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل

على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واخط » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعدسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِيسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِيسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَنْبِيَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحَا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقْفِيفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِيسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا خَمْلَةَ نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِيسَا
إِذَا التَّخْلِيلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيرِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعُنَ إِلَّا عَوَابِيسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بثلاث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أر مثل الحى الخ أراد بالحى المصعب بن زيد بن مراد قال المرزوقي : أى لم أر مغاراً عليه كالتدين صبحناهم ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصبجاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمرع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حاية للحقائق منهم ولا أضرب بالقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحاية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب قوله أكر وأحمى الخ تبين لما ادعاء فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لثلاث فصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزا ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعل غير تميز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لحيا مصبعا وأضرب منا صفة للموارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح للعدة للطن فالمراد بالداعس الرماح الطاعنة ، وقرس مذك : تم سنه ومكات قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقنصنا ذلك منهم بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَاب

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فد «العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعنى عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مغفوض لفظا وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقضي مصاحبا لهم والحزن ، فهو نظير مأمزروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن الشجري وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضي بهم والحزن غير مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المحرور بعلى على غير مذكور فأنى بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جني وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن قيل فيه حذف للوصف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا مجتمتع ، قلنا : في النثر هذا شعر فيجوز فيه كقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثلثاء * أي أنا ابن رجل جلا الأمور وقوله .

* تَرَمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمحدوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالسور واليسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ، قاله ابن الخشاب ، وهو ظاهر التعسف .

* * *

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفة وصوابه أنه لحسيل بن عرفة وجاء في شرحه أيضا هذا البيت هكذا :

بَآيَةِ مَا وَقَفْتَ وَالرَّكَّابِ وَبَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وصوابه هكذا :

بَآيَةِ مَا وَقَفْتَ وَالرَّكَّابِ بَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّجْرِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعب بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دثرودرس ، والسرر موضع والجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عَزْلَ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطلقوه وقبله » :
وقائلة ما باله لا يَزُورُنَا وقد كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزَّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعده .

لعلهم أن يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماءَ المِزْنِ فِي البَلَدِ الحَلِ
فقد يُنْعِمِشُ اللَّهُ الْفَتَى بَعْدَ عَثْرَةٍ وَتَصْطَنِعُ الحُسْنَى سَرَّاءُ بَنِي مِجَلٍ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :
قلت إذ أَقْبَلْتُ وَزُهرُ نِهَادَى كِنِعَاجِ الفَلاَ تَعْتَفَنَ رَمَلًا
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلما :

حَلَّ القَلْبُ مِنْ حَمِيدَةٍ ثِقَلَا إِنْ فِي ذَاكَ لِلْفَوَادِ لَشَفَلَا
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنَقَّبَنَ بِالْحَرِيرِ وَأَبْدَيْنَ عِيونَا حُورَ المَدَامِجِ نَجَلَا
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، ونهادى : أى يمشين مشيا رويداً
بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيتها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما
وإليك شرحه الذى فانتا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبعه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البغدادي في الخزانة - وأولها :
عَبَسِيَّةٌ لَمْ تَزْعَ قَفًّا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَا
كَانَ صَوْتُ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفِ الْخَالِبِينَ كَلَّمَا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبَنَانَ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفَى فِي خَشَى أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قُيَمَا مَثْنَى الْوُطَابِ وَالْوُطَابِ الزُّمَمَا
وَقَمَّا يَكْسَى مُمَالَا قَشَمَا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَّهُ مُعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أَبَانٌ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أُعْجِمَا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تخضع والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم للعضض ، وقوله كان صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على
تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أفى : خبر كان والسحيف الصوت
والأفى : الحية ، والحشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقبل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى ملء مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزم جمع زام من زم القرية ملاها . والقمع آلة تجعل في
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شئ يكون ضخما فهو
قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ولهم بمعنى يعرفه فعوله
محذوف ضمير الثمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى
تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعمى الشتمى

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وعلاه فجعله
كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعلمته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه
أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لكان إياه
أي لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزنة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط
أميرية » .

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت للشهور :

* * *

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّغْرِ مِغْلَاتُ زَوْرٍ
وقد قاتنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يجعل أن يوضع في موضعه
« البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها :
الائمها وشرارها وما لا يصيد منها ، وقيل الضعيف من الطير والمغلات : التي لا يعيش
لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحداً ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلت المرأة إقلاتافى
مقبات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والتزور : القليلة
الولد »

* * *

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنُ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنَّ قُلْتُ عِمَّوْا ظِلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « ميم بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع

في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول

هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَصَّاتُ بَعِيدَ وَهْنٍ بِدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامًا

سِوَى تَرْجِيلٍ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمَهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واتحام المهالك . يقول : رب نارق قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أتم : استفهام وكان حقه من أتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاسة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا المصراع من أبيات نسبت إلى
سيدنا طي بن أبي طالب رضى الله عنه » وهى :

مَحَبَّتُ الْجَارِ عِ بَاكِ مُصَابِ بِأَهْلِ أَوْ حَبِيبِ ذِي اكْتِنَابِ
شَقِيقِ الْجَنِّبِ دَاعِىِ الْوَسِيلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَّى اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ حَتَّى نَبَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِى كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى محابى . يقال حبابه : أى خصه . قال البغدادى : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لَاؤُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِى نِسَاءِ يَتِمَّاعَيْنِ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِى جَوَارِ يَتِمَّاعَيْنِ الْوَرِقِ

وزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يتناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحسن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهم له بحذف جوار يلعبن بدراهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أبدي الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤبة بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
